مريم ابنة عمران في المسيحية والإسلام
دراسة مقارنة

إعداد

عوني فتحي سليم المصطفى

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد أحمد الخطيب

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

نيسان، 2008

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة / الأطروحة (مريم ابنة عمران في المسيحية والاسلام – دراسة مقارنة) وأجيزت بتاريخ ٢٠٠٨/٤/٢٧م

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيـــــــــع
الدكتور محمد احمد الخطيب / مشرفا أستاذ – عقيدة – أصول الدين	....
الدكتور محمد نبيل العمري / عضوا أستاذ مساعد –عقيدة – أصول الدين	....
الدكتور عطا الله بخيت المعايطة / عضوا محاضر متفرغ – عقيدة – أصول الدين	....
الدكتور بهجت عبد الرزاق الحباشنة /عضوا أستاذ مشارك – عقيدة– جامعة آل البيت	....







الإهداء

أهدي هذه الدراسة إلى والديّ الكريمين اللذين بذلا الغالي والنفيس حتى أنشآني هذه النشأة في طاعة الله -سبحانه وتعالى-، إلى زوجتي الغالية التي لم تدخر جهداً في سبيل توفير الراحة والهدوء وكانت عوناً لي في نفسها ومالها طيلة أيام دراستي، إلى أبنائي وبناتي، قرة عيني ومهجة فؤادي الذين أدعو الله-سبحانه وتعالى- لهم بالسير في طلب العلم ليكونوا من علماء المستقبل إن شاء الله، وإلى أساتذتي الكرام، وإلى كل طالب علم، وإلى كل من جعل السيدة مريم العذراء قدوة له في العفة والتقوى والطهارة والصبر.

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد؛ فلا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان مقرونان بالمحبة والإجلال إلى استاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمد أحمد الخطيب لتفضله بالموافقة على الإشراف على هذه الرسالة الذي لم يبخل عليّ يوماً بوقته أو علمه أو نصيحته، عرفت فيه التواضع ولين الجانب والحلم إضافة إلى العلم والأدب، وكيف لا أعرفه وقد كان أستاذي في مرحلة البكالوريوس أيضاً فله مني كل الحب والتقدير.

كما ويسعدني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذنا الفاضل الدكتور محمد نبيل العمري على ما أثرى به هذه الدراسة من ملحوظات قيمة، وأشكر كذلك كلا من الدكتور عطاالله المعايطة والدكتور بهجت الحباشنة على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وأشكر جميع أساتذتي الأفاضل في كلية الشريعة الذين تتلمذت على أيديهم.

كما لا يفوتني أن أشكر كل المؤسسات المسيحية في الأردن التي تعاونت معي من أجل إتمام هذه الدراسة وأخص بالذكر مكتبة البعثة البابوية في عمان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قائمة المحتويات

مريم ابنة عمران في المسيحية والإسلام

دراسة مقارنة

إعداد

عوني فتحي سليم المصطفى

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد أحمد الخطيب

ملخــــــــص

تهدف هذه الدراسة إلى إعطاء فكرة عن كيفية تناول المسيحية والإسلام لشخصية السيدة مريم –عليها السلام– بشكل مقارن من خلال النصوص الدينية ومن خلال الاتجاهات العقدية للطوائف المسيحية المختلفة في الجانب المسيحي. ومن خلال عرض نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وأقوال علماء الإسلام، وبعض المؤلفين المسلمين في الجانب الإسلامي ، وتحديد مواطن الاختلاف والاتفاق بين الجهتين.

ففي الجانب المسيحي، تخلو الأناجيل الرسمية الأربعة من ذكر تفصيلات تتعلق بحياة السيدة مريم، وإنما تعرض بإجمال قصة بشارتها بالمسيح والحمل به وولادته وتشير إلى بعض المواقف الجانبية لها في حياته. أما الأخبار التفصيلية التي تروى عنها فهي من روايات الأناجيل غير الرسمية (الأبوكريفيا).

أما الوصف الديني لمريم ومكانتها في المسيحية فقد تطور تبعا للتطورات العقدية للمسيحية التي أفرزتها العوامل السياسية والاختلافات اللاهوتية في تفسير طبيعة المسيح عليه السلام. و قد لعبت المجامع المسكونية السبعة المعترف بها عند الكنائس الدور الأكبر في تحديد صورة العقيدة الدينية للمسيحية بشكل عام وفي تحديد صورة الاعتقاد بمريم عليها السلام لمختلف الطوائف المسيحية بشكل خاص. كما يؤمن كل من الكاثوليك والأرثوذكس بأن للسيدة مريم مكانة دينية خاصة تختلف فيها عن جميع البشر بمن فيهم الأنبياء والملائكة ويدعونها "أم الإله" وينعتونها بصفات التعظيم مثل الملكة و الشفيعة، والكلية القداسة والمجيدة. أما البروتستانت فيرفضون زيادة أوصاف التعظيم لكنهم يقرون بوصفها "أم الإله".

ورغم أنه لا يوجد هناك أي نص في الأناجيل يدل على جواز التوجه لمريم في العبادة أو طلب الشفاعة منها إلا أن الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية تطلب من أتباعها توجيه الصلوات لمريم وطلب شفاعتها. ويظهر هذا في الطقوس والألفاظ التي تعتمدها هذه الكنائس في عباداتها. أما البروتستانت فيرفضون التوجه بالعبادة لمريم ويرفضون طلب الشفاعة منها.

وتهتم كل من الكنائس الأرثوذكسية و الكاثوليكية بالأيقونات المقدسة، وبالمقابل يتجه البروتستانت بشكل عام إلى محاربة الأيقونات و إهمالها.

وتعرض نصوص القرآن الكريم أهم المراحل التي عاشتها السيدة مريم بل إن سورة كاملة سميت باسمها ولم يصرح القرآن الكريم باسم امرأة سواها. فتعرض هذه النصوص قصة نذر أمها لها وهي ما تزال جنينا في بطنها، ووصف التربية الحسنة التي نشأت في كنفها، وتذكر كفالة زكريا لها، وتعرض قصة بشارتها بالمسيح، ومعاناة ولادتها ومعاتبة قومها لها واتهامهم إياها.

ويتفق الإسلام مع المسيحية في نظرة التكريم والطهارة تجاه السيدة مريم، ولكنه يختلف عن المسيحية في طبيعة هذا التكريم ودرجته، فإن مساحة تكريم السيدة مريم في نصوص القرآن الكريم والسنة وتحليلات العلماء ظلت في حدود بشريتها، فوصفتها على أنها صديقة مصطفاة ومطهرة، و أفضل نساء العالمين. كما اتجه بعض العلماء أمثال ابن حزم والقرطبي إلى اعتبار أنها نبية من الأنبياء.

المقدمة

مشكلة الدراسة وأهميتها

تعتبر السيدة مريم -عليها السلام- من الشخصيات المهمة التي تناولها القرآن الكريم، فهي أم المسيح عليه السلام، و هي المرأة الوحيدة التي ذكرت باسمها في أكثر من آية في القرآن الكريم، وأفردت سورة خاصة باسمها، ووردت أحاديث عن النبي-صلى الله عليه وسلم- تبين عظم فضلها ووصفها بصفات لائقة . وكذلك فهي الشخصية الأساسية في حياة المسيح- عليه السلام- وهي أم الإنسان الآية في ولادته وكلامه في المهد، وخروجه من الدنيا.

ولذلك تعد مثال النموذج للمرأة الطاهرة الصابرة العابدة، ومن هنا تأتي أهمية صياغة قصة حياة السيدة مريم -عليها السلام- عند المسلمين أو النصارى بطوائفهم المختلفة. وتختلف الطوائف المسيحية فيما بينها في تحديد المكانة الدينية التي تحتلها مريم وتختلف في طبيعة الأوصاف التي تنعت بها السيدة مريم عليها السلام، وفي ظل التخبط المعرفي أو في البحث عما هو محرف و غريب في حياة السيدة مريم -عليها السلام- نحى بعض الكتاب ومؤلفي النصوص للأفلام التي تعرض عن حياتها إلى أن يعرضوا أفكارا خاطئة عنها.

وتتمثل أهمية هذه الدراسة في أنها تمثل عرضا شاملاً لن سب السيدة مريم عليها السلام ونشأتها ووصفها الديني في كل من الديان تين المسيحية بطوائفها المختلفة والإسلامية، وتحديد مواطن الاختلاف والاتفاق، الذي يمكن من خلاله صياغة صورة صحيحة لشخصيتها الفذه، تحذر كل إنسان من أن ينقاد إلى ما هو خاطئ.

وتهدف هذه الدراسة إلى إعطاء فكرة عن كيفية تناول المسيحية والإسلام لشخصية السيدة مريم -عليها السلام- بشكل مقارن من خلال النصوص الدينية ومن خلال الاتجاهات العقدية للطوائف المسيحية المختلفة في الجانب المسيحي. ومن خلال عرض نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأقوال علماء الإسلام وبعض المؤلفين المسلمين في الجانب الإسلامي ، وتحديد مواطن الاختلاف والاتفاق بين الجهتين. كما وتهدف الدراسة للإجابة عن الأسئلة التالية:

1. ما نسب السيدة مريم –عليها السلام– وكيف كانت نشأتها وحياتها ووفاتها عند النصارى والمسلمين ؟
2. كيف كانت طبيعة حمل السيدة مريم بالمسيح–عليه السلام– وكيف كانت ولادته عند النصارى والمسلمين ؟
3. ما هو الوصف الديني للسيدة مريم –عليها السلام– عند النصارى والمسلمين؟
4. كيف تناولت الأعمال الفنية السيدة مريم –عليها السلام– عند النصارى ووجهة النظر الإسلامية في ذلك؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة تم تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول: الأول يعرض فيه الباحث كيفية تناول المسيحية لشخصية السيدة مريم –عليها السلام– من خلال النصوص الدينية وآراء مختلف الطوائف المسيحية .

وفصل ثان: يعرض فيه كيفية تناول شخصية السيدة مريم عليها السلام في الإسلام من خلال القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف و أقوال علماء الإسلام وبعض المؤلفين المسلمين.

وفصل ثالث: يحاول فيه الباحث إجراء مقارنة ل تحديد أهم نواحي الاتفاق والاختلاف في تناول شخصية السيدة مريم –عليها السلام– عند النصارى والمسلمين.

الدراسات السابقة

رجع الباحث إلى المؤلفات الموجودة في مكتبات الجامعات الأردنية ومكتبات الكنائس الموجودة في الأردن، ومكتبة البعثة البابوية في عمان، و بعض مكتبات دور النشر في الأردن.

وتم الاطلاع على عدد من الكتب التي تتناول حياة السيدة مريم العذراء منها قد اقتصر على الرجوع إلى المصادر الإسلامية فقط، ومنها ما رجع إلى المصادر المسيحية، لكنه يغلب على هذه المؤلفات عدم تناولها لمصادر المسيحية كما هي عندهم، فبعضها مثلا يقتصر على رواية انجيل برنابا أو إنجيل الطفولة رغم أن الكنيسة لا تعتبره من الأناجيل المعتمدة. ولم يقع الباحث على دراسة إسلامية وافية تتناول السيدة مريم في المسيحية والإسلام، وتبحث عن حياة السيدة مريم في الأناجيل المعتمدة و غير المعتمدة وتدرس عقائد الطوائف المسيحية المختلفة حول السيدة مريم، وتقارنها بالمصادر الإسلامية.

أما بالنسبة للدراسات المسيحية التي تناولت السيدة مريم، فقد وقع الباحث على عدد من المؤلفات التي تعرض اعتقادات الطوائف المسيحية المختلفة حول السيدة مريم.

(أ). بعض المؤلفات التي رجعت إلى المصادر الإسلامية أو الإسلامية والمسيحية معا

١. كتاب مريم ابنة عمران، تأليف عبد المنعم الهاشمي:

تناول فيه المؤلف العناوين التالية: . مريم ابنة عمران حديث السماء والأرض، آل عمران، ذرية حنّة وعمران، الميلاد، الأحبار ومريم، وكفلها زكريا ، وجاء يحيى، إلى الناصرة، مريم حديث الملائكة، البشرى، الميلاد، في بيت لحم، معجزة الطهر والبراءة، الرسول ابن العذراء، المجوسيان وعيسى، السفر إلى مصر والعودة، عيسى نجاراً ومعلماً، بين يحيى وعيسى عليهما السلام، مريم آية، أمه صديقة، نبوة مريم، مع المسيح ومعجزاته، معجزة من معجزاته، نعم الله على عيسى وأمه مريم، ويكلم الناس في المهد، عيسى بن مريم والحواريون، رسالة عيسى،

عطف المسيح من عطف أمه مريم، مريم في عقيدة المسلمين، الأرقام في سيرة مريم عليها السلام. [١]

ومن الملحوظات على هذا الكتاب.

اتبع فيه صاحبه الأسلوب القصصي الإنشائي كما انه يفتقر إلى أساليب البحث العلمي الدقيق ويمتاز بقلة المصادر والمراجع.

٢. كتاب حياة مريم، تأليف محمود شلبي:

تناول فيه صاحبه مجموعة من العناوين العامة وتحت كل عنوان مجموعة كبيرة من العناوين الفرعية.

وهذه العناوين هي: هذه هي مريم، إني نذرت لك، إني وضعته ا أنثى، أيهم يكفل مريم، يا مريم أنى لكِ هذا، هنالك دعا زكريا ربه، فنادته الملائكة، وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك، اسجدي واركعي مع الراكعين، يا مريم إن الله يبشركِ بكلمة منه اسمه المسيح، أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر، جبريل يعلن إليها الخطوط العريضة من شخصية المسيح، ونفخنا فيه من روحنا، يا يحيى خذ الكتاب بقوة، والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم ابعث حيّا، وجعلناها وابنها آية للعالمين، ابن مريم، وقالوا اتخذ الرحمن ولداً، شخصية مريم.

وهو كتاب امتاز بالأسلوب الأدبي، وقصر العبارات والاختصار، وتفسير الآيات، كما انه مختص بما ورد عن مريم في القرآن الكريم ولا يتناول ما يتعلق بها عند النصارى. [٢]

3. كتاب تأليه مريم ابنة عمران والعبادات المقدمة لها عند النصارى، تأليف الملكاوي، المنشور في مركز البحوث التربوية في جامعة الملك سعود بالرياض سنة 1992 م، والهدف من هذا البحث إثبات تأليه النصارى لمريم ابنة عمران كما أخبرت عنهم الآية الكريمة في قوله تعالى"أأنت قلت للناس اتخذوني وأمّي إلهين من دون الله" وقد عمل المؤلف على توضيح أهداف الدراسة من خلال كتب النصارى

---

(١) الهاشمي، عبد المنعم، مريم ابنة عمران،ط1، دار ومكتبة الهلال،بيروت ،2003م.
(٢) شلبي، محمود، حياة مريم ، ط1 ، دار الجيل، بيروت ، 1982 م.

أنفسهم، وبين فيه الفرق التي تؤلهها، و الفرق التي تنكر ذلك وذكر بعض العبادات المقدمة لها في الكنائس. (١)

4. كتاب مكانة السيدة مريم العذراء مقارنة بنساء العالمين في القرآن الكريم، من تأليف نعمة ناصر الشعراني:

يعرض هذا الكتاب مختلف جوانب حياة السيدة مريم العذراء كما وردت في القران الكريم والمصادر الإسلامية، والمواضيع العامة التي تناولها الكتاب هي: مولد السيدة مريم، البشارة والحمل، ولادتها المسيح، اجتباؤها على نساء العالمين، السيدة مريم العذراء عند الزهاد المسلمين . وعرضت المؤلفة مواضيع الكتاب للسيدة مريم بشكل مرتب، مع أن الجهة التي نشرت الكتاب قد انتقدته بأنه لم يرجع فيه إلى المصادر والمراجع الأصيلة، ولم تخرج أحاديثه، وأنه مليء بالإسرائيليات.

وقد قسم الكتاب على النحو التالي: مقدمة وفصل تمهيدي بعنوان: المرأة ودورها في المجتمع، تناولت فيه المرأة في العصور الوسطى، المرأة عند العرب، المرأة في الإسلام، ثم بابين:

الباب الأول: السيدة مريم العذراء وقسمته إلى خمسة فصول ، **الفصل الأول** : المولد والنشأة، **الفصل الثاني** : البشارة والحمل، **الفصل الثالث:** ولادتها المسيح المعجزة، **الفصل الرابع:** اجتباؤها على نساء العالمين **الفصل الخامس:** السيدة مريم العذراء عند الزهاد المسلمين.

الباب الثاني: نماذج المرأة في القرآن الكريم وقسمته إلى فصلين، الفصل الأول: أنموذج المرأة الصالحة، الفصل الثاني: أنموذج المرأة السيئة، ثم الخاتمة. (٢)

(ب). بعض المؤلفات التي رجعت إلى مصادر مسيحية

1. كيرلس بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر:

يتناول هذا الكتاب عرضا شاملا عن السيدة مريم في نصوص الأناجيل وفي عقيدة الكنيسة بطوائفها المختلفة، لكن الكتاب لم يميز بين رؤية الكنيسة

---

(١) الملكاوي، محمد، تأليه مريم ابنة عمران والعبادات المقدمة لها عند النصارى،مركز البحوث التربوية، الرياض 1992 م.

(٢) الشعراني، نعمة ناصر، مكانة السيدة مريم العذراء مقارنة بنساء العالمين في القرآن الكريم، ط1،دار ابن حزم، بيروت ، 1996م.

الكاثوليكية[1].وبين الأرثوذكسية إلا في بعض المواضع، مع أنه قد أفرد فصلا عن السيدة مريم في العقيدة الإنجيلية (البروتستانت). [٢]

2. إلياس نينو، حياة السيدة العذراء مريم ينبوع الحياة

يعرض هذا الكتاب وجهة النظر الأرثوذكسية حول السيدة مريم لكنه يخلط بين روايات الأناجيل المعتمدة والتقليد (الأناجيل غير المعتمدة) دون أن يميز بينها.[٣]

3. دوبره لاتور، الأب أوغسطين ، ترجمة: الأب يوسف قوشاقجي خلاصة اللاهوت المريمي.

يعرض هذا الكتاب القضايا الأساسية في دراسة حياة السيدة مريم ومكانتها فيما يسمى باللاهوت المريمي [٤]. ويتبنى الكاتب وجهة النظر الكاثوليكية في الطرح. [٥]

٣. مجموعة من المؤلفين، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله،، بيروت: مطبعة النور، 1983م.

يتضمن هذا الكتاب مقالات لعدد من الباحثين في اللاهوت المريمي من وجهة النظر الأرثوذكسية، وعالج هذا الكتاب أهم القضايا التي تتعلق بالسيدة مريم العذراء في العقيدة الأرثوذكسية. [٦]

---

(١) الكاثوليك: هم أتباع الكنائس الغربية التي يرأسها بابا الفاتيكان في روما. و كلمة: " الكاثوليك" كلمة لاتينية، تعني: "الجامع " أو "العام أو العالمي". انظر: زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، 1988م، ج2، ص1258

(٢) بسترس، كيرلس ،اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر مريم العذراء، ط 1، المكتبة البولسية، بيروت ، 1993 م. وسياتي التعريف بمختلف الطوائف المسيحية بما فيها البروتستانت في المبحث الثالث.

(٣) نينو، إلياس، حياة السيدة العذراء مريم ينبوع الحياة، ط1، مدارس الأحد، عمان ، 2000م.

(٤) اللاهوت المريمي: هو جزء من علم اللاهوت المسيحي العام يختص بدراسة العقائد المسيحية المتعلقة بمريم.

(٥) دوبره لاتور، أوغسطين، خلاصة اللاهوت المريمي،ط 2،(ترجمة: يوسف قوشاقجي)، دار المشرق، بيروت، 1992 م.

(٦) مجموعة من المؤلفين، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، مجموعة من المؤلفين، مطبعة النور، بيروت ، 1983 م.

الفصل الأول

السيدة مريم -عليها السلام- في المسيحية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نسبها و نشأتها وحياتها ووفاتها في المصادر المسيحية

المبحث الثاني: حمل السيدة مريم -عليها السلام- بالمسيح و ولادته

المبحث الثالث: الوصف الديني لمريم في. المسيحية

المبحث الأول

نسبها و نشأتها وحياتها ووفاتها في المصادر المسيحية

سنتحدث في هذا المبحث عن حياة السيدة مريم كما وردت في المصادر المسيحية المعتمدة منها وغير المعتمدة لنحصل على تصور واضح عن حياتها وفيما يلي تفصيل لكل ذلك:

المطلب الأول: مريم في نصوص العهد الجديد

لم يرد في الأناجيل الأربعة المعتمدة[١] لدى الكنائس تفصيل واف عن نشأة السيدة مريم عليه السلام، بل إن تركيز هذه الأناجيل كان ينصب على الفترة التي سبقت ولحقت ميلاد المسيح، حيث أن جل الروايات والأخبار التي تتداول في أعمال الكنائس حول مريم قبل ولادة المسيح ترجع إلى الأخبار التي وردت في ما يسمى الأناجيل المنحولة[٢] التي لا تعتبرها الكنيسة أناجيل معتمدة، وهذه الأخبار تظهر في الأعياد والصلوات والمناسبات الدينية في الكنائس.

وورد في معظم هذه الأناجيل اسم مريم صراحة، ويذكر قاموس الكتاب المقدس أن مريم اسم عبري معناه "عصيان" [٣] بمعنى المتمنعة العاصية على الذنوب، ويذكر جبرائيل فرح أن "مريم" اسم يمكن أن يرجع إلى جذور عبرية أو آرامية لأن الآرامية كانت مستخدمة في ذلك الوقت ولم يتفق شراح الكتاب المقدس على معنى واحدا لهذا الاسم، وأنه في صيغته الآرامية يعني السيدة أو الملكة [٤]. وأما النساء اللواتي حملن اسم مريم بالإضافة إلى السيدة مريم أم المسيح في الأناجيل الأربعة هن الشخصيات التالية:

---

(١) وهي أناجيل: متى ومرقس ولوقا ويوحنا.

(٢) الأناجيل المنحوله أو الأبوكريفية: هي النصوص الدينية والأخبار السابقة التي لا تصل درجة الثقة بها عند الطوائف المسيحية إلى درجة الثقة بالأناجيل الأربعة وتسمى كذلك التقليد والأبوكريفية، ومعنى أبوكريفيا: الخفي، الغامض، المبهم. حبيب، صموئيل وآخرون، دائرة المعارف الكتابية،ط 1، تحرير: وليم وهبه، دار الثقافة، القاهرة، 1988م،ج1، ص 38-39. وانظر: عبد الملك، بطرس وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص741.

(٣) عبد الملك، بطرس وآخرون، قاموس الكتاب المقدس،ط 10 ،دار الثقافة ،القاهرة، 1994م ، ص856-858.

(٤) فرح، جبرائيل، مريم أم المسيح، ط2، منشورات المكتبة البولسية،بيروت ، 1970م ، ص60-62.

١. امرأة حلفي (كلوبا) وأم يعقوب. [١]

٢. أخت لعازر ومرثا وتلميذة المسيح التي جلست عند قدميه. [٢]

٣. مريم المجدلية، يذكر لوقا أنها قد ابتليت بسبعة شياطين أخرجهم منها المسيح فاتبعته. ويذكر مرقس أنها كانت من جملة اللواتي ذهبن إلى القبر ليحنطن جسد المسيح. [٣]

وفيما يلي عرض للجوانب التي تتعلق بحياة السيدة مريم حسب ما وردت في الأناجيل الأربعة، وهذه الجوانب تدور حول أربعة مواضيع رئيسة هي: علاقتها بيوسف[٤]،الأخبار التي تتعلق بالبشارة بالمسيح وولادته، والأخبار التي ذكرت مريم في حياة المسيح.

أولا: نسبها في نصوص العهد الجديد

لم تذكر الأناجيل الأربعة المعتمدة نسب السيدة مريم صراحة، أما الأناجيل غير الرسمية فتصرح بأن أم مريم وأباها من بني إسرائيل من نسل داود. [٥] ويذكر

(١) حسب ما يذكر في العهد الجديد كانت من جملة اللواتي ذهبن إلى القبر ليحنطن جسد المسيح، جاء في مرقس: "وكانت أيضا نساء ينظرن من بعيد بينهن مريم المجدلية ومرية أم يعقوب الصغير ويوسي وسالومة" ،مرقس، 15: 40 ، وانظر كذلك 16: 1. وحلفي: اسم آرامي معناه (تبادل)، وهو زوج مريم أم يعقوب ويسمى كذلك كلوبا.

(٢) جاء في إنجيل لوقا "وفي ما هم سائرون دخل قرية فقبلته امرأة اسمها مرثا في بيتها. وكانت لهذه أخت تدعى مريم التي جلست عند قدمي يسوع وكانت تسمع كلامه" لوقا، 10: 38-40.

(٣) ذكر لوقا: "وعلى إثر ذلك كان يسير في مدينة وقرية يكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الإثنا عشر وبعض النساء كن قد شفين من أرواح شريرة وأمراض. مريم التي تدعى المجدلية التي خرج منها سبعة شياطين" لوقا، 8: 1-3، وانظر مرقس، 16: 1.

(٤) يوسف النجار، ويوسف اسم عبري معناه: يزيد، أورد كل من إنجيلي لوقا ومتى أنه من نسل داود ومن أقرباء مريم، تشير روايات الأناجيل على أنه كان خطيبا لمريم، وتختلف الطوائف المسيحية في تحديد طبيعة علاقته بمريم، وهذا ما سيتم تفصيلة في المطلب التالي. انظر: عبد الملك، بطرس وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص1115. ولم يرد في القرآن الكريم ذكر لهذه الشخصية.

(٥) فرح، مريم أم المسيح، ص58

لوقا أن مريم كانت من أقارب الياصبات [١].التي هي من نسل هارون و كانت زوجة زكريا "الكاهن"[٢]. من فرقة أبيا. [٣]

" كان فى أيام هيرودس[٤]. ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيّا، وامرأته من بنات هارون ،واسمها أليصابات."[٥] ويذكر العهد القديم أن هارون هذا من سبط لاوى[٦].

وكان اليهود في عادات زواجهم يتبعون قانوناً ينص على أن كل بنت تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها كما يذكر سفر العدد في العهد القديم، ولذلك تكون مريم كذلك من سبط لاوى من بنات هارون كما هي قريبتها أليصابات. [٧]

ثانيا: علاقتها بيوسف في نصوص الأناجيل

أورد إنجيلا متى ولوقا روايات متناقضة فيما بينها يصعب من خلالها تحديد طبيعة العلاقة بين مريم ويوسف، فتارة تشير هذه الروايات إلى أن يوسف كان مجرد خطيب لمريم ولم يعش معها حياة زوجية، [٨] وأن ولادة المسيح لم تكن بسببه

---

(١) أليصابات: الصيغة اليونانية للاسم العبري (اليشابع) الذي معناه الله قد أقسم، وأليصابات هي زوجة زكريا وهي من سبط لاوى. انظر: حبيب، صموائيل وآخرون، ج1، ص 408

(٢) معنى الكاهن كما ورد في لوقا الشخص الذي يتولى أمور العبادة. انظر: عبد الملك، بطرس وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص791. وفي الإسلام زكريا –عليه السلام– من الأنبياء الذين ذكروا في القرآن الكريم، فورد ذكره في الآيات الكريمة التالية: آل عمران: 37، 38؛ الأنعام: 85، مريم: 2– 7، الأنبياء: 89.

(٣) هي أحدى الفرق الكهنية الأربع والعشرين عند اليهود التي يعتبرون أن داود قد شكلها من أجل خدمة الهيكل. انظر: عبد الملك، بطرس وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص25.

(٤) وهو هيرودوس الكبير، أدومي الأصل، ملك اليهود على الجليل وفتح القدس بمعونة الرومان سنة 37 ق.م، ولد المسيح في آخر أيامه، مات في السبعين من عمره بعد أن حكم أربعا وثلاثين سنة. انظر عبد الملك، بطرس وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص1008–1009.

(٥) لوقا ، 1: 5، 1: 36.

(٦) لاوى: اسم عبري معناه (مقترن) وهو اسم ثالث أبناء يعقوب من امرأته ليئة، واللاويون: هم الرجال الذين من سبط لاوى المكلفون بالاهتمام بشؤون العبادة، وكان هارون المذكور هنا منهم. انظر: عبدالملك، بطرس وآخرون قاموس الكتاب المقدس، ص806–807.

(٧) أبو بكر، علاء، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،ط 1، مكتبة وهبة،القاهرة، 1997م، ص168–169

(٨) متى، 1: 19

وتارة تصفه نصوص الإنجيلين على أنه زوجها وأب للمسيح وتنسب المسيح إليه. [١]

وترى معظم الطوائف المسيحية وفي مقدمتها الكاثوليك [٢] والأرثوذكس [٣] أن يوسف كان كافلا لمريم وراعيا لها وليس زوجا كسائر الأزواج، وتشكل فكرة دوام بتولية مريم (بقاؤها عذراء) قضية خلافية بين كل من الكاثوليك والأرثوذكس الذين يقولون بدوام بتوليتها من جهة وبين البروتستان ت [٤] الذي ن يرفضون ذلك ويرون أنها تزوجت من يوسف ، وهذا ما نفصله لاحقا في المطلب الرابع من هذا المبحث.

فتشير بعض نصوص الأناجيل إلى أن مريم كانت تسكن الناصرة [٥] مخطوبة لرجل من نسل داود، وفي نفس الوقت تؤكد هذه ال نصوص أنه لا توجد علاقة زوجية بينهما قبل ولادة المسيح عليه السلام، ومن النصوص الدالة على ذلك ما ورد في إنجيل لوقا: "وفي الشهر السادس من حمل أليصابات أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة. إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف. واسم العذراء مريم".[٦]

وما ورد في إنجيل متى: "أما ولادة يسوع [٧] المسيح فكانت هكذا. لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس"[٨].

---

(١) متى، 1: 16، سيأتي ذكر هذا النسب مفصلا لاحقا.

(٢) الكاثوليك: هم أتباع الكنائس الغربية التي يرأسها بابا الفاتيكان في روما. و كلمة: " الكاثوليك" كلمة لاتينية، تعني: "الجامع " أو "العام أو العالمي". انظر: زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، ج2، ص1258

وسياتي ذكر اعتقاداتهم حول السيدة مريم بالتفصيل في المبحث الثالث.

(٣) الأرثوذكس هم أتباع الكنائس الشرقية (اليونانية)، وكلمة "أرثوذكس" (Orthodoxy) كلمة لاتينية معناها: "صحيح العقيدة" أو "مذهب الحق"، وأشهر كنائسهم: البطرياركية المسكونية في القسطنطينية، والكنيسة اليونانية وكنيسة الإسكندرية والكنيسة القبرصية، وكنيسة القدس وبطرياركية أنطاكيا. انظر: زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، ج2، ص1260. وسياتي ذكر اعتقاداتهم حول السيدة مريم بالتفصيل في المبحث الثالث.

(٤) البروتستانت هم في الأصل من أتباع الكنيسة الكاثوليكية، وكلمة "بروتستانت" كلمة إنجليزية معناها: المحتجون. وقد انشق البروتستانت عن الكنسية الكاثوليكية في منتصف القرن السادس عشر وبعد عدة احتجاجات على بعض اعتقادات الكنيسة وممارسة باباواتها. انظر: حنفي، عبد المنعم، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999م، ج1، ص284. وسياتي ذكر اعتقاداتهم حول السيدة مريم بالتفصيل في المبحث الثالث.

(٥) لوقا 1: 26.

(٦) لوقا، 1: 26-27

(٧) الصيغة العربية للاسم العبري يشوع ومعنى الاسم المخلص، ويسوع في المسيحية اسمه الشخصي أما المسيح فهو لقبه، عبد الملك، بطرس وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص134-135.

(٨) متى، 1: 19

لكن بعض النصوص تذكر ب أن يوسف كان زوجا لمريم، حيث تنسب المسيح إلى يوسف، وتنص على أن يوسف "رجل مريم"، فجاء في إنجيلي متى ولوقا النصان التاليان:

"...وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ"[١]

"وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ ابْنِ هَالِي.." [٢]

ومن النصوص التي تعتبر أن مريم كانت زوجة ليوسف بعد ولادة المسيح النصان التاليان:

"وأخذ امرأته. ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع"[٣]

"وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح[٤]"

وجاءت نصوص في انجيل مرقس تظهر وجود إخوة للمسيح:

"أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان. أوليست أخواته ههنا عندنا".[٥]

وورد في إنجيلي متى ولوقا نصوص تنسب المسيح –عليه السلام– إلى يوسف ابن يعقوب –أو يوسف بن هالي كما جاء في رواية لوقا–، ففي بداية الإصحاح الأول من إنجيل متى تبدأ سلسلة نسب المسيح من أصوله العليا بإبراهيم لتنتهي شجرة النسب بيوسف الذي اعتبره هذا الإنجيل "رجل" مريم التي ولدت المسيح . فجاء في بداية الإصحاح الأول من إنجيل متى هذا النص:

"كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم. إِبْرَاهِيمُ وَلَدَ إِسْحَاقَ. وَإِسْحَاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ. وَيَهُوذَا وَلَدَ فَارِصَ وَزَارَحَ مِنْ ثَامَارَ. وَفَارِصُ وَلَدَ حَصْرُونَ. وَحَصْرُونُ وَلَدَ أَرَامَ. وَأَرَامُ وَلَدَ عَمِّينَادَابَ. وَعَمِّينَادَابُ وَلَدَ نَحْشُونَ. وَنَحْشُونُ وَلَدَ سَلْمُونَ. وَسَلْمُونُ وَلَدَ بُوعَزَ مِنْ رَاحَابَ.

---

(١) متى، 1: 16، سيأتي ذكر هذا النسب مفصلا لاحقا.
(٢) لوقا، 3: 23–38، سيأتي ذكر هذا النسب مفصلا لاحقا.
(٣) متى 1:24–25
(٤) لوقا، 2: 41
(٥) مرقس، 6: 3.

وَبُوعَزُ وَلَدَ عُوبِيدَ مِنْ رَاعُوثَ. وَعُوبِيدُ وَلَدَ يَسَّى. وَيَسَّى وَلَدَ دَاوُدَ الْمَلِكَ. وَدَاوُدُ الْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ مِنَ الَّتِي لأُورِيَّا. وَسُلَيْمَانُ وَلَدَ رَحَبْعَامَ. وَرَحَبْعَامُ وَلَدَ أَبِيَّا. وَأَبِيَّا وَلَدَ آسَا. وَآسَا وَلَدَ يَهُوشَافَاطَ. وَيَهُوشَافَاطُ وَلَدَ يُورَامَ. وَيُورَامُ وَلَدَ عُزِّيَّا. وَعُزِّيَّا وَلَدَ يُوثَامَ. وَيُوثَامُ وَلَدَ أَحَازَ. وَأَحَازُ وَلَدَ حَزَقِيَّا. وَحَزَقِيَّا وَلَدَ مَنَسَّى. وَمَنَسَّى وَلَدَ آمُونَ. وَآمُونُ وَلَدَ يُوشِيَّا. وَيُوشِيَّا وَلَدَ يَكُنْيَا وَإِخْوَتَهُ عِنْدَ سَبْيِ بَابِلَ. وَبَعْدَ سَبْيِ بَابِلَ يَكُنْيَا وَلَدَ شَأَلْتِئِيلَ. وَشَأَلْتِئِيلُ وَلَدَ زَرُبَّابِلَ. وَزَرُبَّابِلُ وَلَدَ أَبِيهُودَ. وَأَبِيهُودُ وَلَدَ أَلِيَاقِيمَ. وَأَلِيَاقِيمُ وَلَدَ عَازُورَ. وَعَازُورُ وَلَدَ صَادُوقَ. وَصَادُوقُ وَلَدَ أَخِيمَ. وَأَخِيمُ وَلَدَ أَلِيُودَ. وَأَلِيُودُ وَلَدَ أَلِيعَازَرَ. وَأَلِيعَازَرُ وَلَدَ مَتَّانَ. وَمَتَّانُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ"[١]

لكن إنجيل متى وهو ينسب السيد المسيح إلى يوسف بن يعقوب، يورد في نفس الإصحاح نصا يصرح فيه أن حمل مريم حصل بواسطة الروح القدس وليس من قبل يوسف الذي ذكر بأنه كان خطيبا لها ولم يجتمع بها، فجاء في الإصحاح الأول:

"أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا. لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس".[٢]

أما رواية إنجيل لوقا فيلاحظ أنها تختلف عن رواية متى في الأسماء وأنها مرتبة بطريقة تصاعدية فورد في الإصحاح الثالث منه:

"وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ بْنِ هَالِي بْنِ مَتْثَاتَ بْنِ لاَوِي بْنِ مَلْكِي بْنِ يَنَّا بْنِ يُوسُفَ بْنِ مَتَّاثِيَا بْنِ عَامُوصَ بْنِ نَاحُومَ بْنِ حَسْلِي بْنِ نَجَّاي بْنِ مَآثَ بْنِ مَتَّاثِيَا بْنِ شِمْعِي بْنِ يُوسُفَ بْنِ يَهُوذَا بْنِ يُوحَنَّا بْنِ رِيسَا بْنِ زَرُبَّابِلَ بْنِ شَأَلْتِئِيلَ بْنِ نِيرِي بْنِ مَلْكِي بْنِ أَدِّي بْنِ قُصَمَ بْنِ أَلْمُودَامَ بْنِ عِيرِ بْنِ يُوسِي بْنِ أَلِيعَازَرَ بْنِ يُورِيمَ بْنِ مَتْثَاتَ بْنِ لاَوِي بْنِ شِمْعُونَ بْنِ يَهُوذَا بْنِ يُوسُفَ بْنِ يُونَانَ بْنِ أَلِيَاقِيمَ بْنِ مَلَيَا بْنِ مَيْنَانَ بْنِ مَتَّاثَا بْنِ نَاثَانَ بْنِ دَاوُدَ بْنِ يَسَّى بْنِ عُوبِيدَ بْنِ بُوعَزَ بْنِ سَلْمُونَ بْنِ نَحْشُونَ بْنِ عَمِّينَادَابَ بْنِ آرَامَ بْنِ حَصْرُونَ بْنِ فَارِصَ بْنِ يَهُوذَا بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ تَارَحَ بْنِ نَاحُورَ بْنِ سَرُوجَ

---

(١) متى، 1: 1-16

(٢) متى، 1: 18

بْنِ رَعُو بْنِ فَالَجَ بْنِ عَابِرَ بْنِ شَالَحَ بْنِ قِينَانَ بْنِ أَرْفَكْشَادَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحِ بْنِ لاَمَكَ بْنِ مَتُوشَالَحَ بْنِ أَخْنُوخَ بْنِ يَارِدَ بْنِ مَهْلَلْئِيلَ بْنِ قِينَانَ بْنِ أَنُوشَ بْنِ شِيتِ بْنِ آدَمَ ابْنِ اللهِ".[1]

ويلاحظ على صيغة النصوص التي وردت في الإنجيلين المذكورين أنها صيغة ظنية وليست قطعية، بمعنى أن راويي الإنجيلين قد نسبا المسيح إلى يوسف على سبيل الظن لا القطع، ويدل على ذلك ما ورد في لوقا: "وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ"، كما أن متى لم يصرح بأن يوسف هو أب للمسيح، بل إنه قد ذكر بأن "يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ "،[2] كما ورد في النص السابق، ولم يقل بأن يوسف ولد المسيح، كما ذكر في جميع عناصر سلسلة النسب السابقة له.

ثالثا: الأخبار التي رافقت ولادة المسيح عليه السلام

تشير رواية إنجيل لوقا لقصة ولادة يحيى (يوحنا) قبيل ولادة المسيح، وتذكر أن هناك قرابة بين زوجة زكريا -عليه السلام- أليصابات التي هي من بنات هارون وبين مريم عليها السلام. وأن مريم كانت تقيم في مدينة الناصرة، و بعد ستة أشهر من حمل أليصابات أرسل الله -سبحانه وتعالى- إليها جبرائيل في مدينة الناصرة.

يشير إنجيل لوقا إلى أن حمل مريم بالمسيح كان بعد ستة أشهر من حمل قريبتها أليصابات "بيوحنا" حيث ورد النص التالي: "وهو ذا أليصابات نسيبتك هي أيضا حبلى بابن في شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا"[3].

كما يشير إنجيل لوقا إلى الحوار الذي جرى بين مريم والملاك حيث إن الملاك بشر مريم بأنها سوف تكون أما للمسيح، وأن مريم استغربت من هذا الأمر لكن الملاك ذكرها بما حصل لليصابات وأن الله قادر على فعل ذلك.[4]

---

(1) لوقا، 3 :23-38

(2) متى، 1: 1

(3) لوقا، 1: 36

(4) لوقا، 1: 28-35

"فَقَالَ لَهَا الْمَلاكُ: لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هَذَا يَكُونُ عَظِيماً وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ ، فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا. فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تضلك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله".[١]

وقامت مريم بعد ذلك بزيارة أليصابات التي فرحت بمجيئها ، حيث ورد في لوقا النص التالي:

"ودخلت بيت زكريا وسلمت على إلياصبات. فلما سمعت إلياصبات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها، وامتلأت إلياصبات من الروح القدس. وصرخت بصوت عظيم وقالت مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك"[٢].

يظهر من خلال روايات الأناجيل أن مدة حمل مريم بالمسيح هي مدة طبيعية، حيث يروي لوقا أن مريم مكثت عند أليصابات مدة ثلاثة أشهر وهي حامل ورد في لوقا النصان التاليان: "فمكثت مريم عندها نحو ثلاثة أشهر ثم رجعت إلى بيتها".[٣] "وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد".[٤]

ولا تكشف روايات العهد الجديد بشكل صريح طبيعة المكان الذي حدثت به عملية الولادة تحديدا، ولكن ورد أن مريم انتقلت قبل ولادة المسيح من الناصرة إلى بيت لحم، وأن ولادة المسيح كانت في بيت لحم، وبعد أن ولدت ووضعت المسيح في المذود لأنه ليس لها مكان في البيت. [٥]

"فصعد يوسف أيضا من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التي تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ليكتتب مع مريم امرأته

---

(١) لوقا: 1: 30-35
(٢) لوقا، 1: 40-42
(٣) لوقا، 1: 56.
(٤) لوقا، 2: 6
(٥) لوقا، 2: 6-8، المذود: المكان الذي يوضع به الطعام للماشية.

المخطوبة وهي حبلى. وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد. فولدت ابنها البكر وقمطته واضجعته في المذود إذ لم يكن لهما موضع في المنزل".[١]

فيصرح النص السابق بأن الولادة كانت في بيت لحم، ولا يفهم منه ضرورة أن الولادة كانت في البيت الذي أقامت فيه مريم في بيت لحم، فيمكن أن تكون عملية الولادة قد حدثت خارج البيت في ضواحي مدينة بيت لحم أو بعيدا عنها، وبعدها بفترة عادت مريم بالوليد وقمطته ووضعته في المذود حسب ما ذكر الإنجيل، ومن هنا يمكن القول بأن نص الأنجيل المذكور لا يعارض ما أورده القرآن الكريم من أن مكان الولادة كان في البر، وهذا ما سيتم تفصيله في الفصل الثاني.

ووردت بعض الروايات المتعلقة بهذه القصة كما يلي:

" فيوسف رجلها إذ كان بارا و لم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا، و لكن فيما هو متفكر في هذه الأمور اذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلا يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لان الذي حبل به فيها هو من الروح القدس، فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع"[٢].

"هو ذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عم ا نوئيل الذي تفسيره الله معنا. فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع"[٣]

ويروي إنجيلا متى ولوقا أن بعض خوارق العادات قد رافقت ولادة المسيح منها: النجم الذي رآه المجوس في المشرق، ورؤية الرعاة للملاك في الليل، حيث ورد النصان التاليان:

"ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودوس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له".[٤]

---

(١) لوقا، 2: 4-7
(٢) متى، 1: 18-21
(٣) متى، 1: 24-25
(٤) متى، 2: 1-2. وانظر متى، 2: 9-11

"وكان في تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم. وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم فخافوا خوفا عظيما. فقال لهم الملاك لا تخافوا فهاأنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب. أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب. وهذه لكم العلامة تجدون طفلا مقمطا مضجعا في مذود وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله".[١]

وتشير رواية لوقا أن المسيح عندما أكمل الثمانية أيام من عمره تم ختنه وتسميته يسوع وعندما أكملت مريم عدة طهارتها حسب شريعة موسى صعدوا به إلى القدس (أورشليم) كطقس من طقوس ذلك الوقت.

"ولما تمت ثمانية أيام ليختتنوا الصبي سمي يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به في البطن. ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى صعدوا به إلى أورشليم ليقدموه للرب".[٢]

"وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح"[٣].

وخوفا من بطش هيرودوس بالطفل فقد هربت مريم بطفلها مع يوسف إلى مصر، ثم رجعوا بعد موت الملك وأقاموا في مدينة الناصرة.

"حينئذ لما رأى هيرودس أن المجوس سخروا به غضب جدا. ف أرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومه ا من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذي تحققه من المجوس".[٤]

"فقام وأخذ الصبي وأمه ليلا وانصرف إلى مصر. وكان هناك إلى وفاة هيرودوس[٥]".

"فلما مات هيرودوس إذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر. قائلا، قم وخذ الصبي وأمه و اذهب إلى أرض إسرائيل لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي فقام وأخذ الصبي وأمه وجاء إلى أرض إسرائيل". [٦]

---

(١) لوقا، 2: 8-13
(٢) لوقا، 2: 21-24
(٣) لوقا، 2: 41
(٤) متى 2: 16-17
(٥) متى، 2: 14-15
(٦) متى، 2: 19-21

رابعا: مريم في حياة المسيح حسب نصوص الأناجيل

لا تعرض الأناجيل أخبارا تظهر دورا مهما للسيدة مريم العذراء في حياة المسيح، والأخبار التي تتناول مريم في هذا المجال يمكن تلخيصها على النحو التالي:

- الأول: ما روته الأناجيل الثلاثة: متى ولوقا ومرقس أن المسيح في أثناء كلامه مع تلاميذه، وإذا بأمه وإخوته قادمين إليه طالبين أن يكلموه.

"وفيما هو يكلم الجموع إذا أمه وإخوته قد وقفوا خارجا طالبين أن يكلموه"[١]

- الثاني: ما ورد في عرس قانا الجليل، حيث أورد يوحنا النص التالي: "وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك ودعي أيضا يسوع وتلاميذه إلى العرس، ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر، قال لها يسوع مالي ولك يا امرأة لم تأت ساعتي بعد، قالت أمه للخدام مهما قال لكم فافعلوه"[٢].

- الثالث: ماذكره يوحنا بداية الإصحاح الثاني من أنها رافقته إلى كفر ناحوم "وبعد هذا انحدر إلى كفر ناحوم هو وأمه وإخوته وتلاميذه وأقاموا هناك أياما ليست كثيرة".[٣]

- الرابع: ما ذكره يوحنا من أن مريم كانت موجودة عند صلب يسوع "وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية".[٤]

"فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفا قال لأمه يا امرأة هو ذا ابنك. ثم قال للتلميذ هو ذا أمك ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته".[٥]

ويدل إخفاء الاناجيل لدور السيدة مريم في حياة المسيح، على أن الأناجيل الأربعة قد أغفلت محطات ومواقف مهمة في حياة المسيح، فلا يعقل أن تكون علاقة مريم بابنها المسيح في هذه الصورة الثانوية.

---

(١) متى، 12: 46-50، وفي لوقا، 8: 19-21، وفي مرقس، 3: 31-35
(٢) يوحنا، 2: 1-5.
(٣) يوحنا، 2: 12
(٤) يوحنا، 19: 25.
(٥) يوحنا، 19: 26-27.

المطلب الثاني: مريم في الأناجيل غير المعتمدة لدى الكنيسة

معظم الأخبار التفصيلية عن حياة السيدة مريم نجدها في الأناجيل غير المعتمدة أو المنحولة (الأبوكريفية) أو ما يسمى التقليد وأشهر هذه الكتب: (١)

1. إنجيل يعقوب
2. إنجيل متى المنحول
3. إنجيل ولادة مريم
4. إنجيل توما
5.كتاب الطفولة الأرمني
6. إنجيل الطفولة العربي
7.قصة يوسف النجار
8. قصة انتقال مريم
9. صعود أشعياء

ومعظم التفاصيل التي تتعلق بنشأة السيدة مريم مأخوذه من هذه المصادر وتتلخص بعض الأخبار الإضافية التي أضافها الأدب الأبوكريفي (الكتب المنحولة) بمايلي: (٢)

- والدها اسمه يوكايم أو يوقايم وفي بعض المصادر يوناخير ويوشيم ، من سبط يهوذا من نسل داود، ووالدتها حنة ابنة الكاهن متان من قبيلة هارون. (٣)

- كانت حنة عاقرا ومتقدمة في السن، فلجأت إلى الله داعية له أن يرزقها ابنا، وبينما هي في دعاء رأت عصفورا له فراخ في عشه فدعت الله متضرعة ناحبة أن لا يجعلها سخرية لبني إسرائيل، فاستجاب دعاءها وأرسل لها ملاكا بشرها

---

(١) مجموعة من المؤلفين، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، ص30-31

(٢) كرمو، كوركيس، قصة مريم العذراء وسيرة ربنا على الأرض حسب التقليد، (ترجمة: مانوئيل بوجي)، مؤسسة أورنيت، الولايات المتحدة الامريكية/متشكن ، 1986م. هذا الكتاب السابق، يلخص قصص الكتب الأبوكريفية التالية: إنجيل متى المنحول، وإنجيل مارل يعقوب، وإنجيل الطفولة وإنجيل توما، وإنجيل ولادة العذراء وانتقالها. صناديقي، خالد، قصص القرآن والقصص في الديانات الأخرى دراسة مقارنة، ط 1، 1996م،ص398-400؛ مجموعة من المؤلفين، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، ص32-33.

(٣) كرمو، قصة مريم العذراء وسيرة ربنا على الأرض حسب التقليد، ص30.

بالحمل والولادة. ويذكر إنجيل يعقوب نذر أم مريم، حيث قالت: "إذا ولدت ذكرًا أم أنثى فإني سأقدمه عطاًء للرب إلهي، وسيكون خادمًا له كل حياته"[١]

- كرست مريم لله منذ طفولتها وأدخلت الهيكل في سن الثالثة، وكان الملاك يأتيها بالطعام وهي هناك. [٢]

- عندما بلغت الثانية عشرة من عمرها -وفي رواية العشرين من عمرها- طلب رئيس الكهنة من يوسف أن يخطبها ، وكان يوسف شيخًا مترملاً له أولاد. ووردت رواية مفادها أن كبير الكهنة طلب من بني إسرائيل أن يجتمعوا لينظروا في أمر مريم التي بلغت سن الفتوة، حيث دخلت مريم في كفالة رجل كبير في السن اسمه يوسف. وكأن الروايات هذه تشير إلى أن يوسف الرجل الكبير في السن قد وافق على أخذ مريم ككافل لها، والذي يدل على ذلك ما تذكره الروايات من أن يوسف عندما رجع من بيت لحم ورأى مريم حاملاً قال: "أخذت هذه الفتاة عذراء من الرب ولم أحافظ عليها".[٣] وأورد إنجيل يعقوب رواية مشابهة إلى حد ما لما ورد في القرآن الكريم من أن كهان الهيكل قد أحضروا أعواداً أو أقلاماً وأعطوها لزكريا لكي يختار من بينهم من يكفل مريم. [٤]

- تذكر الأناجيل غير المعتمدة أن مريم عندما شوهدت حاملاً، حقق الكهنة معها ومع يوسف، ووجهوا اللوم لهما على أساس أنهما ما زالا خطيبين لم يحن زواجهما بعد. وبعد إنكارهما لاتهامات الكهان، خلص الكهان فيما بعد إلى أن يفحصوهما بشراب معين يكشف الكذب، وحسب هذا الاختبار تبين أنهما صادقان. [٥]

- أكثر روايات الأناجيل غير المعتمدة تشير إلى أن مريم قد ولدت المسيح في مغارة. [٦] وأورد إنجيل متى غير الرسمي قصة ولادة المسيح، وذكر بأن مريم

---

(١) كرمو، قصة مريم العذراء وسيرة ربنا على الأرض حسب التقليد، ص30-31؛ وانظر: صناديقي، قصص القرآن والقصص في الديانات الأخرى دراسة مقارنة، ص399.
(٢) صناديقي، المرجع السابق نفسه، ص400.
(٣) كرمو، قصة مريم العذراء وسيرة ربنا على الأرض حسب التقليد، ص 36؛ وانظر: صناديقي، قصص القرآن والقصص في الديانات الأخرى دراسة مقارنة، ص400.
(٤) كرمو، قصة مريم العذراء وسيرة ربنا على الأرض حسب التقليد، ص 36؛ وانظر: صناديقي، قصص القرآن والقصص في الديانات الأخرى دراسة مقارنة، ص400.
(٥) كرمو، قصة مريم العذراء وسيرة ربنا على الأرض حسب التقليد، ص40-41.
(٦) كرمو، المرجع السابق نفسه، ص42-43.

بعد ولادتها المسيح بثلاثة أيام استراحت تحت ظل نخلة، وخاطب المسيح النخلة فانحنت فأكلا منها ونبع ماء من جذع النخلة ليشربوا منه. (١)

- يذكر إنجيل متى غير الرسمي كلام عيسى في المهد مخاطبا أمه بعد الولادة بفترة قصيرة. (٢)

- كان لحنة أختان هما مريم وصوفيا أم ألياصبات والدة يوحنا المعمدان وبذلك تكون ألياصبات ابنة خالة مريم. وتذكر الروايات كذلك وجود أخت لمريم اسمها فرجة. (٣)

- يذكر في هذه الروايات بأن مريم بعد صعود المسيح قد عاشت في أورشليم مع الرسل وفي روايات كانت وحدها، وكانت تزور مغارة قبر المسيح للصلاة. (٤)

- تآمر اليهود على مريم لقتلها. لأنها كانت تأتي إلى القبر، لكنها عرفت المؤامرة ورجعت إلى بيتها في بيت لحم ومعها ثلاث فتيات. (٥)

- شكوى اليهود التي قدموها للحاكم بخصوص مريم لأنها قد شفت الناس، فرد دعوتهم وحذرهم من أن يمسوها بسوء. وزيارة الحاكم وابنه المريض لمريم وشفاء مريم لابنه. (٦)

- جاءها الملاك بعد اثنتين وعشرين سنة من صعود المسيح وفي رواية بعد أربع عشرة سنة، وأخبرها بأن أيامها على الأرض قد انتهت فطلبت من الرسل أن يجتمعوا حولها ليشهدوا موتها ثم انتقالها إلى السماء. (٧)

- شيع جمع كبير جنازة مريم ودفنوها في مغارة قرب جبل الزيتون، ولم تنجح محاولة اليهود أن يحرقوا جسدها. وعندما ذهبوا ليلا إلى قبرها ليمثلوا بجسدها

---

(١) صناديقي، قصص القرآن والقصص في الديانات الأخرى دراسة مقارنة، ص402.
(٢) صناديقي، المرجع السابق نفسه، ص404.
(٣) مجموعة من المؤلفين، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، ص 32؛ وانظر: كرمو، قصة مريم العذراء وسيرة ربنا على الأرض حسب التقليد، ص34.
(٤) كرمو، قصة مريم العذراء وسيرة ربنا على الأرض، ص76-77.
(٥) كرمو، المرجع السابق نفسه، ص78-79.
(٦) كرمو، المرجع السابق نفسه، ص82-87.
(٧) كرمو، المرجع السابق نفسه، ص78-79.

لم يجدوها في القبر، ووجدوا نورا يسطع في المغارة، فعملوا على تدنيس المغارة.(١)

المطلب الثالث :وفاة مريم وعقيدة صعودهاعند الطوائف المسيحية

لم يرد في الأناجيل الرسمية ما يدل على كيفية وفاة السيدة مريم، ولا عروجها إلى السماء بل إن هذا الموضوع بات خلافاً بين الطوائف المسيحية تبعاً للروايات التي تعتمدها الكنيسة، وكذلك تبعاً للقرارات العقدية التي اعتمدها آباء الكنيسة في وصفهم للسيدة مريم، فترى الكنيسة الأرثوذكسية أن مريم العذراء قد ماتت مثلها مثل جميع البشر، بسبب الخطيئة لأنها من صلب آدم لكن ابنها نقلها من الموت إلى الحياة، ورفعها إلى السماء، .أما التعليم الكاثوليكي الذي أعلن سنة 1950م فيقول بأن مريم قد صعدت بالجسد إلى السماء لأنها قد تميزت عن سائر البشر بكونها خارج الخطيئة الأصلية، فلا يمكن أن تموت لذلك صعدت إلى السماء بجسدها. (٢)فالكاثوليك يربطون بين عقيدة الحبل بلا دنس و فكرة انتقال مريم بجسدها؛ حيث أن مريم قد تميزت عندهم عن سائر البشر بأنها ولدت مبرأة من الخطيئة الأصلية فلا ينبغي أن يفسد جسدها ويبقى في القبر، فيذكرون أنها قامت من القبر وصعدت للسماء بنفسها وجسدها(٣).

أما البروتستانت فلا يلتزمون بما قررته الكنيسة الكاثوليكية فيما يخص انتقال العذراء للسماء، وفي ذلك يعلق مارتن لوثر على فكرة صعود مريم بقوله: "لا نستطيع أن نستنتج من الإنجيل وجود العذراء في السماء، وليس من الضروري أن نعرف مصير القديسين في السماء".(٤)

وفيما يخص المكان الذي دفنت فيه مريم تشير الروايات الكنسية إلى مكانين الأول: في مدينة إفسس(٥)،والثاني في مدينة القدس، ويرجع هذا إلى اختلاف

---

(١) كرمو، قصة مريم العذراء وسيرة ربنا على الأرض حسب التقليد، ص88-89.
(٢) مجموعة من المؤلفين، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، ص161
(٣) البستاني، كرم، سلطانة العذارى، المطبعة الكاثوليكية،بيروت ، 1959م ، ص66.
(٤) توريان، ماكس، مريم أم الرب ورمز الكنيسة،ط 2، (ترجمة: خليل رستم)،دار المشرق،بيروت ، 1992م، ص99 . ورجح أنها دفنت في القدس كل من فرح ودوبرا لاتور، مجموعة من مؤلفين، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، ص33. فرح، مريم أم المسيح، ص292-293.
(٥) مدينة تقع الآن جنوب تركيا. ومعنى إفسس في اليونانية المرغوبة. دائرة المعارف الكتابية، ج 1، ص347.

الروايات في هذا الموضوع. [١] ومن الصعب تحديد المكان الذي توفيت فيه أو دفنت فيه لأن الروايات التي ذكرت عبارة عن أخبار كنسية لا يمكن التحقق من صحتها. وأما الروايات الذي ذكرت بأنها قد دفنت في مدينة القدس ربما تكون أقرب للصواب من غيرها، حيث أنها المدينة المقدسة التي نشأت فيها مريم والتي ترتبط بها برابط الإيمان والقرابة. [٢].

وأما بخصوص عمر مريم فهو أمر مختلف فيه فبعض روايات الأناجيل غير المعتمدة تشير إلى أنها عاشت ثمان وخمسين سنة وبعضها يشير إلى أنها عاشت إحدى وستين سنة . وذكر البستاني ان المجمع عليه انها لم تتجاوز الثالثة والستين.[٣]

---

(١) دوبره لاتور، خلاصة اللاهوت المريمي، مريم وكهنوتها، ص 94؛ وانظر: فرح، مريم أم المسيح، ص 292.

(٢) ورجح أنها دفنت في القدس كل من فرح ودوبرا لاتور. فرح، مريم أم المسيح، ص 292–293. دوبره لاتور، خلاصة اللاهوت المريمي، مريم وكهنوتها، ص 94؛ مجموعة من مؤلفين، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، ص33

(٣) كرمو، قصة مريم العذراء وسيرة ربنا على الأرض حسب التقليد، ص 36؛ وانظر: صناديقي، قصص القرآن والقصص في الديانات الأخرى دراسة مقارنة، ص 400.؛ البستاني ، سلطانة العذارى ، ص 67

المبحث الثاني

حمل السيدة مريم -عليها السلام- بالمسيح و ولادته

تشير النصوص التي وردت في الأناجيل المعتمدة لدى أغلبية الطوائف المسيحية إلى أن حمل مريم بالمسيح لم يكن حملا طبيعيا، وأنه كان عن طريق تصرف الملاك، وتعرض هذه الأناجيل بعض الأحداث والتفاصيل التي رافقت حمل مريم بالمسيح وولادتها له وفيما يلي تفصيل لما يتعلق بعملية الحمل والولادة وعقائد النصارى في ذلك كما وردت في المصادر المسيحية.

المطلب الأول: الحمل والولادة في نصوص الأناجيل

من خلال استقراء النصوص الواردة في أناجيل متى ولوقا -أكثر الأناجيل الأربعة رواية لقصة الحبل- نستطيع أن نلخص ما ورد في موضوع حبل مريم وولادتها:

- ما ورد في متى من أن مريم كانت مخطوبة لرجل اسمه يوسف لكنه لم يتزوجها قبل ميلاد المسيح. (١)
- ما ورد في متى من أن مريم قد حبلت بواسطة الروح القدس. (٢)
- ما ورد في متى من أن المكان الذي ولد به بيت لحم، والتاريخ أيام هيرودوس الملك. (٣)
- ما ورد في لوقا أنها "ولدت ابنها البكر وقمطته واضجعته في المذود إذ لم يكن لهما موضع في المنزل".(٤)
- ما ورد في لوقا من أن المسيح ختن وسمي بعد ثمانية أيام من ولادته.(٥)
- ما ورد في متى أيضاً من أن يوسف ومريم هربا إلى مصر خوفاً من هيرودس ثم عادا بعد موته. (٦)

---

(١) متى، 1: 18
(٢) متى، 1: 18-21
(٣) متى،2:1
(٤) لوقا، 2: 7
(٥) لوقا، 2: 21
(٦) متى 2: 13-21

المطلب الثاني: تاريخ الميلاد ومكانه

يذهب الباحثون في التاريخ المسيحي إلى أن التاريخ الميلادي الحالي لا يعبر عن التاريخ الدقيق لميلاد المسيح، فإذا كنا في عام 2007م لا يعني ذلك تحديدا أنه مر 2007م أعوام على ميلاد المسيح، وفي محاولات جهات كنسية مختلفة لتحديد تاريخ ميلاد المسيح اختلف في تحديد السنة التي ولد فيها المسيح ما بين سنة 7 ق. م وسنة 3. ب.م[1].وحسب ما ورد في إنجيلي متى ولوقا حدثت ولادة المسيح قبل موت الملك هيرودوس الكبير [2]الذي يحدد تاريخ وفاته ما بين 4-6 ق.م. [3]

أما بالنسبة لليوم الذي ولد فيه المسيح من أيام السنة فكان محل اختلاف الطوائف المسيحية المختلفة منذ البداية، واختلف كذلك المؤرخون في تحديد هذا اليوم، فحدده البعض باليوم التاسع عشر من إبريل (نيسان)، والبعض الآخر بالعاشر من أيار (مايو) والبعض بالسابع عشر من نوفمبر (تشرين الثاني)، والمسيحيون الشرقيون يحتفلون بمولد المسيح في السادس من شهر يناير (كانون الثاني)، وتحتفل كنيسة روما وبعض الكنائس الغربية الأخرى بذكرى مولد المسيح في الخامس والعشرين من كانون أول. [4]

ويرى بعض المؤرخين أن اتفاق المسيحيين بعيد ميلاد المسيح في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر (كانون أول) قد حدث في القرن الرابع بعد الميلاد، وأنه مأخوذ من الوثنية التي كانت سائدة قبل ميلاد المسيح حيث كانت الدولة الرومانية تحتفل في هذا اليوم وهو يوم الانقلاب الشتوي [5]

أما بالنسبة للمكان الذي ولد فيه المسيح فيشير إنجيل متى إلى أن المكان الذي ولد فيه هو بيت لحم. [6]

---

(1) الخضري، حنا، تاريخ الفكر المسيحي يسوع عبر الأجيال ، دار الثقافة،القاهرة،1981م ، ص165.
(2) متى 2: 1، لوقا 1: 5، 1: 26.
(3) الخضري، تاريخ الفكر المسيحي يسوع عبر الأجيال، ص166
(4) العاملي، محمد علي برو، الكتب السماوية والعلم، ط 1، دار المحجة البيضاء،بيروت، 2003م، ص575-576
(5) العاملي، المرجع السابق نفسه ، ص 576-578.
(6) متى، 2: 1

المطلب الثالث: تفسير عقيدة التجسد[١]

التجسُّـد (Incarnation) عقيدة يؤمن أصحابها ب ظهور الله تعالى ــ أو ظهور أحد الآلهة عند الذين يعتقدون بوجود آلهة متعددة – بشكل ماديً جسديً وبخاصة بشري. [٢]

فما علاقة عقيدة التجسد بموضوع حمل مريم بالمسيح في المسيحية؟

الجواب: إن هذه العقيدة ترتبط بشكل مباشر بتفسير طبيعة حمل السيدة مريم بالمسيح عليه السلام عند الطوائف المسيحية، لأن فكرة التجسد عندهم هي محاولة للإجابة على التساؤل الذي واجهته المسيحية في قرونها الأولى وهو كيف حملت مريم بالمسيح بدون أب؟ وكيف لإله أن يكون جنينا في رحم امرأة؟ فقالوا بأن المسيح الإله تجسد في صورة بشر حملت به العذراء. [٣]

ويعرف بارت التجسد أو عبارة " والكلمة صار جسدا" [٤] –التي وردت في بداية إنجيل يوحنا– على أنها حضور الله كإنسان. ويقول بأن الله والإنسان قد اجتمعا في المسيح. [٥]

وفكرة تجسد الإله، جزء من عقائد الديانة الهندوسية، التي يؤمن أتباعها بأن الإله "فشنو" (المظهر الثاني لبرهمان باعتبار أن برهمان: أي الله في الهندوسية ــ واحد ذو مظاهر ثلاثة: براهما و فشنو وشيفا) قد ظهر في الهند حتى الآن عدة مرات بشكل إنسان، أي تجسَّــد، آخرها تجسّده بشكل "كريشنا": النبي الذي جاء إلى الهند حوالي خمسمائة سنة قبل السيد المسيح ــ عليه السلام ــ و الذي ينظر إليه الهندوس على أنه إلـــه متجسِّـــد. كما أن عقيدة تجسد الله تعالى و ظهوره بشكل إنسان هو عيسى بن مريم عقيدة أساسية من عقائد الكنيسة النصرانية بمعظم فرقها وطوائفها، التي ترى جميعها أن ذلك الإنسان الذي ولد من مريم العذراء، لم يكن في الحقيقة إلا الله تعالى نفسه ــ أو بتعبير مفصل صفة الكلمة أو الابن

---

(١) الخضري، حنا، المسيح إله أم إنسان– قراءة في فكر كارل بارت، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 1994م ،ص6–30 .

(٢) باسوك، دانيال، أساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم وأثرها على المسيحية، ترجمة وتعليق: سعد رستم، http://www.ebnmaryam.com/Asateer/Asateer.htm، 1993م.

(٣) خياطة، نهاد، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، ط 1،دارالأوائل، دمشق، 2002 م ، ص 102.

(٤) يوحنا، 14:1

(٥) كارل بارت (1886–1968م): لاهوتي بروتستانتي، سويسري من أصل ألماني ولد في بال، عرف بمعارضته لهتلر. انظر: ألفا، روني إيلي، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والاجانب، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1992م، ج1، 179.

لله الذي هو واحد في جوهره مع الله ـــ الذي تجسد و تأنس وظهر بلباس بشري لتخليص بني البشر. [١]

وتم إعلان عقيدة التجسد في المجمع المسكوني الأول في نيقية[٢]فجاء في إعلان هذا المجمع في كلامه عن المسيح: "نزل من السماء و تجسَّد من الروح القدس و من مريم العذراء و تأنَّس و صُلِب"، أما آريوس[٣] الذي عقد هذا المجمع ردا عليه، فقد أعلن أن "كلمة الله" ليست أزلية بل مخلوقة في الزمن، وبذلك يكون المسيح مخلوق من مخلوقات الله، وسوف يتم تفصيل قرارات هذا المجمع لاحقا. [٤]

ويذهب جملة من المحققين الغربيين المعاصرين إلى أن عقيدة التجسد في المسيحية عقيدة خرافية وفكرة وثنية دخيلة نفذت إلى المسيحية من وثنية اليونان و الرومان، الأمتين اللتان كان لهما الدور الأساسي في انتشار المسيحية، فكما هو معروف، تمثل منطقة الشرق الأدنى القديم مهد انتشار المسيحية و المركز الأصلي لعمل بولس [٥]. التبشيري بين الأمم الوثنية، وهذه المنطقة كانت تسيطر عليها الثقافة الوثنية اليونانية، كما أن الأناجيل والرسائل والنصوص المسيحية المقدسة معظمها قد دون باللغة اليونانية القديمة، كما أن ظهور وغلبة الدعوة المسيحية تم في عهد الحكم الروماني وبين الشعوب الخاضعة للثقافة الرومانية وبدعم

---

(١) باسوك، أساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم وأثرها على المسيحية http://www.ebnmaryam.com/Asateer/Asateer.htm

(٢) عقد هذا المجمع سنة 325 ميلادية وهو أول المجامع المسكونية الذي تم من خلاله إقرار ألوهية المسيح، وسيأتي ذكر التفاصيل المتعلقة بهذا المجمع عند الحديث عن المجامع لاحقا.

(٣) آريوس الليبي (256-336م): من مشاهير المسيحية الأوائل، راهب ليبي درس اللاهوت في مدرسة انطاكية على يد لوشيانوس ، عين كاهناً بها على كنيسة بنكاليس، وكان عالماً متقفاً وواعظاً مفوّهاً وخطيباً ماهراً ، وزاهداً متقشفاً، وبسبب أسلوبه جذب حوله جماعة من أهل الإسكندرية وخاصة الرهبان والراهبات. كان يرفض ألوهية المسيح، ويقول هو معلم موحى إليه، وأن الله فرد غير مولود لا يشاركه شي في ذاته، والمسيح إنسان محض ، من مؤلفاته "تاليا" وهو باليونانية معناه المائدة، تم إدانته من قبل مجمعي نيقية سنة 325م والقسطنطينية سنة 381م. انظر: ألفا، روني إيلي، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والاجانب، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1992م، ج 1، ص80-81.

(٤) كساب، حنانيا ، مجموعة الشرع الكنسي، ط1، دار النور، بيروت ، 1975م، ص40-41؛ النجار، نهى ، الديانة المسيحية، ط1 ، دار الفكر اللبناني، بيروت ، 1995م ، ص152.

(٥) بولس: يذكر بأنه كان يسمى بشاول، ولد في طرسوس كان ذا نسب من عائلة متنفذه، وكان أبوه من إحدى فرق اليهود وهي الفريسيين من سبط بنيامين، تعلم في طرسوس حيث كانت مركزاً للفلسفة الرواقية، عرف عنه اضطهاده للمسيحيين، ثم تحول إلى المسيحية. انظر: عبدالملك، بطرس وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص196.

الأباطرة الرومان بد   اً من عهد الإمبراطور المتنصِّر قسطنطين [١] فما بعد.

ويعرض المؤلف دانيال باسوك (Daniel E. Bassuk) في الفصل الأول من كتابه – الذي يعنون له بـــ (Myth of Incarnation in the Ancient near east) أي أساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم – عرضاً موثقاً عن الاعتقاد بتجسد الآلهة في عالم الشرق الأدنى القديم في عهد ما قبل ظهور المسيحية، والعهد المعاصر لها، فيذكر لنا أمثلة عديدة لتصور نظرة شعوب الشرق الأدنى لبعض عظمائهم على أنهم في الحقيقة آلهة أو أبناء آلهة تجسدوا و ظهروا بذلك المظهر البشري.و يذكر مؤلف الكتاب أنه في العهد الروماني المعاصر للمسيح كان من الشائع إطلاق لفظ "الرب" أو لفظ "ابن الله" أو لفظ "المخلص" على أباطرتهم وقادتهم. ويوضح المؤلف في الفصل الثاني أسطورة التجسد في المسيحية (Myth of Christianity Incarnation in) ليبين كيف و من أين دخل التفسير التجسُّدي لشخصية المسيح إلى البناء العقائدي للكنيسة المسيحية، و كيف بدأت الحقيقة التاريخية لشخصية المسيح وأعماله، تختلط بالخيال و الخرافة، و يبين ما كان من أثر لآراء يوحنا صاحب الإنجيل الرابع –الذي يختلف كثيراً عن الأناجيل الرسمية الثلاثة حيث أنه بدأ بأسلوب فلسفي رمزي– بينما كان أسلوب الأناجيل الثلاثة الأخرى أسلوباً قصصياً– ، ولآراء ورسائل بولـــس كذلك في هذا المجال، و تأثُّر هاتين الشخصيتين (يوحنا وبولس) المحتمل بالفيلسوف اليهودي الأفلوطيني "فيلون الإسكندراني"،[٢]. ويبين المؤلف أن هذا التدخل للأفكار الفلسفية والأسطورية لم يتم دفعة واحدة بل تم بشكل تدريجي وعلى مراحل، و يحاول أن يبين الأسباب المختلفة التي أدت إلى تكرُّس هذا التفسير التجسُّدي الخيالي لشخص المسيح في أذهان آباء الكنيسة، و من جملة ذلك يذكر الاختلاف الكبير بين مفهوم عبارة "ابن الله" في اللغة الآرامية –اللغة التي كان يتكلمها المسيح– أو اللغة العبرية –لغة التوراة و الزبور و الكتاب المقدس– و مفهومها في اللغة اليونانية القديمة، التي دونت بها الأناجيل و الرسائل النصرانية الأولى، من دور في هذا

---

[١] هو قسطنطين الأول الكبير (288–337م)، ابن قسطانش الأول والقديسة هيلانة، تسلم الامبراطورية الرومانية سنة 324م، وكان أول ملك تنصر من قياصرة الدولة الرومانية، وأصبح الدين المسيحي رسمياً في عهده، دعى إلى انعقاد المجمع المسكوني الأول في نيقية سنة 325م، اتخذ بيزنطة (اسطنبول) عاصمة له وسيمت باسمه. انظر: الجمعية المصرية، الموسوعة العربية المسيرة،ط 2، دار الجيل، القاهرة، 2001م، ج3، ص1857–1858.

[٢] فيلون الإسكندري: ولد في الإسكندرية سنة 20 ق.م، فيلسوف يهودي حاول أن يمزج العقائد اليهودية بالأفكار الرئيسية للفلسفة اليونانية، ولا تتوفر معلومات تفصيلية عن حياته، انظر: ألفا، روني إيلي، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والاجانب، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1992م، ج2، ص206.

الأمر، ففي حين لا تعني هذه اللفظة بلغة المسيح واللغة العبرية أكثر من معنى مجازي يدل على أن صاحبها بار متق محبوب من الله اجتباه الله واصطفاه لنفسه، تحمل عبارة "ابن الله" في اليونانية القديمة ــ لغة الآباء العظام ــ معنىً حرفياً لتعني الابن المولود فعلاً أي المنبثق من الله و الذي يكون من نفس جوهر و طبيعة الله ــ حيث أن ثقافة اليونان الوثنية كما ذكرنا كانت مليئة بالاعتقاد بآلهة لهم أولاد ولدوا منهم على نحو حقيقي. [١]

كذلك يتناول كثير من الدارسين في علم اللاهوت عبارة"الكلمة صارت جسدا" الواردة في بداية إنجيل يوحنا[٢]،ويلاحظ أن "الكلمة"[٣] التي يقابلها "logos" مفردة لها استعمالاتها اليهودية واليونانية من قبل، ففي الفكر اليهودي، ليست الكلمة مجرد حروف تلفظ وحسب بل لها قدرة وفاعلية، وهي أقدم ما في الوجود، وهي الواسطة التي خلق الله بها العالم، ويفسر يوحنا معنى "logos" على أنها "عقل الله" أو "كلمة الله" التي صارت جسدا، ويبدو أن تفسير كلمة ال"logos" التي كان يستخدمها يوحنا، هو نفس ما تناوله الفيلسوف هيراقليطوس[٤]. من قبله الذي عاش في مدينة أفسس سنة 56 ق.م وهي نفس المدينة التي عاش فيها يوحنا. [٥]

المطلب الرابع: تفسير عقيدة الميلاد العذري

تتفق معظم الطوائف المسيحية على أن مريم كانت عذراء قبل ولادتها المسيح، وتشكل فكرة دوام بتولية مريم قضية خلافية بين الكاثوليك والأرثوذكس

---

(١) باسوك، ، أساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم وأثرها على المسيحية http://www.ebnmaryam.com/Asateer/Asateer.htm

(٢) "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله" يوحنا، 1: 1-3، "والكلمة صار جسدا"، يوحنا، 1: 14.

(٣) يعرض البوطي محاولة استدلال بعض الباحثين النصارى بأن المسيح هو كلمة الله، وهو الذي ورد كذلك في القرآن الكريم " إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه" النساء: 171، فقالوا بما أن المسيح هو الكلمة فهل هذه الكلمة مخلوقة أم غير مخلوقة، فإن كانت غير مخلوقة كان المسيح هو الله، وإن كانت مخلوقة لم يكن قبل ولادتها ذا كلمة وروح، ويقولون أن هذا هو السبب في النزاع الذي وقع حول اعتبار القرآن مخلوقا أم غير مخلوق. فرد البوطي:"إن كلمة الله تعالى هي قوله "كن" ولئن كان معنى "كن" هذه قديماً فإن ذلك لا يقتضي أن يكون متعلقها أيضا قديما. ولقد علم العقلاء وعامة علماء العربية أن عيسى بن مريم ليس هو نفس كلمة "كن" ولكنه متعلقها، وإنما أخبر الله عن عيسى عليه السلام بالكلمة نفسها مبالغةً في بيان هذا التعلق، ومبالغةً في تنبيه الذهن إلى أن خلقه إنما كان بمحض إرادة الله تعالى، التي تمثلت في قوله "كن". ولو كان متعلق الإرادة قديماً مثل الإرادة نفسها، لكان العالم كله قديمًا أيضًا، إذ هو ليس إلا نتيجة إرادته سبحانه، وقوله له "كن" ألا ترى إلى قوله تعالى "إنما قوله إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون" (يس: 82) فكما يقول الله تعالى لكل شيء خلقه كن، فيكون، فكذلك قال الله عن عيسى بن مريم "كن" فكان مخلوقا". البوطي، محمد سعيد رمضان، كبرى اليقينيات الكونية، ط 3، دار الفكر، دمشق ، 1974م، ص 138.

(٤) هيراقليطس الأفسسي، الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد هو فيلسوف يوناني، كان يقوم بأعمال الكهنوت التي ورثها عن أجداده، من مؤلفاته كتاب "الطبيعة"، وتعتبر أفكار هذا الفيلسوف مبادئًا أساسية ترتكز عليها بعض الفلسفات الحديثة مثل البراجماتية (العملية). انظر: ألفا، روني إيلي، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والاجانب، ج2، ص543.

(٥) الخضري، المسيح إله أم إنسان، ص20-28

الذين يقولون بدوام بتوليتها من جهة وبين البروتستان ت الذي ن يرفضون ذلك ويرون أنها تزوجت من يوسف، وأنجبت منه ، معتمدين على النصوص الإنجيلية التي أوردناها سابقا. [١]

أما عند الكاثوليك والأرثوذكس فبتولية العذراء الدائمة عقيدة ثابتة أكدها المجمع المسكوني الخامس.[٢] كما أكدها أحد المجامع المحلية في روما وهو مجمع لاتران [٣]سنة 649م في قانونه الثالث من أن مريم بتول قبل الولادة وأثناءها وبعدها ، وصادق عليه المجمع المسكوني السادس في القسطنطينية المنعقد سنة 680م، ويستدلون كذلك بنصوص العهد الجديد التي تصف مريم بألفاظ العذرية وكذلك النصوص التي وردت في الأناجيل غير المعتمدة من أن مريم بقيت بتولا بعد الولادة. وما أكده آباء الكنيسة ، ويذكر أن أول من استعمل عبارة الدائمة البتولية[٤]بطرس الإسكندري الذي توفي سنة 311م. [٥]

و أما الجماعة البروتستانتية الحديثة المتحررة فترفض عقيدة الميلاد العذر ي بالمسيح وحججهم تتمثل بمايلي:

1. الصعوبات العلمية: وتتمثل في أن الجماعة لا تؤمن بالمعجزات الخارقة ، فهي ترفض فكرة الميلاد العذري كونه يعبر عن استحالة بيولوجية لغياب العامل الذكري في طبيعة الحمل. [٦]

لكن التجارب العلمية المتأخرة في مجال تخصيب البويضة وعمليات الاستنساخ قربت فكرة إمكانية الحمل بدون عامل ذكري لكن تبقى قضية إمكانية تحققها في ذاك الزمان من القضايا الإيمانية بخوارق العادات التي تتحقق بالقدرة الإلهية.

2. يدعي أصحاب هذا الاتجاه أن الأناجيل لم تشر بوضوح لفكرة الميلاد العذري.

---

(١) انظر ص 10-13.

(٢) مجمع القسطنطينية الثاني الذي عقد سنة 553م في عهد الملك يوستنيانوس ضد مؤلفين كنسيين يعتقدون اعتقاد نسطوريوس و كان عدد آبائه 165 . سيأتي ذكره لاحقا عند الحديث عن المجامع المسكونية.

(٣) هو مجمع لاتران الأول الذي عقد في عهد البابا مرتينوس الأول سنة 649م. انظر فرح، جبرائيل، مريم العذراء، ص50-51.

(٤) البتول: من البتل وهو القطع، والبتول التي انقطعت عن الزواج. انظر: الزيات، أحمد حسن وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، طهران، المطبعة العلمية، ج1، ص37.

(٥) مجموعة من المؤلفين، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، ص129-143

(٦) الخضري، تاريخ الفكر المسيحي يسوع عبر الأجيال، ص172-180

ولكن من خلال النظر إلى النص التالي في إنجيل متى نجد أن هناك نصاً صريحاً ينفي أن يكون الحبل بالمسيح من يوسف النجار ويؤكد في نفس الوقت أن "الروح القدس" هو سبب الحبل. (١)

"أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس. فيوسف رجلها إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرًا. ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس."(٢)

3. يحتج أصحاب هذا الرأي كذلك بشجرة نسب المسيح التي يوردها كل من إنجيلي متى ولوقا اللذين ينسبان المسيح ليوسف النجار ، على أن المسيح مولود من رجل وامرأة ولادة طبيعية. ويرد القس حنا الخضري، على هذه الفكرة بأن الإنجيلين يعتبران أن يوسف هو أب للمسيح بالتبني لا بالحمل، لأن الإنجيلين يرويان قصة الميلاد العذري وفي نفس الوقت ينسبان المسيح ليوسف فالنسب هنا نسب تبن لا نسباً حقيقياً. (٣)

4. ويحتج أصحاب هذا الرأي كذلك بما ورد في إنجيل لوقا بوصف المسيح بأنه الابن البكر لمريم. "وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد. فولدت ابنها البكر"(٤)

فمعناه عندهم أنه له إخوة آخرون من أمه، ويحتجون كذلك بما روي في الأناجيل المعتمدة من وجود إخوة للمسيح، ومنه ما ورد في متى: " وفيما هو يكلم الجموع إذا أمه وإخوته قد وقفوا خارجًا طالبين أن يكلموه"(٥)

ويرد الكاثوليك والأرثوذكس على هذا الرأي بأن كلمة "البكر" تعني ولداً لم يتقدمه ولد ولا تعني بالضرورة انه تبعه أولاد آخرون. وأن كل مولود أول يقال له بكر سواء ولدت أمه

---

(١) الخضري، تاريخ الفكر المسيحي يسوع عبر الأجيال ، ص172-180
(٢) متى،1: 18-20.
(٣) الخضري، المرجع السابق نفسه، ص172-180
(٤) لوقا، 2: 6-7
(٥) متى 12: 46.

بعده أو لم تلد. [١] حتى أن الترجمات الكاثوليكية الحديثة لإنجيل متى، أسقطت كلمة البكر من نص الإنجيل. [٢]

ويرد الكاثوليك والأرثوذكس على الذين يقولون بأن لمريم أولاد اً غير المسيح حسب ما ورد في نصوص الإنجيل بمايلي:

1. لا يذكر إخوة للمسيح في قضايا أخرى مثل الهروب لمصر أو الميلاد.
2. وفي قصة الهيكل لا توجد إشارة لوجود أبناء آخرين.
3. لو كان للمسيح إخوة لترك المسيح أمه عندهم ولما تركها ليوحنا.
4. الرابطة الأخوية الواردة في الأناجيل، تعبر عن القرابة أو الصداقة أو الأخوة

الإيمانية، فيرى البعض أن الأخوة هم أبناء خالة المسيح أولاد مريم زوجة كلوبا، ويرجح البعض أنهم أبناء ليوسف من زوجة له أخرى. [٣]

---

(١) فرح، جبرائيل ، مريم العذراء،ط2،المكتبة البولسية،بيروت، 1989م ، ص38
(٢) عبد الوهاب، أحمد ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية،ط 1،مكتبة وهبة،القاهرة ، 1987م ، ص50
(٣) مجموعة من المؤلفين، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، ص 129–143؛ وانظر: دوبره لاتور، خلاصة اللاهوت المريمي، مريم وكهنوتها، ص43.

المبحث الثالث

الوصف الديني لمريم في المسيحية

ارتبط وصف السيدة مريم العذراء في المسيحية بالتطورات التاريخية والتطورات العقدية التي نتجت عن اختلاف أو اتفاق الطوائف الكنسية حول القضايا العقدية الأساسية في الدين المسيحي ، وسنعرض في هذا المبحث أهم الأدوار والتطورات التاريخية التي مر فيها الدين المسيحي و أهم الاتجاهات الدينية التي أفرزتها هذه التطورات، وكيف انعكست على التصور الديني للسيدة مريم لدى مختلف الاتجاهات والطوائف المسيحية.

المطلب الأول: أوصافها ورموزها في العهدين القديم و الجديد

يرى الباحثون في اللاهوت المريمي المسيحي الذين يتجهون لقراءة نصوص العهد القديم قراءة مسيحية بمعنى أنهم يؤولون نصوص العهد القديم ويفسرونها على أنها إشارات ترمز لمريم والمسيح، فيرون أن نصوص العهد القديم في روايتها لقصة آدم وحواء لا تتعلق بآدم وحواء اللذين انبثق منهما الجنس البشري فحسب، بل ترمز إلى آدم الجديد وهو المسيح وحواء الجديدة مريم، وقد أقام بولس مقارنة بين آدم والمسيح، وأقام آباء الكنيسة الأوائل مقارنة بين حواء ومريم في نصوص العهد القديم. [١]

ومن الرموز التي تضاف لمريم في نصوص العهد القديم المرأة التي يخرج من نسلها من يسحق رأس الحية، جاء في سفر التكوين: "فقال الرب الإلهُ لِلحَيَّةِ مَلعونَةٌ أنتا مِنْ جميع البَهائِمِ ومن جميعِ وُحوشِ البَريةٌ . على بَطنِك تسعين وتُرابًا تأكُلينَ كل أيّامِ حياتِكِ . وأضع عداوة بينك وبَينَ المَرأةِ وبَينَ نسلِكِ ونسلِها هو يسحك رأسك وأنت تسحقين عقبه" (في ترجمة أخرى ورد: يسحق رأسك وأنتِ تتَرقَّبينَ مِنْه العَقِبَ). [٢]

فيرون أن المرأة وإن كان المقصود بها حرفيا حواء، هي ترمز لمريم، فهي المرأة التي من نسلها يأتي المسيح الذي يخلص الناس من الحية التي ترمز للخطيئة. كما أن أي نص

([١]) وقد أقر المجمع الفاتيكاني الثاني تفسير نصوص العهد لقديم على أنها إشارات ترمز إلى العهد الجديد فيما يتعلق بالمسيح وأمه. دوبره لاتور، خلاصة اللاهوت المريمي، مريم وكهنوتها ، ص 23-38، وانظر: السقلاوي، جميل، في خدمة البشارة مريم من أنت ، 1989م ،ج8، ص 41-63.

([٢]) التكوين، 3: 14-15، ، ص24-25

تذكر فيه كلمة "عذراء" أو امرأة يحاولون تأويله على أن المقصود به السيدة مريم العذراء، كما يرون أن بعض العبارات الموجودة في العهد القديم مثل: "بنت صهيون" و "خيمة الاجتماع" و "عصا هارون" وسلم يعقوب ترمز لمريم العذراء، وهذا ما أكده المجمع الفاتيكاني الثاني سنة 1965م في الفصل الثالث من الدستور العقائدي حيث إن أول موضوع تناوله المجمع هو التشابه بين حواء ومريم. [١]

و من خلال استقراء نصوص الأناجيل نجدها تصف السيدة مريم بالأوصاف التالية:

– أم يسوع: "وفي اليوم الثالث كان عرس في الجليل وكانت أم يسوع هناك."[٢]

– أم ربي: "فمن أين لي أن تأتي أم ربي إلي".[٣]

– المنعمة نعمة: "فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله"[٤]

– مباركة في النساء: "فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها الرب معك مباركة أنت في النساء". [٥]

– امرأة: "ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر. قال لها يسوع مالي ولك يا امرأة لم تأت ساعتي بعد". [٦]

- التي آمنت: "فطوبى للتي آمنت أن يتم ما قيل لها". [٧]

– أمة الرب: "فقالت مريم هو ذا انا أمة الرب ليكن لي كقولك فمضى من عندها الملاك".[٨]

– العذراء: "وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم".[٩]

---

(١) دوبره لاتور، خلاصة اللاهوت المريمي، مريم وكهنوتها، ص23-28

(٢) يوحنا، 2: 1؛ متى، 1: 20-21

(٣) لوقا 1: 43

(٤) لوقا 1 : 28-30

(٥) لوقا 1: 28

(٦) يوحنا 2: 4 ، يوحنا 19: 26

(٧) لوقا، 1 : 45

(٨) لوقا، 1 : 38

(٩) لوقا، 1 : 26-27

المطلب الثاني: أوصافها في مراحل التطور التاريخي للمسيحية

ظلت مريم العذراء في الفترة الأولى من عهد الحواريين والمسيحيين الأوائل أم المسيح النبي الإنسان التي حبلت به من دون أب أو واسطة بمعجزة إلهية، ولم يكن هناك ذكر لعبارة "أم الإله" وما شابهها التي ظهرت في فترة متأخرة، حيث يعترف جُلُّ المؤرخين المسيحيين، أن الاعتقاد بإلهية المسيح لم يصبح عقيدة متبناة من قبل جماعة عريضة من المسيحيين إلا بعد انقضاء عهد الحواريين و عهد التلاميذ الأوائل للمسيح عليه السلام، أي بعد انقضاء قرن على الأقل على انتقال المسيح و رفعه(١).

و أما الأجيال التي لحقت هذه الفترة من الذين آمنوا بدعوة التلاميذ بعد رح يل المسيح فقد كانوا متشبعين بثقافة عصرهم الوثنية الهيلينية(٢). التي تنظر للعظماء من أباطرة أو قادة فاتحين أو فلاسفة عظام، على أنهم أنصاف آلهة أو أبناء آلهة هبطت لعالم الدنيا وتجسدت لخلاص بني الإنسان و هدايتهم، فصار كثير منهم ينظرون لشخصية المسيح بنفس النظرة خاصة أنه كان يعبر عن المسيح في لغة الأناجيل بابن الله، فأخذوا البنوة على معناها الحرفي لوجود نظير لذلك في ثقافتهم الوثنية، و رأوا فيه ابن الله الحقيقي الذي كان إلهاً فتجسد و نزل لعالم البشر لخلاصهم، ولاقت هذه العقيدة رواجا لدى العوام الذين يعجبون بالغلو في رفع مقام من يقدسونه و يؤمنون به و يرون ذلك من كمال الإيمان به و المحبة له، و قد لعبت عدة عوامل سياسية و ثقافية و اجتماعية وحتى لغوية، لصالح الاتجاه الوثني الأخير في النظر لشخصية المسيح، فساد و انتشر، وشيئًا فشيئًا صار هو الأصل و صارت مخالفته هرطقة (٣) وخيانة لحقيقة المسيح، وصار الموحدون، أي الأتباع الحقيقيون للمسيح، فئات ضئيلة عرضة للاضطهاد، يُنْظَر إليها على أنها مبتدعة ضالة. و الوثائق تثبت أنه و جدت و لا تزال، في كل عصر من عصور تاريخ المسيحية و حتى يومنا هــذا- كما مر سابقاً- أعداد غير قليلة من علماء النصارى و عامتهم ممن أنكر تأليه المسيح ورفض عقيدة التجسد و التثليث مؤكدين

---

(١) رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا،ط 1، دار الأوائل،دمشق، 2004م ، ص21-24

(٢) الهيلينية: اشتقاق من هيلاس (Hellas) أي اليونان، وهو الاسم القديم لبلاد الإغريق، والهيلينية: هي الحضارة الإغريقية وأسلوب حياتهم وثقافتهم التي ازدهرت بشكل خاص في عهد الإسكندر الأكبر. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ج4، ص2584.

(٣) أطلق مصطلح الهرطقة على كل ما اعتبره آباء الكنائس خروجا عن مبادئ دينهم وهو يشابه مصطلح الزندقة أو الردة.

تفرد الله الآب لوحده بالألوهية و الربوبية والأزلية، و أن المسيح مهما علا شأنه يبقى حادثًا مخلوقًا، هذا و قد حظي أولئك الأساقفة أو البطارقة الموحدون بآلاف بل عشرات آلاف الأتباع والمقلدين. و ذكرت المراجع التاريخية النصرانية، التي تتحدث عن تاريخ الكنيسة، أسماء عدة فرق في القرون المسيحية الثلاثة الأولى كانت تنكر التثليث و التجسد و تأليه المسيح مثل : فرقة الأبيونيين[١]،و فرقة الباسيليديين[٢]و فرقة الكاربوقراطيين[٣]، وفرقة الغنوصيين[٤].[٥]

و أهم الإتجاهات العقدية التي رفضت فكرة أن تكون مريم" والدة الإله":

1. الدوكيتية (Docetism) الغنوصيون [٦] : اخترع أصحاب هذا المذهب فرضية مفادها أن المسيح بدل أن يولد من رحم العذراء، نزل على ضفاف الأردن في هيئة إنسان كامل، وأدركته حواس أعدائه وتلاميذه، وبدا للناس كأنه على الصليب. [٧]

2. الأبيونية التي تندرج تحت عنوان اليهودية المسيحية، تنقسم إلى طائفتين الأولى، تؤمن بأن المسيح هو مجرد إنسان ولد من مريم وزوجها مثل أي مولود آخر؛ والثانية، تؤمن بأن المسيح ولد من العذراء وروح القدس ولا يعتبرون المسيح إلهاً . [٨]

3. الآريوسية التي تنسب إلى آريوس الليبي (250-336م) كان يرفض ألوهية المسيح، ويقول هو معلم موحى إليه، وأن الله فرد غير مولود لا يشاركه شي في ذاته، والمسيح إنسان محض. وسبق آريوس في ذلك بطريرك أنطاكيا أنذاك

---

(١) مشتقة من كلمة معناها "المساكين" ويعتبرهم آباء المسيحية من فرق الهرطقة، وكان هذا الاسم يطلق على جميع المسيحيين من اليهود. دائرة المعارف الكتابية، ج1، ص71.

(٢) الباسيليديون: من أهم الفرق التي أنكرت صلب المسيح، وقالت ببشريته وهم أتباع باسيليدس وهو فيلسوف من أصل سوري ولد في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي، درس في الإسكندرية، ونسب إلى الغنوصية. دائرة المعارف الكتابية، ج 5، ص 426، موسوعة ويكيبيديا؛ http://ar.wikipedia.org/wiki.

(٣) الكاربوقراطيون: هم الباطنية التي عاشت خلال القرن الثاني للميلاد.

(٤) الغنوصية: حركة دينية ظهرت في القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد ويرجع اسمها إلى كلمة (Ginosis)، وهي مذهب تلفيقي يجمع بين الفلسفة والدين، ويقوم على أساس فكرة مزج المعارف الإنسانية بعضها ببعض.انظر: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983م، ص133.

(٥) رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا، ص21-24

(٦) فرقة ظهرت في أوائل القرن الثاني الميلادي في الإسكندرية تهدف إلى فصل النصرانية عن اليهودية

(٧) خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، ص78

(٨) خياطة، المرجع السابق نفسه، ص78

بولس الشمشاطي، [١] فهو يتبع المدرسة التي أسسها لوقيانوس الأنطاكي التي تنظر إلى المسيح باعتباره مخلوقًا. [٢]

لكن فكرة إله واحد في أقانيم ثلاثة فلم يتم تحديدها في الصيغة المتبعة حتى الآن إلا في مجمع القسطنطينية المنعقد سنة 381م من أجل تكفير قوم أنكروا إلهية المسيح. [٣]

4. يرى ثيودوس المصيصي (350م-428م) [٤].أن مريم ليست أم الله إلا بالمعنى الإضافي أو المجازي، وأن يسوع ليس إبنًا لله حقًا. وإن أطلقت عليه هذه التسمية فبمعنى أنه يصبح أهلاً لها بالنعمة فقط، والذي ولد ومات ليس ابن الله بل الإنسان ابن داود. [٥]

5. النساطرة: رفضوا وصف مريم العذراء "أم الإله" ، كما رفضوا أن يكون المسيح ابن الله. [٦]

وتعتبر قرارات المجامع المسكونية –التي تم تنظيمها بعد اعتبار الدين المسيحي ديناً رسميًا في الدولة البيزنطية– من أهم الركائز العقدية التي ترتكز عليها الطوائف المسيحية المختلفة، كما أنها تشكل القواعد الأساسية التي تحدد طبيعة نظرتهم إلى السيدة مريم. و يقصد بالمجمع: المؤتمر التي يجتمع فيه رجال الدين المسيحي للنظر في المسائل المتعلقة بالعقيدة والشريعة، [٧]وأما المجمع

---

(١) بولس الشمشاطي كان بولس هذا أسقفا لأنطاكية منذ سنة260 م. وأنكر ألوهية المسيح وقرر بأنه بشر رسول، وقد عقد بأنطاكية من سنة 264 إلى سنة 269 ثلاث مجامع للنظر في شأنه، وانتهى الأمر بحرمانه وطرده، وقد بقي لمذهبه أتباع على الرغم من ذلك حتى القرن السابع الميلادي . انظر الخضري، تاريخ الفكر المسيحي، ص601.

(٢) خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، ص78

(٣) خياطة، المرجع السابق نفسه، ص78-81

(٤) ثيودوس المصيصي (350-428م): لاهوتي يوناني، ولد في أنطاكيا، عين أسقفا على مصيص، أمر بإتلاف كتبه لأنه أعتبر أبا للنسطورية في مجمع القسطنطينية الأول. ألفا، موسوعة أعلام الفلاسفة العرب والأجانب، ج1، 365.

(٥) خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، ص92

(٦) ولد نسطور في مرعش (Maraş) مدينة تركية في الجنوب على الحدود السورية على الفرات، درس في أنطاكية وترهب فيها، عين أسقفا على القسطنطينية سنة 428م ، ومن أشهر ما عرف عنه رفضه لقب "والدة الإله" للسيدة مريم العذراء مما أدى إلى عزله من منصبه ونفيه إلى البتراء، توفي سنة 451م. انظر النجار، الديانة المسيحية، ص 153.

(٧) شلبي، رؤوف ، أضواء على المسيحية دراسات في أصول المسيحية، ط 1،المكتبة العصرية،بيروت، 1975م ، ص 94.

المسكوني: فهو اجتماع أساقفة من نواح مختلفة من العالم لبحث قضايا مختصة بالدين المسيحي. وسمي مسكونياً نسبة إلى المسكونة أي الأرض وبذلك يصبح معنى المجمع المسكوني المجمع العالمي. (١)

وتعترف الكنيسة الكاثوليكية بجميع قرارات المجامع المسكونية السبعة بالإضافة إلى جميع المجامع المسكونية التي رعتها الكنيسة الكاثوليكية فيما بعد، و لا تعترف الكنيسة الأرثوذكسية سوى بهذه المجامع المسكونية السبعة الأولى، ولم يقبل مارتن لوثر(٢). سوى المجامع المسكونية الأربعة الأولى. (٣)

وفيما يلي تفصيل لما أقرته المجامع المسكونية التي يتفق عليها بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية فيما يتعلق بمريم العذراء أو بالمسيح ويتعلق بشكل غير مباشر بمريم.

أولا: مجمع نيقية الأول سنة 325 م

في بدايات القرن الرابع الميلادي –منذ حوالي عام 318 م– وجدت الكنيسة نفسها أمام نقطة أساسية في جوهر الاعتقاد المسيحي سببها الاختلاف في توصيف المسيح، وقد تمخض عن هذه الاختلافات انعقاد هذا المجمع سنة 325م، وكان الهدف الأساسي منه الرد على آريوس ومن معه من الذين آمنوا بالمعتقدات التالية:

1. رفض ألوهية المسيح وأزليته ورفض وصف مريم بأنها أم الإله، ورفض ألوهية الروح القدس.
2. المسيح مخلوق مثل سائر المخلوقات، وقد خلقه الله من العدم.
3. الله واحد لا يشاركه في ذاته شيء.

---

(١) كساب، مجموعة الشرع الكنسي، ص 10؛ خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، ص 84.

(٢) مارتن لوثر(1483–1546م): لاهوتي ومصلح ألماني يعتبر مؤسس البروتستانتية، درس الفلسفة في جامعة أرفورث وعين أستاذاً فيها، وعين كاهنًا بعد ذلك في أحد الأديرة في ألمانيا، حصل على الدكتوراه في اللاهوت، اشتهر بآراءه الإصلاحية المعارضة للكنيسة الكاثوليكية. انظر: ألفا، روني إيلي، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والاجانب، ج2، 366–367.

(٣) رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ط 1، دار الأوائل،دمشق، 2004م، ص70.

4. رواية قصة مفادها أن الذي صلب ليس المسيح. [1]

فقام الإمبراطور قسطنطين بدعوة أساقفة الإمبراطورية إلى نيقية[2] ليناقشوا هذا الأمر، واتخذ مجمع نيقية قرارا يناقض الأفكار التي طرحها آريوس وأكد المجمع على الأمور التالية:

1. أن المسيح هو ابن الله.
2. المسيح إله من إله.
3. المسيح مساوٍ للآب في الجوهر.
4 المسيح مولود غير مخلوق.
5. نزل المسيح من السماء وتأنس وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء.

وسميت قرارات هذا المجمع بدستور الإيمان النيقاوي الذي نص على مايلي: "نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، وكل ما يرى وما لا يرى. وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر و من أجل خلاصنا، نزل من السماء و تجسَّد من الروح القدس و من مريم العذراء و تأنَّس و صُلِب عنَّا على عهد بيلاطس البنطي و تألم و قبر و قام في اليوم الثالث".[3]

نلاحظ أن نص الاعتقاد الذي تبناه هذا المجمع قد حاول تفسير العلاقة بين مريم وابنها المسيح بفكرة التجسد، من أجل تبرير وصف المسيح بالإله مع كونه تكون جنينا في بطن أمه وحبل به وولد وعاش كسائر البشر.

ثانيا: مجمع القسطنطينية الأول سنة 381م

الهدف الأساسي من عقد هذا المجمع الذي حضره مائة وخمسون أسقفا هو الرد على كل من تبنى فكرة عدم ألوهية "الروح القدس" أو قال بالتفاوت بين

---

(1) كساب، مجموعة الشرع الكنسي، ص40-45، وهذه الرواية توافق ما ورد في القرآن الكريم أن المسيح ليس هو من صلب وقتل، قال تعالى:" وما صلبوه وما قتلوه ولكن شبه لهم" النساء: 157.

(2) مدينة في شمال شرق تركيا حاليا عرفت في القديم باسم نيقية المقدسة وقد غزاها القائد أورخان العثماني وأستولى عليها وتسمى اليوم مدينة إزنيك (İznik).

(3) كساب، مجموعة الشرع الكنسي، ص 40-45، والأقنوم: تأتي بمعنى الشخص والأصل والجوهر، والأقانيم الثلاثة في المسيحية هي الأب والابن والروح القدس. صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص112

الأقانيم الثلاثة وعلى رأسهم "مقدونيوس" الذى قال بأن الروح القدس هو مخلوق كسائر المخلوقات، صاحب رتبة سامية لكنه ليس أقنومًا. [١]

وقد انعقد هذا المجمع وحاول الأساقفة إقناع المخالفين فلم يقتنعوا، فحرمهم المجمع وجردهم من رتبهم ثم أقر المجمع سبعة قوانين خاصة بنظام الكنيسة، وأهم هذه القرارات هو إضافة جزء إلى قانون الأيمان الذي أقره المجمع السابق ، تؤكد ألوهية "الروح القدس":"نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب نسجد له ونمجده مع الآب والابن الناطق في الأنبياء ، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي آمين".[٢]

ثالثا: مجمع أفسس الأول سنة 431م

عقد هذا المجمع في عهد الملك ثيودوسيوس الصغير ليبحث في عقيدة نسطور (نسطوريوس)، وبيلاجيوس[٣] الذي أنكر انتقال الخطيئة الأصلية وفكرة الخلاص والفداء وكان عدد الآباء الذين اجتمعوا فيه مئتين، وأصدر هذا المجمع ثمانية قوانين. ويعتبر هذا المجمع مفصلا هاما في تحديد الوصف الديني للسيدة مريم عند الطوائف المسيحية المختلفة وبشكل خاص الأرثوذكس والكاثوليك حيث أعلن هذا المجمع عن وصفه لمريم على أنها "أم الإله" كرد على ما نادى به نسطور. [٤]

والسبب الداعي لعقد هذا المجمع هو رفض نسطور ألوهية المسيح ورفضه كذلك كون السيدة العذراء والدة الإله قائلاً إن مريم لم تلد إلهاً بل ما يولد من الجسد ليس إلا جسداً وما يولد من الروح فهو روح. وذهب إلى أن المسيح لم يكن إلهاً في حد ذاته بل هو إنسان

---

(١) كساب، مجموعة الشرع الكنسي ، ص40-45

(٢) كساب، المرجع السابق، ص40-45

(٣) بيلاجيوس:(354 - 418م.): راهب ولاهوتي بريطاني. مؤسس البيلاجيوسية. أقام في رومة، ثم غادرها إلى إفريقيا ثم إلى فلسطين ، حرمه البابا إينوسنت الأول من "شركة المؤمنين" واعتبره مهرطقا. الموسوعة العربية كلمات http://www.kl28.com/encr.php?search=-1189700281

(٤) كساب، مجموعة الشرع الكنسي، ص288-298

مملوء بالبركة أو هو مُلهم من الله لم يرتكب خطيئة. وردًا على هذه الأفكار أصدر المجمع القرارات التالية:

(أ). المسيح له طبيعة واحدة ومشيئة واحدة. (طبيعة إلهية مع بشرية لا تنفصلان، ومشيئة بشرية وإلهية لا تنفصلان).

(ب). أن العذراء ولدت إلها لذلك تدعى أم الإله.

(ج). وضع مقدمة قانون الإيمان الذي نص بدايته: " نعظمك يا أم النور الحقيقي ، ونمجدك أيتها العذراء المقدسة ، والدة الإله ، لأنك ولدت لنا مخلص العالم ، أتى وخلص نفوسنا المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح ، فخر الرسل ، إكليل الشهداء ، تهليل الصديقين ، ثبات الكنائس ، غفران الخطايا ، نبشر بالثالوث المقدس ، لاهوت واحد ، نسجد له ونمجده" .

(د). لعن نسطور ونفيه إلى مصر. [١]

وفي هذا القرن أيضاً ظهرت جماعة وثنية –تعبد الزهرة– اعتنقت النصرانية، واعتقدوا أن مريم ملكة السماء أو آلهة السماء بدلاً عن الزهرة، وأصبح الثالوث عندهم (الله، مريم، المسيح)، وقد حاربت الكنيسة هذه الجماعة، فاندثرت في القرن السابع الميلادي. [٢]

وهذه الفرقة سميت "البربرانية" فكانت تذهب إلى القول بألوهية المسيح وأمه معاً، تكلم عنها ابن البطريق فيقول: "ومنهم من كان يقول إن المسيح وأمه الإلهان من دون الله وهم البربرانية، ويسمون الريميتيين".[٣] والمعلومات عن هذه الفرقة قليلة.

ويرى القس إلياس مقار أن قرارات هذا المجمع في وضعها لمريم مكانة فوق مكانتها البشرية، كانت سببًا رئيسًا حداً بالكنائس – وخصوصًا الكنيسة الكاثوليكية– لأن توجه العبادة لمريم. [٤]

---

(١) كساب، مجموعة الشرع الكنسي ، ص288–298

(٢) كساب، المرجع السابق نفسه ، ص288–298؛ وانظر: نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، ص 125.

(٣) ابن البطريق، سعيد أفتبشيوس، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1905، ص93

(٤) مقار، إلياس، نساء الكتاب المقدس، ط3، دار الثقافة، القاهرة ، 1988م ، ص200

رابعا: مجمع خلقيدونية (قاضي كوي) [١]سنة 451م

عقد سنة 451م في عهد الملك ماركانيوس وعدد آبائه 630 وفي رواية أخرى [٢] 520 أو 420، وأصدر30 قانونا حسب ماذكره كساب في كتابه مجموعة الشرع الكنسي .

وسبب عقد المجمع المسكوني الرابع هو قول أوطيخا[٣].إنّ طبيعتَي المسيح، الطبيعة الإلهيّة والطبيعة الإنسانيّة، إتّحدتا وصارتا بعد تأنّسه طبيعة واحدة، إذ ابتلعت الطبيعة الإلهيّة الطبيعة الإنسانيّة، وقام المجمع بالتأكيد على فكرة أن مريم هي "أم الله" ، و "أن المسيح الإبن و الرب، المولود الوحيد ، له طبيعتان بلا خلط ولا تغيير وانقسام أو تفرقة ، وأن اختلاف الطبيعتين لا يتلاشى بسبب اتحادهما ، فكل طبيعة منهما مستقلة في شخص واحد وأقنوم واحد مسيح واحد لا يتجزأ ولا ينقسم في شخصين ، وإنما ابن واحد ، الوحيد المولود ، الإله الكلمة الرب يسوع المسيح ، وهو ما قام الأنبياء بتعليمه وقد أخذوه عنه ، كما علمه لنا يسوع المسيح بنفسه ونقله الينا الآباء عن طريق عقيدة الإيمان"[٤].

وقد نجم عن هذا المجمع انشقاقٌ أدّى إلى ابتعاد الكنائس الشرقيّة التالية: القبطيّة والأرمنيّة والسريانيّة عن الكنيستين الرومانيّة والبيزنطيّة؛ فقرر الكاثوليك (ممثلي الكنيسة الغربية) الاعتقاد أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين ، طبيعة إنسانية كاملة ، وطبيعة إلهية كاملة ومشيئة إنسانية كاملة ، ومشيئة إلهية كاملة، وأن الأب مستقل بأقنومه ، والمسيح مستقل بأقنومه ، وهما متساويان في اللاهوت فقط ، وقد رفض الأرثوذكس هذه العقيدة وقالوا : إن للمسيح طبيعة إلهية واحدة ومشيئة إلهية واحدة ، فقرر أساقفة روما مع بعض أساقفة الشرق الحكم بعزل بطريرك الإسكندرية ونفيه ؛ لأنه كان يدعي أن للمسيح طبيعة واحدة ، ثم نادوا بعقيدة الطبيعتين والمشيئتين ، وبعدها رفضت كنيسة الإسكندرية قرارات هذا المجمع[٥].

---

(١) إسم منطقة من مناطق مدينة إسطنبول، وتسمى في الوقت الحالي "قاضي كوي" (Kadıköy).

(٢) انظر: شلبي، أضواء على المسيحية، ص105.

(٣) أوطيخا (378-454م): أو أوطيخس من رجال الدين المسيحي، بيزنطي الأصل يقال أنه كان على مذهب نسطور المنكر لألوهية المسيح، ثم رجع عن ذلك وقال بألوهية المسيح ولكنه قال بالطبيعة الواحدة، ولذلك أدانته الكنيسة في المرتين. انظر، حنفي، عبد المنعم، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ج 1، ص225.

(٤) كساب، مجموعة الشرع الكنسي، ص364-375

(٥) كساب، المرجع السابق نفسه، ص364-375

خامسا: مجمع القسطنطينية الثاني سنة 553م

عقد سنة 553م في عهد الملك يوستنيانوس ضد مؤلفين كنسيين يعتقدون اعتقاد نسطوريوس وعدد آبائه 165،[1] وفي رواية 140. [2]

التأم في القسطنطينية، في العام 553م، وهو المجمع المسكوني الخامس، وذلك في عهد الامبراطور يوستنيانوس الأول (527م–565م). راجع الآباء في هذا المجمع القرارات التي اتخذها مجمع خلقيدونية وأكدوها، وحاولوا تفسير كيفيّة اتحاد طبيعتَي المسيح في تكوين شخص واحد. وضع المجتمعون أربعة عشر إبسالاً (حُرماً) [3].ضد بعض رجال الدين الذين خالفوهم وضد كتابات البعض الآخر، وأصدروا خمسة وعشرين "حرما" ضد أتباع آراء اوريجنس (أوريجانوس)[4]وتعاليمه، وفيما يخص السيدة مريم جاء في أحد مواد المجمع: " أن المسيح صار جسداً من القديسة المجيدة مريم والدة الإله الدائمة البتولية وولد منها". [5]

سادسا: مجمع القسطنطينية الثالث سنة 680م

عقد سنة 680م في عهد الملك بوغوناتيس ولم يرد في هذا المجمع قرارات مهمة تتعلق بالسيدة مريم، وعقد ضد القائلين بأن للمسيح مشيئة واحدة من أتباع الكنيسة القبطية والسريانية والحبشية والأرمنية الذين قالوا بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة، وطائفة المارون [6]. القائلين بالطبيعتين والمشيئة الواحدة. وقرر هذا

---

(1) كساب، مجموعة الشرع الكنسي ، ص446–480

(2) انظر: شلبي، أضواء على المسيحية، ص110.

(3) الحرم أو الإبسال: هو العقوبة التي تفرضها الكنيسة على من تعتقد أنهم خالفوا عقيدتها وتتمثل هذه العقوبة بتجريد الأشخاص من المناصب والصلاحيات والنفي في بعض الأحيان.

(4) والاوريجنية نسبة الى اوريجنس ، الذي ولد في الإسكندرية سنة 184م، وتوفي في صور سنة 253م، وهو لاهوتي يوناني صاحب مذهب حُكم عليه مرات ، حيث أن بعض الرهبان ما زالوا يَقبلون بعض نظرياته، وبخاصة نظريته حول وجود النفوس وسقوطها قبل خلق الأجساد ، كساب، مجموعة الشرع الكنسي، ص467، انظر: ألفا، روني إيلي، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والاجانب، ج1، 147.

(5) كساب، مجموعة الشرع الكنسي، ص467.

(6) الطائفة المارونية: طائفة مسيحية ظهرت في وادي نهر العاصي حوالي سنة 400م، مؤسسها القديس مارون، اتخذ مجمع القسطنطينية الثالث المنعقد سنة 630م قرارا بطردهم من تبعية الكنيسة الغربية لقولهم بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة للمسيح، وتم معاقبتهم وملاحقتهم، وسكن قسم كبير منهم جبال لبنان، وأصبحوا تابعين لبطريارك أنطاكيا، وفي عصور متأخرة عادت الكنيسة المارونية لتنسب نفسها إلى الكنيسة الكاثوليكية في روما. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ج4، ص2360.

المجمع أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين ، وطرد كل من يقول بالطبيعة الواحدة أو المشيئة الواحدة، وتكفير أتباع يوحنا مارون " طائفة المارون" الخارجين على كني س ة روما والقسطنطينية. [١]

سابعاً: مجمع نيقية الثاني سنة 787م

عقد سنة 787م في عهد الملكة إيرينيى ضد محاربي الأيقونات[٢]وأصدر 22 قانونا.

في المجمع الذي عقد قبل هذا في القسطنطينية سنة 754م بأمر الإمبراطور قسطنطين الخامس – والذي لم يلق اعترافامن قبل الكنيسة الكاثوليكية– تم اتخاذ قرار بتحريم تصوير الأيقونات والقديسين ورسمهم لأنها –حسب رأيهم– تصوير للاهوت الذي لا يمكن أن يخلط أو يمثل ففي تصوير المسيح يتم خلط اللاهوت والناسوت، وكذلك أشار وا إلى أن تصوير القديسين وتكريم صورهم هي عبادة مادية و وسيلة لعبادة الأصنام التي تخالف تعاليم المسيح[٣].وكذلك أكد على حرمة طلب الشفاعة من العذراء. [٤]

أما مجمع نيقيِ الثاني فقد دعت إليهِ إيرينيه امبراطورة الشرق [٥] عام 787 م بناءً على طلب البطريرك طراسيوس وهو سابع المجامع المسكونية، و اشترك فيهِ 377 وفي رواية أرجح أن عددهم كان 350 أسقفاً أغلبهم من البيزنطيين. [٦]واتخذ هذا المجمع قراراً يشجب مجمع القسطنطينية المنعقد سنة 754م القائل بتحطيم صور الأيقونات، و سمح المجمع الاخير بتكريم الأيقونات والصور المقدسة وأمر بإعادتها إلى كنائس الإمبراطورية، والأبنية المقدسة والبيوت والطرقات. [٧]

وبقرار هذا المجمع الذي تتبناه الكنائس الشرقية والغربية أصبح للرسومات والتماثيل (الأيقونات) التي تمثل مريم العذراء مكانة خاصة، وهي موجودة في الكنائس والبيوت.

وسوف نعرض لاحقاً عرضاً مفصلاً عن أيقونات العذراء في الكنائس المختلفة. [٨]

---

(١) كساب، مجموعة الشرع الكنسي، ص486–487
(٢) كلمة يونانية معناها الصور والتماثيل المقدسة.
(٣) كساب، مجموعة الشرع الكنسي، ص791
(٤) أبو زهرة، محمد، محاضرات في النصرانية، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة ،1961م ، ص133
(٥) إيرينيه (750–803م): إمبراطورة بيزنطية، تولت الحكم في الفترة مابين (797–802م). الموسوعة العربية المسيرة، ج13، ص400–401.
(٦) أبو زهرة، محاضرات في النصرانية ، ص133
(٧) كساب، مجموعة الشرع الكنسي ، ص761–830
(٨) كساب، المرجع السابق نفسه ، ص761–830

المطلب الثالث: أوصافها الدينيةِ عند الكاثوليك

الكاثوليك: هم أتباع الكنائس الغربية التي يرأسها بابا الفاتيكان في روما.

و كلمة: " الكاثوليك" كلمة لاتينية، تعني : "الجامع " أو "العام أو العالمي".

و ينتشر أتباع هذه الكنيسة في بقاع كثيرة من العالم ويشكلون عدداً كبيراً من سكان أور وبا ويقدر أتباعها حتى نهاية القرن السابق بحوالي مليار شخص. وقد وجدت هذه الكنيسة بعد أن انشقت عن الكنيسة الأم (أي الكنيسة الأولى التي كانت تجمع الكنيسة الشرقية بالغربية) بعد صراع سياسي ديني طويل يمتد إلى القرن الخامس الميلادي حيث بدأ الصراع والتنافس بين آباء الكنائس الشرقية والغربية، وفي عام 451م وعقب مجمع خلقدونية انفصلت الكنيسة المصرية –أول الكنائس الأرثوذكسية– عندما قالت بطبيعة واحدة للمسيح منكرة ما ذهب إليه المجمع من أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين، ثم انفصلت بقية الكنائس الشرقية عقب مجمع ي القسطنطينية الرابع 869م، والخامس 879م، بسبب إصرار الغربيين على اعتبار الروح القدس منبثق من الأب والابن معاً. (١)

أولا: ملخص المعتقد الكاثوليكي حول مريم

عبر المجمع الفاتيكاني الثاني(٢)عن نظرة العقيدة الكاثوليكية لمريم ، فهي تدعو أتباعها لتكريم مريم العذراء تكريمًا خاصًّا وعبادة خاصة، فجاء في أعمال هذا المجمع الفاتيكاني الثاني فصل خاص يعنون له ب"طبيعة التعبد للعذراء القديسة وأساسه" وجاء فيه :
"إنّ مريم قد رُفعت بنعمة الله، وإنّما دون ابنها، فوق جميع الملائكة وجميع البشر بكونها والدة الإله الكلّية القداسة الحاضرة في أسرار المسيح. لذلك تكرّمها الكنيسة بحقّ بشعائر خاصّة".(٣)

---

(١) رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص33-44

(٢) المجمع الفاتيكاني الثاني (1962م- 1965م) هو المجمع المسكوني الحادي والعشرون. دعا إليه البابا يوحنا الثالث والعشرون. أصدر عدداً من الدساتير والمراسيم والقرارات والبيانات والتصريحات. وهو يكمل ما لم يستطع المجمع الفاتيكاني الأول أن ينجزه، ولا سيما ما يختص بجماعية الأساقفة. أعمال المجمع الفاتيكاني الثاني، ص1-10.

(٣) بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر مريم العذراء، ص 101-102؛ وانظر أعمال المجمع الفاتيكاني الثاني المسكوني، (ترجمة: المسرة)،المطبعة البولسية،بيروت، 1966م ، ج1، ص74-75.

" وهذا التعبد، على النحو الذي وُجد عليه دائمًا في الكنيسة، يتّصف بطابع فريد على الإطلاق. غير أنّه يختلف اختلافًا جوهريًّا عن العبادة التي يُعبَد بها الكلمة المتجسّد مع الآب والروح القدس". [١]

" المعتقد الكاثوليكي يهيب بأبناء الكنيسة لأن يسهموا بسخاء في الإكرام، ولا سيّمَا اللـيـتـرجـي،[٢] للعذراء الطوباويّة[٣]، وأن يبالوا مبالاة بالغة بالممارسات والشعائر التقويّة المتعلقة بها والتي أوصت بها السلطة المعلّمة في غضون الزمن، ويوصي بالحفاظ بتديّن على جميع ما أُقِرَّ، في ما سلف من الزمن، بشأن تكريم صور المسيح، والعذراء الطوباويّة والقدّيسين، ويحرّض بإلحاح علماء اللاهوت والمبشرّين بكلمة الله أن يمتنعوا بحرص، إذا ما تكلّموا على كرامة أمّ الله الفريدة، من كل غلوّ يخالف الحقيقة، وكل تزمّت لا مبرّر له. وإنّ لهم، من إكبابهم على الكتاب المقدّس ومؤلفات الآباء والمعلّمين، ودراسة الليترجيّات بقيادة السلطة الكنسية المعلّمة، ما يجعلهم يستجلون، بوجه سويّ، مهمّة العذراء الطوباويّة وامتيازاتها الموجّهة على الدوام شطر المسيح معين الحقيقة الكاملة والقداسة والتقوى.
وليحترسوا بحرص شديد من كلّ كلمة وكلّ فعل من شأنهما تضليل إخوتنا المنفصلين أو أيّ شخص آخر، بالنسبة الى تعليم الكنيسة الصحيح. وليذكر المؤمنون أنّ الورع الحقيقي لا يقوم البتّة على حركة من العاطفة عقيمة عابرة، ولا على السذاجة الباطلة، بل ينبثق من الإيمان الحقّ الذي يحملنا على الاعتراف بكرامة أمّ الله السامية، ويحفّزُنا إلى محبّة هذه الأمّ محبّة بنويّة والاقتداء بفضائلها"[٤].

و يمكن تلخيص عقيدة الكاثوليك حول السيدة مريم العذراء بالنقاط التالية:
- يؤمن الكاثوليك أن عبادة مريم هي أفضل وسيلة لحفظ البر والقداسة، و يؤمنون كذلك بجواز وهب مريم فضائل الأعمال من عبادات وأعمال خير[٥]. ويحاول الكاثوليك التفريق بين

---

(١) بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر مريم العذراء ، ص 101-102؛ وانظر أعمال المجمع الفاتيكاني الثاني المسكوني، (ترجمة: المسرة)،المطبعة البولسية،بيروت، 1966م ، ج1، ص74-75.

(٢) مجموعة من الألفاظ والإشارات الكنسية لأعمال منظمة لدى الجماعة الدينية بغية تأمين العبادة المشتركة في مناسبة معينة وأمام جماعة.

(٣) الطوباوية: كلمة مشتقة من كلمة (Utopia) الإغريقية ومعناها الشيء المثالي الذي يفوق الخيال والتصور. انظر: حنفي، عبد المنعم، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج2، ص843.

(٤) بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر مريم العذراء، ص 101-102.

(٥) موقع الكنيسة الأرثوذكسية القبطية المصرية، http://st-takla.org/Coptic-church-1_.html

العبادات التي توجه لمريم وسائر العبادات الأخرى، حيث يرون أن الأدعية والمناجاة أو في زيارة الكنائس التي بنيت لأجلها وطلب الشفاعات التي توجه لمريم لا تجعل منها إلها لهم، بل هي عندهم نوع من التكريم الخاص. فمجرد توجيه الدعاء أو العبادة للقديسين عندهم لا تعني تأليههم. وعبادة مريم تتمثل في الصلوات التي تمثل المدائح والترانيم والأدعية التي تمجد مريم وتجعلها شفيعة في الخلاص وحل الكربات وواهبة للنعم. ويصرح الكاثوليك بطلب العبادة لمريم ويرونها عبادة من نوع خاص، كما يقول أحد الكتاب في كلامه عن عبادة مريم: "احتفظنا بكلمة تعبد لأنها شائعة في الأوساط الشعبية. أما في الواقع فإن التعبد أو العبادة فلله وحده. و أما للقديسين فالتكريم، وللعذراء التكريم الفائق"[١].

ومن أقوال يوحنا بولس الثاني في هذا الموضوع: " التعبد لمريم لا يتعارض والتعبد لابنها، لا بل نستطيع القول إن المسيح لما طلب من تلميذه المفضل أن يتخذ مريم أما له، فقد وضع أساس التعبد المريمي"[٢].

ويذكر الكاهن الكاثوليكي الآب نوبرت في كتابه "مريم وكهنوتها" أقوالا لبابا الفاتيكان السابق تؤكد بصراحة على ضرورة التوجه بالعبادة لمريم عندهم:

"إن الأب الأقدس "ممثل المسيح على الأرض" يوصينا بصريح الكلام، بأن نتعبد للعذراء مريم تعبداً خاصاً. ففي إرشاد له يكرر ثلاثاً قوله: " كما أنه من الممكن أن يدعى الكهنة بوجه خاص أولاد مريم، كذلك من الممكن ألا يكونوا دون الأولاد عبادة حارة لأمهم مريم، وأن يتضرعوا إليها مثلهم بكل ثقة، وأن يسألوها مرارًا حمايتها القديرة المحامية" وفي معرض كلامه عن التنشئة الروحية لطلاب الكهنوت يقول:" ستفعم الكنيسة ولا شك فرحاً إذا ما أضاف هؤلاء الطلاب على سر تعبدهم لسر القربان المقدس تعبداً خاصًا للعذراء مريم". [٣]

ويذكر ليكوري في كتابه "كتاب أمجاد مريم البتول": أن النعم كلها تتوزع بواسطة مريم وحدها، وبأن الذين يفوزون بالخلاص الأبدي جميعًا فيحصلون على ذلك بواسطة الأم

---

(١) السقلاوي، في خدمة البشارة- مريم من أنتِ، 1989م ، ج8، ص31-35
(٢) السقلاوي، المرجع السابق نفسه، ص414
(٣) المريمي، نوبرت، مريم وكهنوتها، (ترجمة: جرجس المارديني)، منشورات الرابطة الكهنوتية، 1985م، ص7-9

الإلهية، وبالتالي يمكن القول ضرورة أنه بإذاعة عبادتها وبانتشار مدائحها وبالاتكال الوطيد على مفعول شفاعتها يتعلق خلاص الجميع". [١]

يرى البروتستانت وأصحاب نزعة التجديد والإصلاح أن هذه العبادة الجديدة لمريم هي عودة لعبادات وثنية قديمة ورجعة إلى عبادة الإلهات التي كانت منتشرة في أوروبا بوجه خاص حيث عرف في التاريخ كثير من النساء اللواتي أخذن مكانة دينية، بينما يذكر القس مقار أن التحمس الزائد نحو توجيه العبادات لمريم هي محاولة للتعويض عن الغبن اللاحق تاريخياً بالمرأة في الكنيسة الكاثوليكية والذي بلغ حد منع زواج الكهنة، أو استجابة للتيارات التي قامت في القرن الأخير للمطالبة بحقوق المرأة. وللتأكيد على رفضه كل أنواع العبادة المقدمة لمريم من قبل الكاثوليك يقول القس مقار: "في القرون الوسطى عبدها الناس عبادة صريحة....من واجبنا أن نشجب كل عبادة للعذراء مهما كان تقديرنا لمركزها العظيم الذي أعطاه الله لها". [٢]

– يعتقد الكاثوليك بأن مريم هي شفيعة قادرة على أن تخلص الجميع، ويعلل أحد رجال الدين الكاثوليك هذا بقوله: "إن السلطة التي للأمهات على أولادهن هي بهذا المقدار عظيمة، حتى وإنه ولئن كان البنون ملوكا ولهم السلطان على جميع الشعوب الخاضعين لممالكهم فلا يمكن على الإطلاق أنّ أمهاتهم يكنّ مخضعات لولايتهم كأنهنَّ من الرعايا" [٣].

ويضيف كذلك: "إن تضرعات مريم لدى المسيح هي دائما تضرعات والدة ولهذا هي تضرعات كلية الاقتدار على أن تنال كل ما تطلبه". [٤]

– الغفرانات: هي التي يمنحها الباباوات لمن يقوم بأعمال دينية معينة، فقد منح البابا بيوس السابع غفرانات لمن يقوم بعبادات تتعلق بمريم العذراء. [٥]

– العذراء سيدة المطهر: يؤمن الكاثوليك بأن لمريم سلطة خاصة في الكنيسة المطهرة بمساعدة الناس وانتشالهم من الشرور بصفتها أم المسيح. [٦]

---

(١) دي ليكوري، ألفونس ، كتاب أمجاد مريم البتول،ط3،(ترجمة: مكسيموس مظلوم) ، مطبعة مجمع انتشار الإيمان المقدس،روما،1985م ، ج1،ص 17

(٢) مقار، نساء الكتاب المقدس، ص199

(٣) دي ليكوري، كتاب أمجاد مريم البتول، ص 192-193

(٤) دي ليكوري، المرجع السابق نفسه، ص 192-193

(٥) رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص66

(٦) رستم، المرجع السابق نفسه،ص 66

- يؤمن الكاثوليك بعقيدة صعود العذراء بالجسد والنفس التي أعلنت سنة 1950م وهي عقيدة أعلنها البابا بيوس الثاني عشر ، ومفاد هذا الاعتقاد أن مريم قد صعدت بالجسد إلى السماء لأنها قد تميزت عن سائر البشر بكونها خارج الخطيئة الأصلية فلا يمكن أن تموت لذلك صعدت إلى السماء بجسدها. (١)

- يرى الكاثوليك أن مريم بقيت عذراء قبل وبعد ولادتها للمسيح ولم تتزوج. (٢)

- التأكيد أن مريم هي شريكة في الخلاص أو العمل الفدائي وهذا الاعتقاد تم إعلانه في المجمع الفاتيكاني الثاني سنة 1965م.

ويبين يوحنا بولس الثاني في إحدى رسائله أن مريم تقوم بدور الوساطة لابنها لنجدة الناس في شقائهم وتحريرهم من الشر. (٣)

- ما أعلن في روما من أن مريم هي أم الكنيسةوهو اللقب الذي أطلقه بولس السادس على مريم أمام جماعة من الأساقفة المحتشدين في المجمع الفاتيكاني الثاني سنة 1965م، وفي هذا المعنى كذلك يشيرون إلى أن مريم هي أم البشر أو حواء الجديدة التي تشارك في تخليص جميع البشر. (٤)

- ويؤمن الكاثوليك بفكرة الحبل بلا دنس، وهي العقيدة التي أعلنها البابا بيوس التاسع سنة 1854م، ومفادها: أن مريم (القديسة) مبرأة من خطيئة آدم وهي في أحشاء أمها، بإنعام خاص عليها، وذلك لأن رحمها كان مستودع المسيح، ويحتفل الكاثوليك في الثامن من ديسمبر من كل سنة بهذه المناسبة. (٥)

---

(١) مجموعة من المؤلفين، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، ص 116، وانظر: بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر مريم العذراء، ص 84..

(٢) مقار، نساء الكتاب المقدس ، ص 199

(٣) دوبره لاتور، خلاصة اللاهوت المريمي، مريم وكهنوتها، ص104

(٤) مجموعة من المؤلفين، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، ص 117؛ وانظر: دوبره لاتور، خلاصة اللاهوت المريمي، مريم وكهنوتها، ص106-107

(٥) مجموعة من المؤلفين، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، ص 150؛ وانظر: دوبره لاتور، خلاصة اللاهوت المريمي، مريم وكهنوتها، ص79-84

ثانيا: توضيح معنى عقيدة الحبل بلا دنس عند الكاثوليك

معنى "عقيدة الحبل بلا دنس" أن مريم العذراء قد حمل بها وهي في أحشاء أمها مبرأة من "الخطيئة الأصلية"، وهي عقيدة انفرد بها الكاثوليك عن الأرثوذكس والبروتستانت. [١].وتعتبر هذه العقيدة من العقائد الطارئة حول السيدة مريم، بمعنى أن صورة مريم العذراء في الاعتقاد المسيحي بشكل عام وفي الاعتقاد الكاثوليكي بشكل خاص قد تأثرت بشكل كبير بالأفكار الجديدة التي أصدرها أباء الكنيسة عبر التاريخ.

وعقيدة "الحبل بلا دنس" تلك العقيدة أول من أعلن عنها البابا بيوس التاسع في 8 كانون الأوّل سنة 1854م، حيث قال:

"إنّنا نعلن ونحدّد أنّ التعليم القائل بأنّ الطوباويّة مريم العذراء قد عُصمت منذ اللحظة الأولى للحبل بها من كل دنس "الخطيئة الأصليّة"،[٢] وذلك بنعمة وإنعام فريدين من الله القدير ونظرًا إلى استحقاقات يسوع المسيح مخلّص [٣] الجنس البشري، هو تعليم موحى به من الله وواجب من ثمّ على جميع المؤمنين الإيمان به إيمانًا ثابتًا لا يتزعزع". [٤]

هذا التحديد عندهم لا يعني أنّ مريم العذراء قد حبلت بها أمّها حنّة بقدرة الروح القدس دون مباشرة رجل، كما حبلت هي بابنها. فالقدّيسة حنّة قد حبلت بمريم كما تحبل سائر النساء. بيد أنّ العذراء وإن حبلت بها أمّها على طريقة البشر، فإنّ نفسها كانت حاصلة على نعمة

---

(١) دوبره لاتور، خلاصة اللاهوت المريمي ، ص104

(٢) الخطيئة: هي الذنب، والتهاون في أوامر الله و"الخطيئة الأصلية": اعتقاد في العقيدة المسيحية مفاده أن آدم وحواء قد خرجا من الجنة بسبب خطيئة ارتكباها، وأن هذه الخطيئة تنتقل بالوراثة إلى كل إنسان يولد من نسل آدم عند بعض الطوائف المسيحية وفي مقدمتها الطائفة الكاثوليكية، وجاء المسيح من أجل تخليص الناس من كل الخطايا. رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص73. وانظر: صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ص535.

(٣) الخلاص: عقيدة مسيحية تقوم على فكرة تقديم الإله –المتمثل عندهم بشخص المسيح– نفسه فداء للبشرية وتكفيرًا لخطيئة أبيهم آدم، وبتقديم المسيح نفسه ذبيحة لم يعد من الضروري –حسب اعتقادهم– أن يقدم الناس الذبائح للخلاص من الخطيئة.

(٤) دوبره لاتور، خلاصة اللاهوت المريمي نفسه، ص 81–82؛ جمعية التعليم المسيحية بحلب، قداسة مريم العذراء، http://www.talimmasihi.com/ahadis_other_012.htm

القداسة، ومن ثمّ خالية من كل خطيئة، منذ أن خلقها الله و اتحدها بالجسد في أحشاء حنّة. ويرون بأن العذراء ما حصلت على هذا الإنعام الفريد إلاّ باستحقاقات ابنها. [١]

وهذه العقيدة أكدها المجمع الفاتيكاني الثاني الذي عقد في الفترة ما بين (1962- 1965م)، وقد قرر هذا المجمع عقيدتين مهمتين عند الكاثوليك الأولى: "صيانة مريم عن الخطيئة الأصلية"، والثانية أنها "رفعت بالجسد والنفس إلى السماء وأقامها الرب ملكة الكون كله". [٢]

ولفهم العقيدة القائلة "إنّ مريم عُصمت منذ اللحظة الأولى للحبل بها من كلّ دنس الخطيئة الأصلية"، لا بدّ من العودة إلى مفهوم الخطيئة الأصليّة في اللاّهوت الغربي. فهذه العقيدة قد أعلنتها الكنيسة الكاثوليكيّة – وعارضتها الكنيسة الأرثوذكسية- في إطار لاهوت خاص يرجع إلى القدّيس أوغسطينوس [٣]حول الخطيئة الأصليّة ونتائجها في البشر وضرورة الخلاص بالمسيح. [٤]

توسّع القدّيس أوغسطينوس في موضوع الخطيئة الأصليّة في معرض دفاعه عن ضرورة الخلاص بالمسيح ضدّ بيلاجيوس[٥].ففي حين كان بيلاجيوس يدّعي أنّ الإنسان يستطيع بقواه الخاصّة الحصول على الخلاص، أكّد أوغسطينوس ضرورة الخلاص بالمسيح مرتكزًا على فساد الطبيعة البشريّة بعد خطيئة آدم وحوّاء في الفردوس. فهذه الخطيئة تنتقل بالوراثة إلى كل إنسان يولد من نسل آدم. وينتج أنّ الإنسان يولد خاطئًا، بحيث إنّه إن لم

---

(١) بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر مريم العذراء، 77-78 جمعية التعليم المسيحية بحلب، قداسة مريم العذراء،
ttp://www.talimmasihi.com/ahadis_other_012.htm

(٢) دوبره لاتور، خلاصة اللاهوت المريمي، مريم وكهنوتها، ص80

(٣) القديس أوغسطين (13 نوفمبر/ تشرين ثاني 354م - 28 آب/أغسطس 430م) أحد أهم الشخصيات المؤثرة في المسيحية الغربية. تعتبره الكنيستان الكاثوليكية والأنغليكانية قديساً وأحد آباء الكنيسة البارزين وشفيع المسلك الرهباني الأوغسطيني. يعتبره العديد من البروتستانت، وخاصة الكالفنيون أحد المنابع اللاهوتية لتعاليم الإصلاح البروتستانتي. تعتبره بعض الكنائس الأورثوذكسية مثل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية قديسًا بينما يعتبره البعض هرطقيا بسبب آرائه حول مسألة الانبثاق. ولد في شمال أفريقيا قبل مجيئ الإسلام وهو ابن القديسة مونيكا تلقى تعليمه في روما وتعمّد في ميلانو، له عدة مؤلفات أشهرها الاعترافات. انظر: ألفا، روني إيلي، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والاجانب، ج1، ص155؛ وانظر: موسوعة ويكيبيديا، http://ar.wikipedia.org/wiki.

(٤) بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر مريم العذراء، ص 77-79

(٥) بيلاجيوس:(354 - 418م.): مؤسس البيلاجيوسية ، راهب ولاهوتي أقام في رومة ، ثم غادرها إلى إفريقيا ثم إلى فلسطين، حرمه البابا إينوسنت الأول من "شركة المؤمنين" واعتبره مهرطقا. الموسوعة العربية كلمات http://www.kl28.com/encr.php?search=-1189700281

يتعمد[١].لا يمكنه الحصول على الخلاص. كما ينتج أيضاً من وراثة الخطيئة الأصليّة انحراف إرادة الإنسان واستعبادها للشهوة. فكلّ إنسان يولد إذن خاطئًا ومستعبدًا للشهوة. [٢].

يرى أوغسطينوس أنّ مريم العذراء قد تحرّرت كليًّا، بنعمة خاصّة، من الخطيئة الأصليّة، ولا سيّما من الاستعباد للشهوة والخطيئة. وقد منحها الله هذه النعمة عندما ولدت. ولا يوضح أوغسطينوس أيّ شيء بالنسبة إلى عدم الموت في تلك النعمة الخاصّة. [٣]

وتشكل هذه المناسبة عيدا عند الكاثوليك فهم يحتفلون به في الثامن من كانون الأول من كل سنة ميلادية وفي هذه المناسبة جاء في إعلان إحدى الكنائس الكاثوليكية وهي "جماعة عيلة مارشيل" سنة 2007م النص التالي:

"تحتفل الكنيسة المقدّسة في الثامن من كانون الأول بعيد الحبل بسيّدتنا مريم العذراء في أحشاء والدتها القدّيسة حنة، بريئة من وصمة الخطيئة الأصليّة. وهذا كان اعتقاد الكنيسة الشرقيّة منذ العصور الأولى، يوم كانت تعيّد "لحبل حنّة" بوالدة الإله. وهذا ما تدلّ عليه دلالة صريحة وتترنّم به صلواتنا الطقسيّة السريانيّة في فروضنا على تنوّعها. مُلمِعةً إلى انّ الثالوث الأقدس اختارها لتكون أمًا للكلمة المتجسّد، فنناديها بهذا النشيد: "أيتها المباركة في النساء، يا مَن بواسطتها استؤصلت لعنةُ الأرض... أيتها العفيفة المملوءة من محاسن القداسة التي يعجز فمي عن وصف قَدْرها السامي. المجد للآب الذي اختار مريم من بين القبائل جميعها. والسجود للإبن الذي أشرقَ منها بقداسة. والشكر للروح القدس الذي ملأها غنىً وثروةً وافرة من النعم".[٤]

---

(١) التعميد في المسيحية: علامة على التطهير من الخطيئة والنجاسة والانتساب رسميا إلى كنسية المسيح وحلت المعمودية في العهد الجديد محل الختان في العهد القديم. انظر: زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، ج2، ص1259

(٢) جمعية التعليم المسيحية بحلب، قداسة مريم العذراء، http://www.talimmasihi.com/ahadis_other_012.htm

(٣) بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر مريم العذراء، ص 77–79؛ جمعية التعليم المسيحية بحلب، قداسة مريم العذراء، ttp://www.talimmasihi.com/ahadis_other_012.htm، دوبرة لاتور، خلاصة اللاهوت المريمي، مريم وكهنوتها، ص 76–77.

(٤) جماعة عيلة مارشيل الكاثوليكية، http://www.ayletmarcharbel.org/immaconcepAr.htm

ولا يقصد بعبارة "الحبل بلا دنس" حمل السيدة مريم بالمسيح –كما يخطئ البعض– بل إن المقصود به حمل أم مريم بمريم كما تم توضيحه سابقا. [١]

ثالثا: مريم في الليتورجيا الكاثوليكية

الليتورجيا هي كلمة يونانية الأصل مركبة من لفظين: لايتون بمعنى شعب، شعبي جمهوري. أيرغون بمعنى وظيفة، مهمة، خدمة. فالليتورجيا مجموعة من الألفاظ والإشارات لأعمال منظمة لدى الجماعة الدينية بغية تأمين العبادة المشتركة في مناسبة معينة وأمام جماعة. [٢]

وتهتم الكنسية الكاثوليكية بالليتورجيا الخاصة بالسيدة مريم وقد أكد المجمع الفاتيكاني الثاني1965م على مكانة مريم في الصلوات المسيحية الكاثوليكية التي تحتوي ألفاظاً تمدحها وترفع من مكانتها، فجاء في أعمال هذا المجمع أن الكنيسة تكرم مريم بكونها "أم الإله" ومساهمتها في الخلاص مع ابنها، ويظهر هذا الاهتمام في المدائح والترانيم والصلوات التي يقدمها أتباع الكنيسة الكاثوليكية لمريم العذراء.[٣]

رابعا: أعيادها عند الكاثوليك

تحتفل الكنيسة بمناسبات متعددة، منها ما يعتبر تذكارات لأحداث تاريخية ورد ذكرها في كتب العهد الجديد المعتمدة لدى الكنيسة، ومنها ما هو مستقىً من التقليد أو الأناجيل المنحولة (غير المعتمدة عندهم). في الحبل بها (9 كانون الأول)، وفي ذكرى مولدها (8 أيلول)، وفي عيد سيدة الوردية في 1 تشرين الأول، وفي ذكرى دخولها الهيكل (21 تشرين الثاني)، وفي بشارة الملاك جبرائيل لها (25 آذار)، وزيارتها لأليصابات (يوم الجمعة من أسبوع الفصح في الكنيسة الملكية الكاثوليكية) وميلادها المسيح (25 كانون الأول)، تهنئتها بالميلاد (26 كانون الأول)، وتقديمها ابنها للهيكل (2 شباط)، ورقادها (15 آب). [٤]

---

(١) موقع الكنيسة الكاثوليكية، http://www.marypages.com/indexArabic.html.

(٢) جمعية التعليم المسيحية، http://www.talimmasihi.com/ahadis_2002-2003_fiallitourjia.htm

(٣) دوبره لاتور، خلاصة اللاهوت المريمي، مريم وكهنوتها، ص109-110؛ بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر مريم العذراء، ص102.

(٤) بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر مريم العذراء، ص 102-106؛ بشارة، يوسف وبولس الفغالي، العذراء مريم، ط1، دار الكتاب المفضل، الزلقا ، ص 166

المطلب الرابع: أوصافها الدينية عند الأرثوذكس

الأرثوذكس هم أتباع الكنائس الشرقية (اليونانية)، وكلمة "أرثوذكس" (Orthodoxy) كلمة لاتينية معناها: "صحيح العقيدة" أو "مذهب الحق."[١] وكما مر سابقا فقد ظهر الانقسام في الكنائس نتيجة الصراع والتنافس بين الكنيستين الشرقية والغربية نتيجة ظروف سياسية ودينية، وفي عام 451 م وعقب مجمع خلقدونية انفصلت الكنيسة المصرية (أول الكنائس الأرثوذكسية) عندما قالت بطبيعة واحدة للمسيح منكرة ما ذهب إليه المجمع من أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين، ثم انفصلت بقية الكنائس الشرقية عقب مجمع ي القسطنطينية الرابع سنة 869م والخامس سنة 879م، بسبب إصرار الكنيسة الغربية على اعتبار الروح القدس منبثقاً من الأب والابن معاً. [٢]

وقد انقسمت الكنيسة الأرثوذكسية في أعقاب مجمع القسطنطينية الخامس 879م إلى قسمين كبيرين (الكنيسة المصرية أو القبطية أو المرقسية وكنيسة القسطنطينية، المسماة بالرومية أو اليونانية.و ينتشر أتباع الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا وعموم آسيا وصربيا ومصر والحبشة، ويتبعون أربع كنائس رئيسة لكل منها بطري رك هي: القسطنطينية والإسكندرية وأنطاكيا والقدس. [٣]

أولا: ملخص المعتقد الأرثوذكسي حول مريم

تتفق الرؤية الأرثوذكسية مع الكاثوليكية في تمجيد السيدة مريم ورفعة مكانها وفي فكرة توجيه الصلوات والأدعية والمدائح إليها التي يعتبرونها من أنواع التكريم لها بصفتها أماً للمسيح أو كما يقولون "أمُّ الإله". ومكانتها عندهم ترتفع فوق مكانة الأنبياء والملائكة، يعبر قسطنطين قرمش أحد الكتاب الأرثوذكس في كتابه "العذراء مريم في المفهوم الأرثوذكسي وخدمة المدائح والبراكسيلي" عن مكانة العذراء عندهم بقوله: "في اللاهوت الكنسي ترتفع العذراء في درجة قربها من الله، وبالتالي قداستها وشفاعتها أكثر من جميع الأنبياء لأن سر

---

(١) رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص 47-50
(٢) رستم، المرجع السابق نفسه، ص33-44
(٣) رستم، المرجع السابق نفسه، ص 48-50

العذراء أعلى من موهبة النبوة. فالأنبياء قبلوا الروح القدس في الذهن والفم لينطقوا بكلام الله إلى فترة زمنية، أما العذراء فقبلت الروح القدس يتحد بكل كيانها حتى يستطيع كلمة الله أن يأخذ من لحمها و دمها جسداً له". وفي موضع آخر يضيف قائلا: "تجاوزت العذراء في طبيعتها عجز البشرية بتدخل الروح القدس وقوة العلي، حتى بلغت ما هو أعلى من الملائكة".(١)

ثانيا: موقف الكنيسة الأرثوذكسيّة من عقيدة الحبل بلا دنس

لقد رفضت الكنيسة الأرثوذكسية عقيدة الحبل بلا دنس (٢).التي أعلن عنها البابا بيوس التاسع، وليس ذلك إنكارًا منها لقداسة مريم العذراء حسب رأيهم ، بل لأنّ نظرتها إلى الخطيئة الأصليّة وعواقبها في الإنسان تختلف عن نظرة الكنيسة الغربيّة. (٣)

فلا وجود أوّلاً لعبارة "الخطيئة الأصليّة" في الكنيسة الشرقيّة التي تتكلّم فقط عن خطيئة الأبوين الأوّلين، آدم وحوّاء. أمّا بشأن نتائج تلك الخطيئة، فترفض الكنيسة الشرقية أن يكون كلّ الناس قد أخطأوا خطيئة فعليّة "في آدم، وأن يولدوا مخطئين بالفعل. فآدم وحوّاء وحدهما خطئا "خطيئة فعليّة"، أمّا نسلهما فيرث فقط حالة من الانحطاط تستلزم خلاص المسيح والولادة الجديدة. (٤)

من هنا، لا تؤمن الكنيسة الأرثوذكسيّة بصحة التعليم الكاثوليكيّ حول عقيدة "الحبل بلا دنس". وعملوا على ردها، واعتبروا أنّ الله أنعم على مريم العذراء بملء القداسة، وقد تجاوبت مريم مع هذه النعمة، فلم تقترف أيّ خطيئة وبقيت "منزّهة عن العيب"، و"الممتلئة نعمة"، و"الكليّة القداسة". ولكنّ هذه النعمة لا تعني، في نظر الكنيسة الأرثوذكسيّة، عصمة من

---

(١) قرمش، قسطنطين، العذراء مريم في المفهوم الأرثوذكسي وخدمة المدائح والبراكسيلي، ط 2، 1989م، ص15

(٢) المقصود به حمل أم مريم بمريم.ولا يقصد بعبارة "الحبل بلا دنس" حمل السيدة مريم بالمسيح –كما يخطئ البعض.

(٣) بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر مريم العذراء، ص 79–81؛ وانظر: مجموعة من المؤلفين، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، ص149–160 .

(٤) بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر مريم العذراء، ص 79–81.

الخطيئة الأصليّة، فمريم خضعت للموت كسائر البشر وتحمّلت معهم عاقبة خطيئة آدم وحواء.[١]

وتحتفل الكنيسة الأرثوذكسيّة في الثامن من شهر كانون الأوّل(قبل يوم من احتفال الكنيسة الكاثوليكية بالحبل بدون دنس) ، بذكرى حبل القدّيسة حنّة بمريم "والدة الإله" كما يسمونها. والرواية الكنسيّة تشير إلى أنّ حنّة كانت عاقراً ومتقدّمة في السنّ حين حبلت بمريم على مثال أليإصابات حين حبلت بيوحنّا المعمدان. ومريم ويوحنّا هما الشخصان الوحيدان _ زيادة على السيّد المسيح – اللذان تحتفل الكنيسة بذكرى الحبل بهما وبولادتهما، وتعترف الكنيسة أنّ حبل حنّة بمريم تمّ بقدرة الروح القدس. [٢]

إنّ الكنيسة الأرثوذكسيّة، برفضها عقيدة "الحبل بلا دنس" وعصمة مريم العذراء من الخطيئة الأصليّة، تؤكّد في صلواتها على عظمة مريم ومكانتها. وهناك في الأدب الكنسيّ الشرقيّ الكثير من الترانيم والأناشيد (كالمديح) التي ترفع من شأن مريم ودورها وشفاعتها.[٣]

والعبارات المتعلقة بمريم عند الكنيسة الأرثوذكسية عبارات تعلنها في كل خدمة طقسية، اذ تناديها بأنها: "الكلية القداسة، الطاهرة، الفائقة البركات، المجيدة، سيدتنا، والدة الإله، الدائمة البتولية مريم". وهذا النداء يحوي النعوت الثلاثة الرئيسة التي تخص الأرثوذكسية مريمَ بها، وهي عندهم: "والدة الإله" (theotokos)، وهو اللقب الذي قرره المجمع المسكوني الثالث المنعقد في أفسس في العام 431م؛ و "الدائمة البتولية" (aeparthenos)، وهو اللقب الذي جاء به المجمع المسكوني الخامس المنعقد في القسطنطينية في العام 553م؛ واما لقب: "الكلية القداسة" (panagia)، فلم يحدَّد عقائديا، ولكنه مقبول ويستخدمه جميع الأرثوذكس في العالم.[٤]

هذا وقد ميَّزت الكنيسة الأرثوذكسية، في تعليمها، فيما تتكلم عن مريم، بين اصطلاحي "العبادة" و"التكريم"، فهي تشير إلى أنها لا تدعو مطلقا إلى عبادة مريم كعبادة الله وإنما تكرمها وتعظّمها، ولكن الحقيقة أن العبارات المستخدمة في الأدعية المتوجهة لمريم

---

(١) مجموعة من المؤلفين، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، ص149–160.
(٢) كنيسة مدينة أنطاكيا العظمى الأرثوذكسية ، http://www.antiochair.com
(٣) المرجع السابق نفسه، كنيسة مدينة أنطاكيا العظمى الأرثوذكسية، http://www.antiochair.com
(٤) وير، تيموني، الكنيسة الأرثوذكسية إيمان وعقيدة، (ترجمة): هاشم الحسيني، منشورات النور، بيروت ، 1982م، ص84

وطلب الشفاعة منها واللجوء إليها بعبارات الخلاص يمكن تفسيره بأنه نوع من أنواع العبادة.(١)

ثالثا: مريم في الليتورجيا الأرثوذكسيّة

1.الترانيم

تتعدد الترانيم الليوتروجية الأرثوذكسية المتعلقة بمريم وهي عبارة عن تراتيل تؤدى في كل المناسبات والطقوس الكنسية. وتقوم في مجملها على تمجيد مريم ومدحها، وطلب الشفاعة منها(٢). ومثال على ذلك:

طوباك يا مريم أنت بنت المساكين ... ولقد صرت أماً لملك الملوك

فحلَّ في حشاك حلولاً مقدماً ... هو الذي مجده يملأ السموات

طوبى لصدرك فلقد أحبه وأرضعه ... ولفمك فلقد تاق الله وله غنى

ولذراعيك فلقد ضمتاه فصرتي مركبة ... وزيّحت المشعل نوراً

طوباك يا مريم ... لقد أصبح حضنك قصراً للملك

فمال إليك من يظفر التيجان للملوك ... ومن يوزع المراتب للأسياد

من قبيلة يهوذا منبتك ... ومن بيت داوود عشيرتك

إنه لشريف نسبك ... وقد صرت أنت البتول أمّاً لابن داوود (٣)

2.القداس الإلهي

في هذا القداس الإلهي للكنيسة الأرثوذكسية، يقوم الكهّان بطقوس يمجدون فيها مريم ويقدمون قطعة من القربان تمثل مريم، ويقولون" قامت الملكة عن يمينك موشحة ومزينة بثوب مذهب"، ويطلبون شفاعة مريم "بشفاعات والدة الإله يا مخلص خلصنا"، ويرددون الترتيلة التالية: " بواجب الاستحقاق حقاً نغبط والدة الإله الدائمة الطوبى البريئة من كل العيوب، أمّ إلهنا، يا من هي أكرم من الشاروبيم وأرفع مجداً بغير قياس من السرافيم(٤)،التي بغير فساد ولدت كلمة الله، حقا إنك والدة الإله إياك نعظم" ويقال كذلك :" إن البرايا بأسرها

---

(١) بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر مريم العذراء، ص 79-81؛ وانظر: مجموعة من المؤلفين، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، ص149-160 .

(٢) مجموعة من المؤلفين، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، ص37-39

(٣) فرح، في خدمة البشارة مريم من أنت، ص 462- 463.

(٤) الشاروبيم و السرافيم: مراتب للملائكة.

تفرح بك يا ممتلئة نعمة، محافل الملائكة وأجناس البشر، أيتها الهيكل المتقدس، والفردوس الناطق، فخر البتولية مريم التي منها تجسد الإله، وصار طفلاً وهو إلهنا قبل الدهور لأنه صنع مستودعك عرشا وجعل بطنك أرحب من السموات، لذلك يا ممتلئة نعمة تفرح بك كل البرايا وتمجدك"(١)

3.الصلوات اليومية

الصلوات اليومية وبشكل خاص صلاة النوم الصغرى تتضمن أناشيد وابتهالات عدة موجهةً لمريم، ومنها: " أيتها السيدة الطاهرة العذراء النقية عروس الله العادمة العيب" و "أيتها المجيدة المباركة والدة الإله الدائمة البتولية مريم قدمي صلاتنا إلى ابنك وإلهنا متوسلة إليه لكي يخلص نفوسنا" وتنتهي صلاة النوم الصغرى بالعبارات التالية" إنّي أنا عبدك يا والدة الإله أكتب لك رايات الغلبة يا جنّدية محاميّة، وأقدم لك الشكر كمنقذة من الشدائد، لكن بما أن لك العزة التي لا تحارب، إعتقيني من صنوف الشدائد، حتى أصرخ إليك، إفرحي يا عروسًا لا عروس لها"(٢).

4.خدمة البراكليسي (Paraklisi)

وهي عبارة عن أدعية وابتهالات موجهة لمريم في الكنائس أثناء الشدائد، على اعتبار أنها شفيعة. ومن هذه قولهم: "تجارب كثيرة قد شملتنا أيتها العذراء فإليك نلتجئ طالبين الخلاص، فيا أم الكلمة خلصينا من المصاعب والضيقات". (٣)

رابعا: أعيادها عند الأرثوذكس

معظم القصص التاريخية التي استندت إليها هذه الأعياد ترجع إلى الأناجيل المنحولة (الكتب الأبوكريفية)، وتظهر أهمية السيدة مريم في الليوتورجيا الأرثوذكسية من خلال عدد الأعياد التي يخصصونها لها، فالأعياد التي تتعلق بمريم عندهم هي: (٤)

1. عيد ميلاد السيدة مريم،" والدة الإله" في الثامن من أيلول: عمم هذا العيد في القرن الخامس وألف البطريرك أناطوليوس (447م-449م) بطريرك القسطنطينية نشائد له.

---

(١) مجموعة من المؤلفين، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، ص40
(٢) المرجع السابق نفسه، ص42
(٣) المرجع السابق نفسه، ص74-75
(٤) المرجع السابق نفسه، ص38-77.

2. عيد دخول مريم إلى الهيكل، 21 تشرين الثاني. ويرجح أن يكون هذا العيد قد اعتمد في بداية القرن الثامن الميلادي أيام البطريرك طراسيوس.

3. عيد دخول السيد المسيح إلى الهيكل، 2 شباط: أدخل هذا العيد إلى القسطنطينية في القرن السادس في عهد يوستينيانوس (527م–565م) وترجع فكرة هذا العيد لما ورد في الأناجيل المنحولة أو التقليد من أن مريم بعد ولادة المسيح بأربعين يوما قد أكملت تطهيرها حسب الشريعة اليهودية وقدمت المسيح إلى الهيكل، ولذلك يسمى عند الغرب بعيد تطهير العذراء.

4. عيد بشارة مريم، 25 آذار:ويرجع هذا العيد إلى الأزمنة المسيحية الأولى حيث وجدت مواعظ من البشارة تعود إلى القرن الخامس الميلادي.

5. عيد رقاد مريم ، 15 آب: وأدخل هذا العيد في أوائل القرن السابع الميلادي عند بناء إحدى الكنائس بمناسبة ذكرى دفن مريم حسب ما جاء في التقليد، وتؤمن الكنيسة الأرثوذكسية بموت مريم ودفنها ومن ثم قيامها وصعودها إلى السماء. جاء في أحد النصوص الليوتروجية الأرثوذكسية:" يا عروس الله الأم البتول، يا من ولدت الحياة لقد انتقلت برقادك الموقر إلى الحياة الخالدة، محفوفة بالملائكة والرسل والأنبياء وسائر الخليقة".

6. عيد حبل القديسة حنة بمريم ، 9 كانون الأول: وقد بدأت الكنيسة تحتفل بهذه المناسبة منذ القرن الثامن الميلادي. وتتوّجه الكنيسة بهذه المناسبة لمريم بهذه الأنشودة: "اليوم ربّاطات العقر تنحل وتنفد لأن الله قد سمع صلاة يوكايم وحنة، فهما يلدان من غير أمل وما وعدا به الفتاة الإلهية التي منها ولد غير المحصور لمّا صار إنسانًا بواسطة ملاك مأمور بأن يهتف نحوها السلام عليك يا ممتلئة نعمة، الرب معك".

7. عيد جامع لمريم، 26 كانون الأول: وهو عيد قديم في تاريخ الكنيسة وضع بعد عيد ميلاد المسيح مباشرة.

8. عيد وضع ثوب "والدة الإله" ، 2 تموز: وترجع فكرة هذا العيد إلى القرن الرابع عشر عندما شيدت كنيسة جديدة في عهد الإمبراطور لاون المكدوني (457م–474م) في القسطنطينية، ونقل من القدس ثوب لمريم إلى هذه الكنيسة فتحتفل الكنيسة بهذه الذكرى.

9. عيد وضع زنار والدة الإله، 31 آب: وترجع فكرة هذا العيد لما روي من أن مريم قد وهبت زنارها إلى توما، وقد نقل هذا الزنار من القدس إلى كنيسة شيدت في القسطنطينية قرب آيا صوفيا.

10.عيد سيدة الينبوع: يحتفل به يوم الجمعة من أسبوع التجديدات وترجع فكرة هذا العيد إلى أن مريم قد ظهرت في القرن الخامس الميلادي قرب ينبوع شيدت بجانبه كنيسة في القسطنطينية.

11. عيد المديح (الأكاثسطون): ويحتفل به في أيام الصوم الكبير وترجع فكرة هذا العيد إلى القرن السابع الميلادي (626م) وقد وضع حسب الاعتقاد الذي ساد لدى أهل مدينة القسطنطينية لشكر مريم العذراء التي حفظت المدينة ونجتها من كوارث كثيرة كان آخرها محاصرة الفرس للمدينة.

خامسا: مريم في معتقد الكنيسة الأرثوذكسية القبطية

كلمة "قبطي" يونانية الأصل معناها مصري، وبذلك تكون الكنيسة القبطية الكنيسة المصرية المسيحية، ويؤلف الأقباط الأرثوذكس الطائفة المسيحية الأكبر في مصر من حيث العدد حيث قُدّرت ما بين أربعة إلى خمسة ملايين نسمة. (١)

وتتجه الكنيسة الأرثوذكسية القبطية كسائر الكنائس الأرثوذكسية إلى وصف مريم بأوصاف مثل "أمنا كلنا"، و"سيّدتنا كلنا"، و"فخر جنسنا"، "الملكة القائمة عن يمين الملك" "العذراء الدائمة البتولية"، "الطاهرة"، "المملوءة نعمة"، "القديسة مريم"، "الأم القادرة المعينة الرحيمة"، "أم النور"، "أم الرحمة والخلاص"، "الكرمة الحقانية". ويقولون إن صفاتها هذه التي ترفعها الكنيسة فوق مرتبة رؤساء الملائكة كما يرد ذلك في تسابيحهم وألحانهم. ويصفونها بأنها التي تربت في الهيكل، وعاشت حياة الصلاة والتأمل منذ طفولتها، وكانت الإناء المقدس الذي اختاره الرب للحلول فيه. وتحتفل غالبية الكنائس بعيدها في مص ر، وفي الطقوس الخاصة بالكنيسة توجد المدائح والتراتيل، والتماجيد الخاصة بها. (٢)

ويعتقدون أن العذراء تجري معجزات في أماكن عديدة، و يعتقدون أنها تتراءى على قباب الكنائس منذ سنين طويلة. وتعتقد الكنيسة القبطية بأن المعجزات في حياة العذراء قبل ولادتها، وتستمر بعد وفاتها، ومن هذه المعجزات التي يؤمنون بها: (٣)

1.حبل بها بمعجزة، من والدين عاقرين، ببشرى من الملاك.

---

(١) النجار، الديانة المسيحية، ص183

(٢) الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، http://www.stgeorge-sporting.org/stgeorge/stgeorge_ar.htm

(٣) الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، http://www.stgeorge-sporting.org/stgeorge/stgeorge_ar.htm

2.معجزة خطوبتها، بطريقة إلهية حددت الذي يأخذها ويرعاها.

3. معجزة في حبلها بالمسيح وهي عذراء مع استمرار بتوليتها بعد الولادة.

4. معجزة في زيارتها لإليصابات، التي لما سمعت صوت سلامها، ارتكض الجنين بابتهاج في بطنها وامتلأت بالروح القدس.

5. معجزات أثناء زيارتها لأرض مصر، منها سقوط الأصنام.

6. أول معجزة أجراها المسيح في قانا الجليل كانت بطلبها.

7.معجزة حلّ الحديد وإنقاذ متياس الرسول،[١]. كانت بواسطتها.

8. معجزة استلام المسيح لروحها، ساعة وفاتها.

9. معجزة ضرب الله لليهود لما أرادوا الاعتداء على جثمانها بعد وفاتها.

10. معجزة صعود جسدها إلى السماء.

11. الاعتقاد بظهورها في أماكن متعددة وبخاصة في كنائس معينة في مصر. [٢]

أعيادها في الكنيسة القبطية

يمكن تلخيص مجموع الأعياد التي تحتفل بها الكنيسة القبطية فيما يتعلق بالسيدة مريم العذراء على النحو التالي: [٣]

1. تحتفل الكنيسة في أول مسرى (7 أغسطس) بصوم السيدة العذراء، وهو صوم يهتمون به اهتمامًا كبيرًا، ويمارسونه.

2. عيد البشارة بميلادها: وهو يوم 7 مسرى (أغسطس) في التقويم القبطي، حيث بشر ملاك الرب أباها يواقيم بميلادها، ففرح بذلك هو وأمها حنة، ونذراها للرب.

3. عيد ميلاد العذراء: وتحتفل به الكنيسة في أول بشنس (أيار).

---

(١) متياس: هو الصيغة اليونانية للاسم العبري "متثيا" ومعناه عطية الإله، ويعتبرونه أحد تلاميذ المسيح الذين لازموه، وروي أنه كان من السبعين الذين أرسلهم المسيح للتبشير. أنظر قاموس الكتاب المقدس، عبد الملك بطرس وآخرون، ص835-836.

(٢) المرجع السابق نفسه، الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، http://www.stgeorge-sporting.org/stgeorge/stgeorge_ar.htm

(٣)الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ،http://www.stgeorge-sporting.org/stgeorge/stgeorge_ar.htm

4. عيد دخولها الهيكل: وتحتفل به الكنيسة يوم 3 كيهك (كانون الأول) في التقويم القبطي . وهو اليوم الذي دخلت فيه لتتعبد في الهيكل في الدار المخصصة للعذارى.
5. عيد مجيئها إلى مصر ومعها السيد المسيح ويوسف النجار. وتعيد له الكنيسة يوم 24 بشنس(حزيران) في التقويم القبطي.
6. عيد نياحة العذراء: وهو يوم 21 طوبة (شباط) في التقويم القبطي، وتذكر فيه الكنيسة أيضًا المعجزات التي تمت في ذلك اليوم. وكان حولها الآباء الرسل ما عدا القديس توما الذي كان وقتذاك يبشر في الهند.
7. العيد الشهري للعذراء: وهو يوم 21 من كل شهر قبطي، تذكارًا لنياحتها في 21 طوبة (29–30 يناير) في التقويم القبطي.
8.عيد صعود جسدها إلى السماء وتعيد له الكنيسة يوم 16 مسرى في التقويم القبطي، الذي يوافق 22 من أغسطس، ويسبقه صوم العذراء (15 يومًا).
9.عيد معجزتها :وهو يوم 21 بؤونة في التقويم القبطي.
10. ويحتفلون لبناء أول كنيسة على اسمها.
11. عيد ظهورها في الزيتون: تدعي الكنيسة القبطية أن مريم العذراء قد شوهدت على قباب كنيسة العذراء. وكان ذلك يوم 2 أبريل سنة 1968م واستمر مدى سنوات. ويوافق 24 برمهات في التقويم القبطي تقريبًا.
12. يحتفل طول شهر كيهك في التقويم القبطي (من ثلث شهر كانون الأول إلى 7 يناير) بتسابيح كلها عن كرامة السيدة العذراء.

ترى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية أنها تكرم السيدة العذراء الإكرام اللائق بها، دون مبالغة، ودون إقلال من شأنها. فمريم في اعتقاد الكنيسة "والدة الإله" (ثيئوطوكوس). وليست والدة (يسوع) والكنيسة تؤمن أن الروح القدس قد قدس مستودع العذراء أثناء الحبل بالمسيح.

وتقديس الروح القدس لمستودعها عندهم يجعل المولود منها يحبل به بلا دنس الخطيئة الأصلية. أما العذراء نفسها، فقد حبلت بها أمها كسائر الناس. لذلك لا توافق الكنيسة على أن العذراء حبل بها بلا دنس الخطيئة الأصلية كما يؤمن الكاثوليك. وتؤمن الكنيسة بشفاعة السيدة العذراء.وتضع شفاعتها قبل الملائكة ورؤساء الملائكة، فهي عندهم "والدة

الإله"، وهي الملكة القائمة عن يمين الملك . والكنيسة تؤمن بدوام بتولية العذراء ، كسائر الكنائس الأرثوذكسية. (١)

المطلب الخامس: أوصافها الدينية عند البروتستانت

البروتستانت هم في الأصل من أتباع الكنيسة الكاثوليكية، وكلمة "بروتستانت" كلمة إنجليزية معناها: المحتجون. وقد انشق البروتستانت عن الكنسية الكاثوليكية في منتصف القرن السادس عشر وبعد عدة احتجاجات على ممارسات باباوات الكنيسة(.٢)

يعطي البروتستانت حرية في تفسير الأناجيل، مقابل السلطة التقليدية للكنيسة الكاثوليكية. وينكرون بعض المعتقدات التي تتبناها الكنيسة الكاثوليكية مثل شفاعة مريم وبتوليتها الدائمة.ويشبهون مريم بالعلبة التي تحتوي الجوهرة أي المسيح، وفي بعض الأحيان يصفونها "باختنا". ويؤمنون أن مريم عاشت حياة زواج بعد ولادة المسيح.

ومن أهم ملامح العقيدة البروتستانتية أنها ترفض عبادة مريم العذراء، ودعاءها وطلب الحوائج منها. (٣)

ونظرة البروتستانت لمريم العذراء ترتكز على المحاور التالية:

1.ما ورد في الأناجيل المعتمدة عندهم. (٤)

2. مقررات المجامع المسكونية الأربعة الأولى، حيث لم يقبل مارتن لوثر مؤسس البروتستانتية سوى قرارات هذه المجامع الأربعة الأولى. (٥)

(١)الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، http://www.stgeorge-sporting.org/stgeorge/stgeorge_ar.htm
(٢) رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم ،ص150
(٣) رستم، المرجع الساق نفسه ، ص 195
(٤) الموقع العربي لمارتن لوثر، http://www.lutherinarabic.org/mitri/islah2003.htm، 2005
(٥) رستم، ، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص70.

كما يؤيد البروتستانت اللوثريون ما أقرته هذه المجامع من أمور تتعلق بالسيدة مريم وهي:

أ- ما أقره المجمع المسكوني الأول في نيقية 325م، أن مريم كانت عذراء عندما حبلت بالمسيح الذي حبل به من الروح القدس وولد من مريم العذراء كما ورد في قانون الإيمان النيقاوي: "وتجسد بالروح القدس من مريم العذراء".(١)

ب. ما أقره المجمع المسكوني الثالث والذي انعقد في أفسس 431م بأن مريم هي والدة الإله. وما قرره المجمع المسكوني الرابع في خلقدونية 451م بأن المسيح :"مولود من الآب قبل كل الدهور.." (٢)

و لقب والدة الإله هو لقب لا اختلاف عليه بين الكنائس سواء كانت أرثوذكسية أم كاثوليكية أم لوثرية. ولكن الكنيسة اللوثرية ترى أن لقب "والدة الإله" هذا لم يصغ لتأكيد ألوهية العذراء، بل لتأكيد الوهية المسيح. (٣)

كتب لوثر سنة 1539م مقالة بعنوان "في المجامع والكنائس"، جاء فيها: "هكذا لم يأت مجمع أفسس بشيء جديد في الإيمان، وإنّما دافع عن الإيمان القديم ضدّ ضلال نسطوريوس الجديد. فالقول إنّ مريم هي والدة الإله كان في الكنيسة منذ البداية، ولم يخلقه المجمع جديدًا بل قاله الإنجيل أو الكتاب المقدّس"(٤).

ج-أما بالنسبة لما أضافه المجمع المسكوني الخامس سنة 553م والذي عقد في القسطنطينية من عبارة "الدائمة البتولية" ومفادها أن العذراء بقيت بتولا، أي لم تعرف رجلا حتى بعد ولادة يسوع المسيح.وأن إخوة يسوع المذكورين في الإنجيل ليسوا سوى أبناء عمومته. فلا يعتبرها اللوثريون من قضايا الإيمان المسيحي الأساسية بحجة أنها لم ينص عليها بقطعية في الكتاب المقدس ولا يلزمون أنفسهم بقرار هذا المجمع ويرون أن الفرق بين ما أقرته المجامع الأربعة الأولى عن العذراء وما أقره المجمع الخامس، أن المقررات الأولى

---

(١) الموقع العربي لمارتن لوثر، http://www.lutherinarabic.org/mitri/islah2003.htm، 2005

(٢) الموقع العربي لمارتن لوثر، http://www.lutherinarabic.org/mitri/islah2003.htm، 2005

(٣) الموقع العربي لمارتن لوثر، http://www.lutherinarabic.org/mitri/islah2003.htm، 2005

(٤) بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر مريم العذراء، ص 116

كانت مرتبطة بالمسيح وجاءت للدفاع عن ألوهيته . بينما البتولية ليست مهمة لإثبات ألوهية المسيح، عن هذه النقطة كتب مارتن لوثر:

"يجب أن يكون واضحا دائما بأننا هنا إنما نتحدث عن كرامة المسيح وليس عن مريم وإذا كان ثمة قول مريمي لا ينص عليه الكتاب المقدس فلسنا ملزمين بأن نعتقد به أو نفكر فيه،التفكير بلا ضريبة، ولكل أن يفكر ما يشاء ولكن غير مقبول أن نجعل من هذا الأمر (بتولية مريم الدائمة) بند إيمان." [١]

وأهم معتقدين ترفضهما الكنيستان الأرثوذكسية والبروتستانتية من الاعتقادات التي تؤمن بها الكنيسة الكاثوليكية هما:

1. عقيدة الحبل بلا دنس التي أعلن عنها البابا بيوس التاسع عام 1854م:

وحجة الكنيسة اللوثرية هنا أن هذه الفكرة فكرة مبتدعة ليس لها نص في الكتاب المقدس، أما الأرثوذكس فقد ذكرنا حجتهم سابقا. [٢]

2. الاعتقاد بانتقال العذراء إلى السماء بالجسد والنفس:

والتي كان البابا بيوس الثاني عشر قد أعلن عنها عقيدة إيمانية عام 1950م.

"إننا نعلن ونؤكد ونحدد كعقيدة موحاه من الله أن "أم الله" الطاهرة مريم الدائمة البتولية بعد حياتها على الأرض انتقلت بالجسد والنفس إلى مجد السماء." [٣]

ومفاد هذه العقيدة هو أن العذراء لا تحتاج إلى أن تنتظر قيامة الأموات في اليوم الأخير،بل قد انتقلت بالجسد إلى السماء وهي حية هناك ولذلك تستطيع أن تشفع بالمؤمنين..هذه الحقيقة مهمة لشفاعة العذراء في الفكر الكاثوليكي ولكنها تنافي الفكر اللوثري تماما. [٤]

وترفض الكنيسة اللوثرية هذه العقيدة لكونها عقيدة غير مسكونية بمعنى لم تذكرها المجامع المسكونية الأربعة الأولى التي يعترف بها البروتستانت . و لم تقبلها كذلك الكنيسة الأرثوذكسية. ولأن وجهة النظر اللوثرية كذلك تتمسك بالعقيدة التي تقول أن الشفيع الوحيد

---

(١) الموقع العربي لمارتن لوثر، http://www.lutherinarabic.org/mitri/islah2003.htm، 2005

(٢) بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر مريم العذراء، ص 119

(٣) بسترس، المرجع السابق نفسه، ص 116-119

(٤) بسترس، المرجع السابق نفسه، ص 116-119

بين الله والإنسان يسوع المسيح. وترى الكنيسة اللوثرية أن مقررات المجامع المسكونية إنما تنظر إلى منزلة العذراء من زاوية ابنها، ولا يوجد دور مستقل للعذراء في تاريخ الخلاص.(١)

وترى الكنيسة اللوثرية، أن تكريم العذراء يكون بالحديث عن أوصافها الحسنة، لكن الكنيسة اللوثرية رفضت قبول شفاعة العذراء لأسباب ثلاثة: (٢)

1. لأنها تناقض تعاليم الكتاب المقدس.
2. لأنها تناقض مبدأ الخلاص بالنعمة والإيمان.
3. لأنها تناقض مبدأ شفاعة المسيح الوحيدة.

سادسا: أبرز الاختلافات بين الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت في مريم:

تتفق الكنيسة الكاثوليكية مع الكنيسة الأرثوذكسية على ما أقرته المجامع المسكونية السبعة بخصوص السيدة مريم، ووصفها بأوصاف مثل: "والدة الإله" كما أقره مجمع أفسس الأول سنة 431م (المجمع المسكوني الثالث)و " الدائمة البتولية" كما أقره مجمع القسطنطينية الثاني سنة 553م (المجمع المسكوني الخامس)، وترجع أكثر نقاط الخلاف بين الكنائس الثلاث (الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية) إلى ما أقرته مجامع الكنيسة الكاثوليكية المنفردة وآراء باباواتها مثل ما أقرته الكنيسة الكاثوليكية من عقيدة الحبل بلا دنس وعقيدة الانتقال إلى السماء التي مرت سابقا. ولا يعترف البروتستانت إلا بما أقرته المجامع المسكونية الأربعة الأولى، فيوافقون الكاثوليك والأرثوذكس في وصف مريم "والدة الإله" الذي أقره مجمع أفسس الأول سنة 431م، ويخالفونهم فيما أقرته المجامع الأخرى. (٣)

- لا يؤمن الأرثوذكس والبروتستانت بعقيدة الحبل بلا دنس التي انفرد بها الكاثوليك. (٤)

---

(١) بسترس، المرجع السابق نفسه، 116-119

(٢) الموقع العربي لمارتن لوثر، http://www.lutherinarabic.org/mitri/islah2003.htm، 2005

(٣) رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص 66، وانظر: بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، ص79-81.

(٤) رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص 66، وانظر: بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، ص79-81.

- ينفي الأرثوذكس والبروتستانت صحة عقيدة الكنيسة الكاثوليكية القائلة إن مريم العذراء شريكة في عمل الفداء، أو شريكة في الخلاص، وهذا الاعتقاد أعلن في المجمع الفاتيكاني الأخير سنة 1965م. [١].

- لا يؤمن الأرثوذكس والبروتستانت بقول الكاثوليك إنه لا تأتي نعمة لبشر إلا عن طريق العذراء، ويرفضون قولهم بعصمتها الكاملة عن الخطأ. [٢]

- لا يؤمن الأرثوذكس والبروتستانت بما يؤمن به الكاثوليك من عقيدة صعود العذراء بالجسد التي أعلنت سنة 1950م. [٣]

- ومن أركان العقيدة المسيحية الكاثوليكية التي خالفت بها الأرثوذكس أن مريم العذراء بريئة من الشهوة ومن الخطيئة الأصلية ومن كل خطيئة، وقد أعلن المجمع الثلاثين (1545-1563م) [٤].براءتها الكاملة، وطهارتها التامة، ووضعها فوق كل القديسين، وكرس حقها في نوع من التعبد الخاص (عبادة العذراء / هيبردوليا) وقد أدخلت عقيدة الحبل بلا دنس، التي تبرئ مريم من الخطيئة الأصلية في عام 1854م. [٥]

- يؤمن كل من الكاثوليك والأرثوذوكس بعذرية السيدة مريم العذراء وإنها كانت عذراء ولم تتزوج سواء قبل أو بعد ولادتها للمسيح، بينما لا يعتقد ذلك البروتستانت، ويرون أنها تزوجت بعد ولادة المسيح كما مر معنا سابقا. [٦]

المطلب السادس: مريم في الفن الكنسي (الأيقونات)

الأيقونة هي تعريب لكلمة يونانية تعني صورة " εἰκών "أو شبه، مثال، تصنع وفق أساليب محددة و بالنظر لاعتبارات لاهوتية محددة، لكي تخدم أغراض دينية معينة. والأيقونة تحمل في طياتها تعبيراتٍ ورموزاً دينية تعبر عن نصوص العهد القديم والجديد.

---

[١] رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص66.

[٢] رستم، المرجع السابق نفسه، ص66.

[٣] مجموعة من المؤلفين، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، ص116.

[٤] هو مجمع كاثوليكي وليس مجمعًا مسكونيًا، انعقد في ترينت سنة 1545-1563م. انظر، رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص71.

[٥] رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص73

[٦] مجموعة من المؤلفين، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، ص129-143

وذكر العديد من كتاب الغرب أن النصرانية في بداية أمرها لم تهتم بأمر الصور والتماثيل لأنه كان مدعاة للوثنية[١].

ويذكر كذلك أن صور العذراء ورسوماتها بدأت في القرن الثاني للميلاد، تمثلت في الجداريات والفسيفساء التي تحمل رموزًا دينية معينة. واستمرت بعد ذلك في الكنائس لتؤدي أغراضًا إيحائية ورمزية وتعبدية داخل الكنيسة وخارجها[٢].

وقد ظهر الخلاف في قضية الأيقونات في التاريخ المسيحي بشكل واضح في المجمع الذي عقد في القسطنطينية سنة 754م بأمر الإمبراطور قسطنطين الخامس –والذي لم يلق اعترافامن قبل الكنيسة الكاثوليكية– واتخذ هذا المجمع قرارًا بتحريم تصوير الأيقونات والقديسين ورسمهم لأنها –حسب رأيهم– تصوير للاهوت الذي لا يمكن أن يخلط أو يمثل ففي تصوير المسيح يتم خلط اللاهوت والناسوت، وكذلك لأنها وسيلة لعبادة الأصنام التي تخالف تعاليم المسيح. [٣]

ويذكر هبي في كتابه "الصور المقدسة والأيقونات" أن نزعة محاربة الأيقونات التي ظهرت في القرن الثامن الميلادي جاءت متأثرة بالمد الإسلام ي الذي غزا أركان الدولة الرومانية، ونشر فكر محاربة الأصنام والتماثيل والصور التي يتوجه إليها في العبادة [٤].

ويحاول بعضهم أن يبرهن على أن تقديس الأيقونات كان مقبولاً في القرون الأولى، لكن المصادر التاريخية تبين معارضة أقطاب المسيحية في العصور الأولى لتقديس الأيقونات ومن أمثلة ذلك: معارضة أساقفة الشرق للذين أباحوا وضع الصور في الكنائس في مجمع أفسس الأول (المجمع المسكوني الثالث) سنة 431م. [٥]

أما مجمع نيقية الثاني الذي دعت إليهِ إيرينيه إمبراطورة الشرق عام 787 م ، بناءً على طلب البطريرك طراسيوس– وهو سابع المجامع المسكونية الذي ذكر سابقا فقد اتخذ قراراً يشجب المجمع الذي عقد في القسطنطينية سنة 754م القائل بتحطيم صور الأيقونات بالرغم من معارضة مُحطّمي الأيقونات التي تحمل صور المسيح والقديسين وسمح

---

(١) هبي، الأرشمندريت أنطون، الصور المقدسة والأيقونات، ط 3، المكتبة البولسية، بيروت، 1989م، ص20
(٢) بشارة، العذراء مريم، ص 79.
(٣) كساب، مجموعة الشرع الكنسي، ص791
(٤) هبي، الصور المقدسة والأيقونات، ص53
(٥) الملكاوي، تأليه مريم ابنة عمران والعبادات المقدمة لها عند النصارى، ص14.

هذا المجمع بتكريم الأيقونات والصور المقدسة وأمر بإعادتها إلى كنائس الإمبراطورية. [١]

وجاء في نص قرارات هذا المجمع فيما يخص الأيقونات مايلي:

"يجب وضع الأيقونات المقدسة في الكنيسة والبيوت والطرقات لأن تأمل الأيقونة يبعث فينا قوة تحثنا على تكريم من ترمز إليه الأيقونة وتذكرنا بالنموذج الأصلي الذي تمثله" ويضيف "هذا لا يعني أننا نعبد الصور لأن العبادة حسب إيماننا لا تليق إلا بالطبيعة الإلهيّة". [٢]

وعقد بعد هذا المجمع مجمعان في كل من مدينة فرانكفورت، ومدينة باريس، حيث أعرب المشتركون في هذين المجمعين، عن رفضهما لما أقره مجمع نيقية الثاني من وجوب تكريم الأيقونات المقدسة ووضعها في الكنائس. [٣]

وتهتم كل من الكنائس الأرثوذكسية و الكاثوليكية بالأيقونات المقدسة وبالمقابل يتجه البروتستانت بشكل عام إلى محاربة الأيقونات و إهمالها[٤].

وحث المجمع الفاتيكاني الثاني سنة 1965م على الاهتمام بالأيقونات والفنون الكنسية فجاء في أحد أعمال المجمع مايلي: " تعد الفنون الجميلة بحق ولا سيما الفن الديني وذروته الفن المقدس من أسمى نشاطات العقل البشري وهي ترمي بطبيعتها إلى التعبير نوعًا ما في الأعمال البشرية، عن الجمال الإلهي غير المتناهي، ... لذلك كانت الكنيسة أمنّا الجليلة دائما صديقة الفنون الجميلة ولم تفتر يوما عن طلب خدماتها النبيلة، خاصة لكي تكون الأمتعة المختصة بالعبادة المقدسة على ما يجب من اللياقة والانسجام والجمال"[٥]

و يذكر أن أقدم أيقونات العذراء موجودة في كنائس روما، وهي على ثلاثة أشكال بعضها يصور العذراء جالسة والمسيح في حضنها وبجنابها أشعيا والمجوس يقدمون إليها الهدايا، وفي بعض الأيقونات تصور على شكل النساء الرومانيات، وفي بعضها تبدو فيه

---

(١) مجموعة من المؤلفين، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، ص77-95
(٢) المرجع السابق نفسه ، ص77-95
(٣) الملكاوي، تأليه مريم ابنة عمران والعبادات المقدمة لها عند النصارى،ص15
(٤) رستم، الفرق والمذاهب منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص 195؛ بطرس، زكريا، الأيقونات، www.fatherzakaria.com
(٥) المجمع الفاتيكاني الثاني عدد122، بشارة وبولس الفغالي، العذراء مريم، ص 182

العذراء رافعة يديها وحاملة ابنها. ويرجع تاريخ كل هذه الصور إلى القرون الخمسة الأولى ويتمسك الفن الأرثوذكسي بتقليد هذه النماذج حتى الوقت الحالي[١].

وفي غالب الأحيان لا ترسم مريم وحدها بل مع المسيح، و تحتوي أيقونة مريم على ثلاث نجوم، الأولى على جبينها والاثنتان الباقيتان على كتفيها، ويشير هذا الرمز إلى أن العذراء كانت عذراء قبل الولادة وأثناءها وبعدها. وتصور بعض الأيقونات السيدة واقفة يداها نحو السماء، في وضع صلاة وابتهال، وهذه إشارة إلى أن العذراء شفيعة للجنس البشري، وفي معظم الأيقونات المريمية تكون مريم حاملة المسيح طفلاً بين يديها. [٢]

وأهم نماذج الأيقونات التي تمثل السيدة مريم ما يلي: [٣]

١. العذراء المصلية أو الوسيطة المتشفعة:

تسمى هذه الصورة "سيدة الظهور" وترسم فيها العذراء رافعة يديها إلى السماء رامزة إلى أنها تشفع للبشر، وعلى صدرها المسيح طفلاً وعلى رأسيهما هالة من نور. وانتشرت هذه الأيقونة في أوساط الكنيستين الغربية والشرقية بعد مجمع أفسس الأول. [٤]

٢. أيقونة السيدة المرشدة:

تنسب هذه الأيقونة إلى القديس لوقا، وتظهر فيها العذراء في لباس ملكات القسطنطينية، وعلى جبهتها وكتفيها ثلاث نجوم، وتحمل في يدها المسيح وعلى رأسه هالة تظهر فيها الأحرف اليونانية التالية: (OΩN) التي ترمز إلى أنه أقنوم إلهي. [٥]

٣. العذراء الرحيمة:

تشبه هذه الأيقونة أيقونة السيدة المرشدة وتختلف عنها في أن المسيح الطفل يضع خده على خد أمه ويطوقها بيديه. وأقدم نموذج لها موجود في كنيسة الروم الكاثوليك في جزيرة مالطة وتسمى السيدة الشامية. [٦]

---

(١) هبي، الصور المقدسة والأيقونات، ص161-162
(٢) مجموعة من المؤلفين، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، ص77-95
(٣) هبي، الصور المقدسة والأيقونات، ص157-260.
(٤) هبي، المرجع السابق نفسه، ص157-260
(٥) هبي، المرجع السابق نفسه، ص157-260
(٦) هبي، المرجع السابق نفسه، ص157-260

٤. أيقونة سيدة فلاديمير:

روي أن هذه الأيقونة رسمت على يد فنان يوناني ونقلت من القسطنطينية إلى روسيا في أواسط القرن الثاني عشر، وانتقلت من كييف إلى فلاديمير سنة 1155م لذلك تعرف بهذا الاسم، ثم نقلت إلى موسكو في نهاية القرن الرابع عشر، وهي الآن في متحف موسكو. [١]

٥. السيدة المرضعة:

ترسم العذراء في هذا النموذج وهي ترضع طفلها المسيح.

٦. العذراء السيدة:

وتبدو مريم في هذه الصورة جالسة على كرسي ملكي حاضنة ابنها، مرتدية لباس ملكات الروم. [٢]

٧. سيدة الحماية:

وتظهر العذراء في هذه الأيقونة باسطة يديها متشفعة والقديسون يحيطون بها وصورة المسيح فوقها على صورة شاب، ويعتقد أن هذه الأيقونة تحمي أصحابها من الحروب والكوارث. [٣]

المطلب السابع: الظهورات المريمية المزعومة

تقوم فكرة الظهورات المريمية على ادعاءات أشخاص أنهم رأوا السيدة مريم في أماكن معينة على هيئات مختلفة. وحسب الروايات التي تدعي رؤية مريم العذراء فإن معظم الذين ادعوا هذه الرؤية في الأزمنة المتأخرة هم من الأطفال الصغار.

وشكلت هذه الفكرة منذ القديم تحفظ بعض الآباء المسيحيين وموافقة البعض عليها وتلاقي هذه الفكرة قبولاً عاماً بين الأوساط الكاثوليكية والأرثوذكسية أما عند لوثر زعيم الإصلاحيين ويوحنا الصليبي[٤]فهي فكرة مرفوضة.

وفي العام 1984م أعلن الكاردينال جوزيف راتزينغر، رئيس لجنة عقيدة الإيمان (Congregation for the Doctrine of the Faith) في الكنيسة الكاثوليكية: "إن أحد

---

(١) هبي، الصور المقدسة والأيقونات ، ص157-260
(٢) هبي، المرجع السابق نفسه، ص157-260
(٣) هبي، المرجع السابق نفسه، ص157-260
(٤) من المسيحيين المتصوفين الإسبان معاصر للوثر. اليسوعي، سامي حلاق، الظهورات بين الحقيقة والخيال، بيروت: دار المشرق، ط1، 1993م، ص34

علامات هذا العصر هو أن الظهورات المريمية تتكاثر في كل العالم". وقد استند في هذا الكلام على تكاثر عدد التقارير التي تصل إلى اللجنة المذكورة من مختلف أنحاء العالم. فقد كثر عدد مدعي الظهورات بشكل كبير خاصة بعد عام 1960م. [١]

وتتصف الظهورات عند الكنيسة الكاثوليكية بما يلي:

-أنها مبادرة من العذراء، فهي التي تبادر في الظهور

-أنها ظهور حسي، يحس به الراؤون الذين يبصرون وحدهم السيدة ويسمعونها.

-الهدف من هذه الظهورات هو إبلاغ رسالة للشعب المسيحي

-بما أن مريم هي أم يسوع فهي أيضا حسب رأيهم تمثل شفاعة من المسيح. [٢]

وقرار الكنيسة فيما يخص اعتماد الظهور وعدمه يتعلق بأمرين اثنين:

الأول: تحقيق مفصل يتناول الشخص أو الأشخاص الذين يدعون رؤيتهم لهذه الظهورات، من خلال دراسة مدى مصداقيتهم وحالتهم النفسية والشخصية.

الثاني: تحقيق يتناول الظروف التي أحاطت بدعوى حصول الظهورات والمضمون الذي تحمله. [٣]

ومما يذكر أن من أشهر الظهورات المريمية المزعومة في العصور المتأخرة مايلي: [٤]

1. لاساليت La Salette– فرنسا

تقوم رواية هذا الظهور المدعى على أنه في لاساليت في العام 1846م، رأى ولدان مكسيمين (صبي 11 عاما) وميلاني (فتاة 14 عاما) لمعاناً من الضوء وظهرت منه فجأة سيدة متشحة بالبياض والذهب مع إكليل ورود على رأسها. وكانت محاطة بالضوء تبكي من أن الفلاحين لا يحترمون يوم الأحد ويكثرون من التجديف والقَسَم. وأضافت أن كوارث سوف تحدث إن لم يتغيّر الناس، كمثل تراجع المواسم وحصول المجاعة، فهي لم تعد قادرة على منع ابنها من تطبيق العقاب. وأعلن كاهن الرعية بعد اطلاعه على الأمر أن السيدة هي

---

(١) اليسوعي، الظهورات بين الحقيقة والخيال، ص13-14

(٢) دوبره لاتور، خلاصة اللاهوت المريمي، مريم وكهنوتها، ص115

(٣) دوبره لاتور، المرجع السابق نفسه، ص115

(٤) من الذين ذكروا قصة هذه الظهورات المصادر التالية: بشارة، وبولس الفغالي، العذراء مريم، ص146-150؛ فرح، العذراء مريم، ص 145-154 ملكي، الأب أنطوان، الظهورات المريمية، شبكة القديس سيفاريم ساروف الأرثوذكسية

http://www.serafemsarof.org/father_studies/maskoneyat/main.htm

العذراء مريم ومن ثم أقر أسقف غرونوبل هذا الظهور، وابتدأ الناس يتوافدون إلى مدينة لاساليت. [١].

2. لورد Lourdes

تقوم رواية هذا الظهور المزعوم على أنه في عام 1858م أي بعد أربع سنوات من إعلان عقيدة الحبل بلا دنس رسمياً، في منطقة لورد على سفوح البيرينيه الفرنسي، رأت برناديت سوبيروس شيئاً أبيض بشكل فتاة جميلة تلبس فستاناً أبيض وبرقعاً أبيض مع وشاح أزرق ووردة صفراء على كل رجل. ثم أفصحت برناديت أن ما رأت يشبه كثيراً بثيابها ووجهها العذراء مريم، أما السيدة فقد كانت تحمل مسبحة وتكلمت باللهجة المحلية وبطريقة مهذبة جداً داعية الناس إلى التوبة. ثم أعطت برناديت ثلاثة أسرار ودعتها إلى الصلاة من أجل الخاطئين ووعدتها بأن تجعلها سعيدة في العالم الآخر وليس في هذا العالم. كما طلبت منها حفر بئر. من المثير للانتباه هو أن الأم فوزو، مربية برناديت، لم تكن مقتنعة بصحة الظهورات. [٢]

3. فاتيمه Fatima في البرتغال

والرواية التي تحكى عن الذين ادعوا رؤية الظهور أنه في العام 1917م رأى ثلاثة أولاد هم لوسيا (10 سنوات)، فرنشيسكو (9 سنوات) وجاسينتا (7 سنوات)، بريقاً ظهرت بعده سيدة جميلة فوق شجرة قالت إنها أتت من السماء وطلبت من الأولاد أن يعودوا في اليوم الثالث عشر من كل شهر من الأشهر الستة القادمة حتى تخبرهم مَن هي وما تريد. وجواباً لأسئلة لوسيا أخبرتهم أنهم سوف يذهبون إلى السماء ولكن على فرنشيسكو أن يكرر مسابح كثيرة. كما أخبرتهم أن أحد أصدقائهم الصغار، وكان قد توفي قبل فترة، هو في السماء بينما صديق آخر في المطهر حيث سوف يبقى إلى انتهاء العالم. فرنشيسكو لم يرَ شيئاً في البداية ولم يسمع أي شيء أما جاسينتا فقد رأت وسمعت لكنها لم تتكلم. تعرّض الأولاد للتحقيق من قبَل حاكم المنطقة الملحد دون أن يغيّر هذا شيئاً من أقوالهم، كما أن لوسيا ضربتها أمها التي اعتبرت أقوالها مجرد أكاذيب. [٣]

4. مديغوريا Medugorje – في يوغوسلافيا السابقة

وتقوم رواية هذا الظهور المزعوم بأنه في إحدى ليالي سنة 1981م رأى أربعة مراهقين –بين الخامسة عشرة والسادسة عشرة من عمرهم– ضوءًا وفي داخله امرأة تحمل

---

[١] فرح، العذراء مريم، ص145-154

[٢] بشارة، يوسف وبولس الفغالي، العذراء مريم، ص146-150.

[٣] فرح، العذراء مريم، ص147-150

طفلاً فوق إحدى المرتفعات، نادتهم هذه المرأة ففروا هاربين. في اليوم التالي عادوا مع فتاة جديدة وصبي في العاشرة ورأى الجميع على الجانب الآخر من التل المرأة تلبس الشمس.
وفي الليلة الثالثة عادوا مع جمع من 5000 شخص فظهرت السيدة بعد أن حدث لمعان ضوء ثلاث مرات، الأولاد الستة وحدهم الذين رأوها، فقالت إحدى الفتيات وهي تقبض على جرة ماء مقدس في يدها "إن كنت الشيطان فاذهب بعيداً" فسمعت "أنا مريم العذراء. اهتدوا. تصالحوا، السلام، السلام، تصالحوا". رفض أسقف منطقة Mostar، الذي تقع مديغوريا في أبرشيته، هذه الظهورات، لكن كاهن الرعية الفرنسيسكاني بدعم من أسقف منطقة مجاورة دعم هذه الظهورات بحماس. [١]

لم تنل هذه الظهورات موافقة الأسقف المحلي ولا موافقة الأسقف الذي حلّ مكانه ولا حتى موافقة مجلس أساقفة يوغوسلافيا لغاية اليوم. ومع هذا فيتدفق الزوار من كل أنحاء العالم لزيارة هذا المكان، حتى إنه لم تتوقف هذه الزيارات حتى خلال حرب البوسنة. وفي سنة 1997م كرر أسقف Mostar أن قرار مجلس الأساقفة ما زال نفسه إذ حتى اليوم لم يثبت أن ما يجري في مديغوريا أمر صحيح، ومع هذا، فيوجد اليوم عشرات مما يُسمى مركز مديغوريا (Medugorje Center)، يُنظم عشرات الرحلات السنوية إلى المكان. [٢]

5. الزيتون وأسيوط في مصر

تروي الكنائس المصرية مشاهدة الناس لمريم العذراء فوق قباب الكنائس في كل من منطقتي الزيتون وأسيوط في مصر، وتنشر الكنائس الأرثوذكسية على مواقعها الإلكترونية مشاهد لأضواء تبرق فوق الكنائس على أنها ظهور للسيدة مريم. [٣]

ويفسر بعض كتاب الأرثوذكس والبروتستانت انتشار صيت هذه الظهورات وخصوصًا التي حدثت في الغرب بهذه السرعة على أنها رغبة من الفاتيكان في توسيع نفوذه ومنافسة الكنائس الأخرى، فرؤية لفتاة حولت قرية مثل لورد إلى مركز ديني كبير وسياحي ضخم، و عدد السواح الذين يقصدون منطقة لورد أكثر من عدد زوار القدس. ويذكرون كذلك أن للفاتيكان دوراً في كل هذا وهو من المستفيدين من هذه الظهورات خاصةً في بسط نفوذ

---

[١] الظهورات المريمية، شبكة القديس سيفاريم ساروف الأرثوذكسية
http://www.serafemsarof.org/father_studies/maskoneyat/main.htm

[٢] الظهورات المريمية، شبكة القديس سيفاريم ساروف الأرثوذكسية
http://www.serafemsarof.org/father_studies/maskoneyat/main.htm

[٣] موقع الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ،
http://www.stgeorge-sporting.org/stgeorge/stgeorge_ar.htm

الكنيسة في هذه المناطق من خلال إرسال عدد كبير من الرهبان الذين ينشرون فكر الكنيسة.[١]

أمّا موقف الكنيسة الكاثوليكية من الظهورات التي حدثت في الغرب بشكل عام فإمكانية القبول بها مع التحذير من أن مصداقيتها محتملة، جاء في كلام البابا بندكتس الرابع عشر:"يجب أن يعلم أن الموافقة التي توليها الكنيسة وحيًا خاصًا ليس سوى الإذن، يعطى بعد فحص دقيق، بتعريف هذا الوحي لتعلي (سمو) المؤمنين وخيرهم، لا يجوز ولا يمكن إعطاء إيمان كاثوليكي لمثل هذه الظهورات ولو وافقت عليها الكنيسة، وهذه الظهورات محتمله ويمكن قبولها بتقوى".[٢]

وتنتقد الكنائس الأرثوذكسية والبروتستانتية الظهورات التي روج لها في الغرب ويقولون بأن الكنيسة الكاثوليكية ليست على مستوى المسؤولية في التثبت من صحتها. حتى أنه لم تقبل السلطات الكنسية في فرنسا ظهورات لاساليت، كما أن السلطات الكنسية في اسبانيا لم تهتم للرؤى في غراباندال، ولا أسقف موستار في كرواتيا وافق على رؤى مديغوريا، ومع هذا أتى الزوار دون أن يأخذوا بعين الاعتبار إمكانية كون مصدر الرؤى خديعة، ويرون أن هذه الظهورات دعاية المقصود منها نشر العقائد الكاثوليكية مثل الحبل بلا دنس وغيرها. [٣]ويذكر سامي حلاق اليسوعي في كتابه "الظهورات بين الحقيقة والخيال" رفض العديد من آباء الكنائس ومفكريها لهذه الظهورات أمثال لوثر وأتباعه من المنتسبين لحركة الإصلاح البروتستانتي ويوحنا الصليبي. [٤]. ولذلك يمكن أن تفسر هذه الظهورات بكونها حالات نفسية تنتج عن الأوضاع المحيطة بهؤلاء الأشخاص الذين يتعرضون كل يوم لرؤية التماثيل والرسومات فيتخيلونها في ظروف معينة عند انعكاس الأضواء و حالات الخداع البصري أو التخيل النفسي. [٥]

---

(١) موقع الكنيسة القبطية الأرثوذكسية،
http://www.stgeorge-sporting.org/stgeorge/stgeorge_ar.htm

(٢)الظهورات المريمية، شبكة القديس سيفاريم ساروف الأرثوذكسية
http://www.serafemsarof.org/father_studies/maskoneyat/main.htm

(٣) الظهورات المريمية، شبكة القديس سيفاريم ساروف الأرثوذكسية
http://www.serafemsarof.org/father_studies/maskoneyat/main.htm

(٤) يوحنا الصليبي: عاصر لوثر ويعتبر من المتصوفة الإسبان. انظر اليسوعي، الظهورات بين الحقيقة والخيال، ص34.

(٥) اليسوعي، الظهورات بين الحقيقة والخيال، ص 19-21؛ وانظر: الظهورات المريمية، شبكة القديس سيفاريم ساروف الأرثوذكسية
http://www.serafemsarof.org/father_studies/maskoneyat/main.htm

الفصل الثانـي

السيدة مريم -عليها السلام- في الإسلام

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نسبها و نشأتها و حياتها و وفاتها

المبحث الثاني: حمل السيدة مريم -عليها السلام- بالمسيح و ولادته

المبحث الثالث: وصف السيدة مريم عند المسلمين ومكانتها الدينية

المبحث الأول

نسبها و نشأتها و حياتها و وفاتها

تعرض نصوص القرآن الكريم مشاهد من أهم المراحل التي عاشتها السيدة مريم في حياتها فتعرض الآيات الكريمة قصة نذر أمها لها وهي ما تزال جنينا في بطنها، وتصف التربية الحسنة التي نشأت في كنفها، وتذكر كفالة زكريا لها وتعرض قصة بشارتها بالمسيح، ومعاناة ولادتها ومعاتبة قومها لها واتهامهم إياها.

أما ما ذكره المفسرون والمؤرخون من أخبار إضافية تتعلق بحياة السيدة مريم مما ليس له مستند لا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، فتضل أخبارًا لايمكن الحكم بصحتها بشكل قطعي. وما ما ذكره القرآن الكريم عن حياة السيدة مريم فيه الكفاية من أجل بيان طهارتها وعفتها وصحة عقيدتها ونفي جميع الشبه التي أثيرت حولها.

المطلب الأول: نسب السيدة مريم

اختلف المؤرخون والمفسرون في نسب السيدة مريم –عليها السلام– وسبب هذا الخلاف راجع إلى اختلاف وجهات النظر في تفسير الآيات الكريمة وكذلك إلى اختلاف الروايات الإسرائيلية التي لا يمكن ترجيح أيّا منها.

وقد ذكر الطبري نسبها عن محمد بن إسحاق أنه قال: "مريم– فيما بلغني عن نسبها– إبنة عمران بن ياشهم بن أمون بن منشأ بن حزقيا بن أحزيق بن يوثام بن عزريا بن أمصيا ابن ياوش بن أحزيهو بن يارم بن يهشافاظ بن أسا بن أبيا بن رُحبعم بن سليمان". [١]

ونرى المسعودي يخالف الطبري في نسب عمران فيقول: "هو عمران بن ماتان بن يعاميم، أو عمران بن ماران بن يعاقيم". [٢]

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، ت 310هـ، تاريخ الأمم والملوك، ط 3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م، ج1، ص345. ابن اسحاق، محمد ، المبتدأ في قصص الأنبياء، ط 1، (جمع وتوثيق محمد كريم الكواز)،الانتشار العربي، بيروت، 2006م، ص 339؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، ت 774هـ، البداية والنهاية، ط 4، (تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرون)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج1، ص52

(٢) المسعودي، علي بن الحسين بن علي، (ت346هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، (تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد)، المكتبة العصرية، بيروت، 1997م، ج1، ص62

ونقل ابن كثير عن أبي القاسم بن عساكر قوله في نسب مريم أنها مريم بنت عمران بن ماثان بن ألعازر بن أليود بن أخنز بن صادوق بن عيازوز بن إلياقيم بن أبيود بن زريابيل بن شالتال بن يوحينا بن برشا بن أمون بن ميشا بن حزقيا بن أحاز بن موثام بن عزريا بن يورام بن يوشافاظ بن إيشا بن أيبا بن رحبعام بن سليمان بن داود –عليه السلام–. وفيه مخالفة لما نقله كل واحد منهما عن محمد بن اسحاق ولا خلاف أنها من سلالة داود –عليه السلام–. (١)

وقال البيضاوي: "هي مريم بنت عمران بن ماثان بن ألعازر بن أبي يوذ بن يوزن ابن زربابل بن ساليان بن يوحنا بن أوشيا بن أمون بن منشكن بن حازقا بن آخاز بن يوثام ابن عوزيا بن يورام بن سافط بن إيشا بن راحبعيم بن سليمان بن داود بن إيشي بن عوبد ابن سلمون بن ياعز بن نخشون بن عمياد بن رام بن حصروم بن فارص بن يهوذا بن يعقوب – عليه السلام . (٢)

المطلب الثاني: الاعتراض على نسبتها إلى عمران وهارون الوارد في القرآن الكريم

حاول البعض إيراد شبهة تتعلق بنسبة القرآن الكريم مريم إلى عمران

{ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ }التحريم: 12 وكذلك بنسبتها إلى هارون على لسان قومها { يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً } مريم:28، حيث أن أصحاب هذه الشبهة يقولون إن عمران الذي ذكره القرآن الكريم ونسبت إليه مريم هو عمران والد موسى وهارون، وأن هارون المذكور في الآية هو هارون أخو موسى، وبين مريم (أم عيسى) وعمران وولده هارون مئات السنين، فيدّعي أصحاب هذه الشبهة أن القرآن قد توهم بين مريم أم المسيح(٣)ومريم أخت موسى وهارون. (٤)

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص52.

(٢) البيضاوي، عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي، ت 691هـ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م، ج1، ص156؛ أحمد جاد، قصص النساء في القرآن الكريم ، ط1، دار الغد الجديد، المنصورة، 2005م، ص 204.

(٣) ورد اسم عيسى عليه السلام في القرآن الكريم بأنه "المسيح" قال تعالى:{ **إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ** } آل عمران: 45. واختلف في بيان معنى "المسيح"، فذكر أن معناه الصديق وقيل المسيح من السياحة لأنه كان سائحا في الأرض، وقيل من المسح لأنه كان يمسح بيده على العليل والأكمه والأبرص فيبرئه بإذن الله، وقيل أن المسيح بمعنى مسح أي خلق خلقا حسنا. أنظر: لسان العرب، ج2، 594-595.

(٤) الرازي، محمد الرازي فخر الدين بن ضياء بن عمر، ت 604هـ، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ط1، دار الفكر، بيروت،1981م، ج11، ص208-209.

يقول الفخر الرازي: "وهذا من الشبه التي دفع بها بعض النصارى للطعن في القرآن الكريم حيث يقول أحدهم: والعجب أيضاً من قوله أي القرآن عن مريم أم المسيح { وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ }التحريم12 وقال عنها في موضع آخر{ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً } مريم:28 وليست أم المسيح بأخت هارون، ولا بابنة عمران وإنما اسم أبيها يواخيم فتوهم أنها ابنة عمران التي كانت أخت موسى وهارون". (١)

وتناول عدد من المفسرين الأوائل هذه الشبهة، وردّوا عليها من وجوه متعددة، وقبل البدء في عرض ردودهم، لا بد أن نلاحظ أن القران الكريم قد نسب مريم إلى عمران على سبيل التعريف بها. أمّا نسبة الأخوّة لهارون فقد جاءت على لسان قومها في حال معاتبتهم لها، كما يظهر في الآية السابقة وفيما يلي ردود العلماء على هذه الشبهة.

أولا: الرد على الشبهة التي تتعلق بنسبة مريم إلى عمران

يمكن تصنيف ردود العلماء على هذه الشبهة بقولين اثنين:

1. القول الأول يذهب إلى أن عمران هو إسم لشخصين، الأول أبي موسى وهارون والثاني أبي مريم أم المسيح، وأن المقصود في الآية عمران المتأخر. وذهب إلى هذا كل من: الفخر الرازي و القرافي والطوفي والألوسي والبغوي والشعراوي.(٢)

---

(١) الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج11، ص208-209، وانظر: الخزرجي، أبو عبيد الله ت582هـ، بين الإسلام والمسيحية (تحقيق محمد شامة)، مكتبة وهبة، القاهرة، ص 87-88. ورد في التوراة "وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له، فولدت له هارون وموسى". خروج 6: 20 "واسم امرأة عمرام يوكابد بنت لاوي التي ولدت للاوي في مصر فولدت لعمرام هارون وموسى ومريم أختهما" عدد 26: 59. ويعقيم أو يواخيم هو اسم عبري معناه "من يثبته الله". عبدالملك، بطرس وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص110.

(٢) انظر: الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ص208-209؛ القرافي، أحمد بن إدريس، ت 684هـ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، ط 2، (تحقيق بكر زكي معوض)، القاهرة، 1987م، ص 207-208؛ ابن عبد القوي، سليمان ، ت 716هـ، الانتصارات الإسلامية في علم مقارنة الأديان، (تحقيق: أحمد السقا)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ص 76-77؛ الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، ت 1270هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط1، (تحقيق: محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999م، ج3، ص175، الشعراوي، محمد متولي، مريم والمسيح، ، (تحقيق مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة)، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ص 40-41.

قال القرافي: "ولا يلزم من أن اسم أبي موسى عمران أن لا يسمى غيره عمران واعتقاد وجوب ذلك جهل".(1)

وأما في رده على إنكار البعض لاسم عمران كأب لمريم يذكر الطوفي احتمالية بأن يكون "عمران" تعريب ل "يعقيم" أو أن عمران هو اسم ويعقيم لقب. (2)

وأكد الألوسي هذا القول فقال: "والمراد بآل عمران عيسى -عليه السلام- وأمه مريم بنت عمران بن ماتان من ولد سليمان بن داود عليهما السلام قاله الحسن ووهب. وقيل المراد بهما موسى وهارون -عليهما السلام- فعمران حينئذٍ هو عمران بن يصهر أبو موسى - والظاهر هو القول الأول". (3)

وذكر البغوي في تفسير قوله تعالى{ **إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ** } آل عمران:35، قال: "هي حنة بنت فاقوذا أم مريم، وعمران هو عمران بن ماتان وليس بعمران أبي موسى -عليه السلام- لأن بينهما ألفاً وثمانمائة سنة".(4)

وفي تفسير الشعراوي لقوله تعالى: { **إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ** }آل عمران،33، قال:" حدث إشكال بين الدارسين في العمرانين، من الذي يريد الله باصطفاء آله؟ وحين اختلف الدارسون لم يفطنوا إلى أن القرآن نبههم إلى أن المقصود هو عمران أبو مريم؛ لأن السياق هو سياق مريم أم المسيح، لا مريم أخت موسى، لأن الله تعالى قال { **وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا** }آل عمران: 37، وزكريا كان أبوه معاصراً "للناثان" وهو مع ذلك زوج خالة مريم -عليها السلام- وعلى هذا فقد انتفى الأشكال بين مريم أخت موسى ومريم العذراء أم المسيح." (5)

---

(1) القرافي، أحمد بن إدريس، ص 207-208.

(2) ابن عبد القوي، الانتصارات الإسلامية، ص76-77. يقول ابن خلدون: "في التنزيل مريم ابنة عمران فليعلم أن معنى عمران بالعبرانية يؤقيم وكان له اسمان". ابن خلدون، عبد الرحمن، ت 808هـ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ج2، ص164. ويعقيم أو يواخيم هو اسم عبري معناه "من يثبته الله". عبدالملك، بطرس وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص110.

(3) الألوسي، روح المعاني، ج3، ص175.

(4) البغوي، الحسين بن مسعود الفراء، ت 516هـ، معالم التنزيل، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ج1، ص226-227.

(5) الشعراوي، مريم والمسيح، ص 40-41.

ويمكن ترجيح هذا القول على غيره لقوة أدلة من قالوا به، وذهاب أكثر المفسرين إليه.[1]

2. القول الثاني: يجوز أن يكون المقصود "بعمران" أبا موسى وهارون على اعتبار أن الإنسان ينسب إلى جده الأعلى، على ما علم من أن مريم تنحدر من نسل عائلة موسى وهارون. ويؤيد هذا الاستعمالات اللغوية في ثقافة بني إسرائيل واللغة العربية. وممن ذكر هذا القول القرافي –مع ترجيحه للرأي الأول– يقول في كتابه "الأجوبه الفاخرة" : "سلّمنا أن اسم أبيها ليس عمران، إلا أن عمران أبا موسى –عليه السلام– جدها من بني إسرائيل، والإنسان يضاف لجده البعيد كما يضاف لجده القريب ولولا ذلك لبطلت التوراة والإنجيل في تسمية البطون والأشعاب المتأخرة عن يعقوب –عليه السلام– ببني إسرائيل، لأن يعقوب هو إسرائيل ولم يلدهم، بل بينه وبينهم المئون من السنين. ومع ذلك فكل ما جاء إلى يوم القيامة يسمى من بني إسرائيل وهذا لا غرو فيه ، وإنما ينكر ذلك من هو جاهل بوضع اللغات وموارد الاستعمالات وكذلك كل إنسان يولد إلى يوم القيامة يسمى ابن آدم –عليه السلام– ولم تزل العرب وغيرها من الأمم تضيف الإنسان إلى أحد أجداده دون أبيه إذا كان أشرف وأشهر وعمران –عليه السلام– كان في غاية الشهرة. فلذلك أضيفت إليه ليتحقق مورد الثناء ومحل الابتلاء فيها دون غيرها". [2]

ثانيا: الرد على الشبهة التي تتعلق بنسبة مريم إلى هارون في قوله تعالى على لسان قوم مريم: { **يَـا أُخْتَ هَـارُونَ مَـا كَـانَ أَبُـوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَـا كَـانَتْ أُمُّكِ بَـغِيّـاً** } مريم:28.

لقد ذكر العلماء في تفسير قوله تعالى:{ **يَـا أُخْتَ هَـارُونَ** } أربعة أقوال: [3]

---

(1) أنظر: الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،ج 11، ص208–209، والقرافي، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، ص207–208.

(2) القرافي، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، ص207–208.

(3) انظر هذه الأقوال عند الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي ت 463هـ، تاريخ الأنبياء، ط1، (تحقيق: أسيا كليبان علي البارح)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ص 319–320؛ الزمخشري، محمود بن عمر ت 538هـ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط1، دار الفكر، بيروت، 1977م، ج2، ص508 ؛ أبي حيان، محمد بن يوسف الأندلسي ت745هـ، البحر المحيط، ط 1 ، (تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرون)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ج6، ص176؛ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، ت 1250هـ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط 1، (تحقيق عبدالرزاق المهدي)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1999م ج3، ص405–406، و القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن،

١. **الأول:** أنه رجل صالح من بني إسرائيل اسمه هارون، ينسب إليه كل من عرف بالصلاح، والمراد إنك كنت في الزهد كهارون، فكيف صرت هكذا. ويؤيد ذلك حديث المغيرة بن شعبه حينما سأله نصارى نجران في قوله تعالى السابق [١]فأخبره النبي –صلى الله عليه وسلم– أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم . وهو قول قتادة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة. [٢]

٢. **الثاني:** أنه أخو[٣]موسى –عليه السلام– فأورد الطبري حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إنما هو هارون النبي إذ كانت من أعقابه" [٤]، وإنما قيل يا أخت هارون كما يقال: يا أخا همدان أي يا واحداً منهم.

الثالث: كان رجلاً مشهوراً بالفسق فنسبت إليه بمعنى التشبيه لا بمعنى النسبة[٥].

دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م ، م6، ج11، ص 68؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ج1، ص62، الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط 1، (تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي وفضل الله اليزدي الطباطبائي)، دار المعرفة، بيروت، 1986م، ج5، ص791.

(١) قال القرافي في الأجوبة الفاخرة:" فلما جاءت بعيسى –عليه السلام– من غير زواج واتهمها –رضي الله عنها– بنو إسرائيل بالزنا قيل لها "يا أخت هارون" أي في العبادة "ما كان أبوك امرء سوء وما كانت أمك بغياً" متعجبين كيف يصدر القبيح من غير محله وأصل الأخوة التساوي في الصفة ومنه قوله تعالى: "كلما دخلت أمةٌ لعنت أختها" الأعراف: 38 أي مساويتها في الكفر. وقوله تعالى: "وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها" الزخرف: 48، أي مساويتها في الدلالة. وتقول العرب: هذه العروة أخت هذه العروة وهذه الواقعة أخت تلك الواقعة وهذه النعل أخت تلك النعل ومنه مواخاة الفواصل في السجع وغيره وأصل ذلك كله المساواة وسمي اخو النسب أخاً لمساواته أخاه في الخروج من تلك البطن لأمها أو ذلك الظهر لأبيها ولمّا اجتمعت المساواة في الصفتين للشقيق قويت الأخوة فيه فسمي شقيقاً كالعصا إذا انشقت بنصفين فإن المساواة بينهما في غاية القوة وقيل لآخر: أخ لأب وللآخر أخ لأم، إشارة للجهة التي وقعت فيها المساواة فلما حصلت المساواة بين مريم رضي الله عنها وبين ذلك العابد، سميت أخته على القاعدة". القرافي، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، ص 209–210.

(٢) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، 6ج، ص176؛ القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، م6، ج11، ص 68. والحديث صحيح رواه مسلم، كتاب الأدب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء، حديث رقم 5563، ورواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة مريم، حديث رقم 3155.

(٣) قال القرافي: "قيل إنها من ذرية موسى –عليه السلام– وهو أخو هارون فقيل لها أخت هارون كما جاء في التوراة في الاصحاح الحادي عشر من السفر الخامس:"إن الله تعالى قال إني سأقيم لبني إسرائيل نبياً من إخوتهم مثلك أجعل كلامي على فيه" وإخوة بني إسرائيل بجملتهم هم بنو إسماعيل. فجعل بني أخي أبيهم إخوتهم، فكذلك سميت مريم رضي الله عنها أخت هارون –عليه السلام–". القرافي، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، ص 10.

(٤) الحديث أورده الطبري في تاريخ الأمم والملوك، تاريخ الطبري، ج 1، ص353. وتتبعته ولم أجد له أصلا في كتب الحديث.

(٥) قال الشوكاني ضعيف، فتح القدير، ج3، ص406. وقال القرطبي وهذا القول يرده الحديث الصحيح وهو نص صريح فلا كلام لأحدٍ معه ولا غبار عليه. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ، م 6، ج 11، ص 68.

الرابع: كان لها أخ حقيقي مسمى هارون [١]من صلحاء بني إسرائيل فذكرت به،

ورجح هذا القول الفخر الرازي واستدل عليه بما يلي:

أ- "أن الأصل في الكلام الحقيقة وإنما يكون ظاهر الآية محمولاً على حقيقتها لو كان لها أخ يسمى بهارون.

ب- أنها أضيفت إليه ووصف أبواها بالصلاح، وحينئذٍ يصير التوبيخ أشد لأن من كان حال أبويه وأخيه هذه الحالة يكون صدور الذنب عنه أفحش". [٢]

إن الأساس الذي تقوم عليه هذه الشبهة هو أن القرآن قد أخطأ بذكره أن مريم هي أخت حقيقية لهارون أخي موسى، حيث اعتقدوا أن لفظ "أخت" في الآية الكريمة لا يحتمل إلا أن تكون أخته الشقيقة. وهي شبهة واهية تردها طبيعة الدلالة اللغوية لكلمة "أخ" في اللغة العربية والآرامية والعبرية، حيث تطلق كلمة "أخ" على القريب والبعيد من الأقرباء، وهذا ما ذكره العلماء أمثال الطبري والقرافي. [٣]

ومن خلال ما ورد في الحديث الذي رواه مسلم وأيدته الدلالات اللغوية، يتضح أن القول الأول من الأقوال السابقة هو أصح الأقوال وأرجحها.

كما أن الباحثين في الأناجيل من النصارى ذكروا بأن كلمة "أخ" قد تستخدم في غير معناها الحقيقي، وقد ذكروا ذلك في مواضع متعددة منها ما يتعلق بموضوع إثبات عدم وجود أخوة للمسيح، عند وقوفهم على نصوص الأناجيل التي تذكر أن هناك أخوة للمسيح. [٤]ومنها ما جاء في إنجيل مرقس:

"أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان. أو ليست أخواته ههنا عندنا". [٥]

---

[١] ورجحه أيضاً ابن كثير وقال: وقد ورد الحديث الصحيح الدال على أنه قد كان لها أخ اسمه هارون وليس في ذكر قصة ولادتها وتحرير أمها لها ما يدل على أنها ليس لها أخ سواها والله أعلم. البداية والنهاية، ج1، ص62

[٢] الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،ج 11، ص 208-209؛ الخزرجي، وانظر: بين الإسلام والمسيحية، ص 87-88

[٣] القرافي، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، ص 10؛ تاريخ الطبري، ج1، ص353.

[٤] متّى 12: 46؛ 13: 55-56؛ مرقس 6: 3؛ لوقا 8: 19-20؛ يوحنا 2: 12؛ 7: 3- 5

[٥] مرقس، 6: 3.

يقول إلياس نينو في هذا الإطار في كتابه "حياة السيدة العذراء مريم ينبوع الحياة" : "إن كلمة أخ لا تعني بالضرورة شقيقاً، كانت كلمة أخ تستعمل في العهد القديم للشقيق، ابن الشقيق، أبناء العم، أبناء الخال، الأنسباء والأقرباء بمعناها الواسع"(١).

أما المطران كيرلس سليم بسترس فيقول: "يتكلّم العهد الجديد في مقاطع عدّة على إخوة يسوع وأخواته. إنّ لفظتي "أخ" و"أخت" مستعملتان هنا من باب التوسّع على حسب العادة عند اليهود. فالكتاب المقدّس يدعو إخوة إبراهيم وابن أخيه لوطاً (٢) ولابان وابن أخ ت ه يعقوب(٣)،وابنا ه ارون وابنا عمه عزّيئيل، وكذلك بنات ألعازر وأبناء أخيه قيش إخوة. ثمّ إنّ "إخوة يسوع" يذكر لنا الإنجيل أسماءهم، وهم: يعقوب و يوسى وسمعان ويهوذا(٤). والدليل على أنّ هؤلاء ليسوا إخوة بالطبيعة ليسوع ولا أولادًا من ثمّ لمريم أمّ يسوع، هو أنّ الإنجيل يذكر لنا أمّهم، وهي مريم أمّ يعقوب قريبة مريم العذراء(٥) التي يدعوها الإنجيل أيضا "مريم أخت مريم أمّ يسوع(٦)". وفي هذه الجملة الأخيرة أيضاً يجب أن تؤخذ لفظة "أخت" بالمعنى الواسع، فإنّه لا يُعقَل أن تدعى فتاتان بالاسم عينه في العائلة. ثمّ إنّ يسوع وحده يدعى "ابن مريم"(٧). وأخيرًا نراه وهو على الصليب يوصي الرسول يوحنّا بمريم أمّه، الأمر الذي لا يُفهَم منه أنه كان لها أولاد غير يسوع. وقول يسوع: "هوذا ابنك" ينفي أن يكون لها غيره.فإخوة يسوع، بحسب رأي ايرونيموس ومعظم التقليد الكنسي من بعده، هم إذن أقارب أدنون ليسوع أولاد مريم نسيبة مريم أمّه." (٨)

---

(١) نينو، حياة السيدة العذراء مريم ينبوع الحياة، ص98

(٢) سفر التكوين، 13: 8؛ 14: 12-14، "فقال أبرام للوط لا تكن مخاصمة بيني وبينك وبين رعاتي ورعاتك لأننا نحن أخوان".

(٣) سفر التكوين، 29 : 15، "ثم قال لابان ليعقوب ألأنك أخي تخدمني مجانا". سفر التكوين، 29: 13،"فكان حين سمع لابان خبر يعقوب ابن اخته أنه ركض للقاءه وعانقه..".

(٤) متّى، 13: 55

(٥) متّى، 27: 56، **ومريم** أم يعقوب هي **زوجة** "حلفى" كما يدعى بلآراميه او "**كلوبا**" باليونانية، ويمكن أن نرجح كذلك أن معنى الأخت هنا أختها بالقرابة.

http://www.geocities.com/derelmalakgabriel/jessusbothers.htm

(٦) يوحنا، 19: 25

(٧) مرقس، 6: 3

(٨) بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر مريم العذراء، ص 70

أما الأب جبرائيل فرح فيقول: [١]" إن كلمة "أخا" في الآرامية وكلمة أخ في العبرية معناها الشقيق ونصف الشقيق (الاخ لاب او الاخ لام) وأبناء العم والخال، والأنسباء بالمعنى الواسع، لا سيما وأن هاتين اللغتين لا تحتويان على كلمات تعني ابن العم وابن الخالة وابن الأخت. فيستعاض عنها بكلمة "أخ". فهكذا يسمي إبراهيم لوطا أخاه، مع أنه ليس إلا ابن أخيه: "فقال أبرام للوط لا تكن مخاصمة بيني وبينك وبين رعاتي ورعاتك لأننا نحن أخوان" [٢]. ولابان يستعمل الكلمة نفسها بالنسبة إلى يعقوب ابن أخته: " ثم قال لابان ليعقوب ألأنك اخي تخدمني مجانا"[٣]. وتجيء هذه الكلمة بمعنى القبيلة،[٤] وبمعنى الشعب، [٥] وبمعنى أهل الإيمان. [٦]

وإذا أمعنا في فهم الآية الكريمة { يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً } مريم: 28، نجد أن القرآن الكريم يصف كلام قوم مريم ، بناء على طبيعة استخدامهم لكلمة أخت وبذلك يكون هذا الاستخدام اللغوي غاية في الدقة والبلاغة، لا يستغرب منه إلا أصحاب التفكير البسيط الساذج، و من جهل بدلالات الألفاظ واستعمالاتها.

---

(١) فرح، مريم أم المسيح، ص40-41
(٢) تكوين:13: 8
(٣) تكوين: 29: 15
(٤) تكوين، 29: 37
(٥) خروج: 2: 11
(٦) أعمال، 1: 15-16

المطلب الثالث: الحمل بمريم وولادتها

كان عمران من علماء بني اسرائيل الصالحين وقد ورد ذكره في القرآن الكريم حيث أثنى الله سبحانه وتعالى على هذا البيت الطاهر بقوله: { إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ } آل عمران33، وكانت زوجته امرأة صالحة وكانا عاقرين لا ينجبان، ومع ذلك فقد كانا صابرين مؤمنين، وكانت امرأة عمران تتوق إلى الولد مثلها مثل باقي النساء فدعت الله سبحانه وتعالى أن يرزقه مولوداً، وسنعرض في هذا المطلب ما يتعلق بحمل امرأة عمران.

أولا: إرهاصات الحمل و نذر امرأة عمران

أول ما يعرضه القرآن الكريم عن حياة مريم ، صورة لأمها حنة[1]،ومريم ما تزال جنينا في رحمها، وهي متوجهة إلى الله سبحانه وتعالى أن يقبل نذرها بأن يكون المولود محرراً لله –سبحانه وتعالى–يقول تعالى:{ **إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ[2]مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**} آل عمران: 35

ويروي المفسرون قصة حمل حنة بمريم وولادتها بروايات متشابهة، وهذه الروايات تتماشى مع مضمون الآية الكريمة السابقة، من أن مريم كانت مولوداً تنتظره أمه بلوعة ولهفة، وتبني على ولادته آمالاً ليس كسائر الأولاد.

---

(1) حنّة:بالحاء المهملة والنون المشددة مفتوحتين وآخرها تاء تأنيث وهو اسم عبراني وهي حنّه بنت فاقود ودير حنه بالشام معروف وثم دير آخر يعرف بدير حنّه وقد ذكر أبو نواس دير حنّه في شعره فقال:

يا دير حنّه من ذات الأكيراح   من يصح عنك فإني لست بالصاح

وقبر حنّة جدة عيسى بظاهر دمشق أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج 2، ص55. قال السيوطي في الدرّ المنثور أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن عساكر عن عكرمة قال: اسم أم مريم حنّه السيوطي،عبد الرحمن بن أبي بكر، ت 911هـ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، ج2، ص33؛ وأخرج الحاكم عن عبد المنعم بن ادريس عن ابيه عن وهب بن منبه " ... واسم ام مريم حنة بنت فاقوذ بن قيل " . الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري ، 405 هـ ، المستدرك على الصحيحين،وبهامشه كتاب تلخيص المستدرك للامام ابي عبدالله الذهبي ، ت 748 هـ ، دار الفكر ، بيروت ، 2002م ، جزء 3 ، ص 198 حديث رقم 4216 .ضعفه الذهبي وقال عبدالمنعم ساقط وهو قول ابن الملقن .

(2) وقوله تعالى : "فتقبل مني" يعني نذري، والتقبل: أخذ الشيء على الرضا، وأصله المقابلة لأنه يقابل بالجزاء،وهذا سؤال من لا يريد بما فعله إلا الطلب لرضا الله تعالى والإخلاص في دعائه وعبادته. العجيلي، سليمان بن عمر الشهير بالجمل ت1204، الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، ط1، (تحقيق: إبراهيم شمس الدين)، دار االكتب العلمية، بيروت، 1996م، ج1، ص400.

يذكر الألوسي وغيره من المفسرين هذه القصة فيما أخرجه ابن عساكر عن ابن عباس –رضي الله تعالى عنهما– فروى "أنَّ حنّة امرأة عمران حبست عن الولد والمحيض فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة إذ نظرت إلى طير يزق فرخاً له، فتحركت نفسها للولد فدعت الله تعالى أن يهب لها ذكراً فحاضت من ساعتها. فلما طهرت أتاها زوجها فلما أيقنت بالولد قالت: إن نجاني الله تعالى ووضعت ما في بطني لأجعلنه محرراً ولم يكن يحرر في ذلك الزمان إلا الغلمان، فقال لها زوجها: أرأيت إن كان ما في بطنك أنثى– والأنثى عورة– فكيف تصنعين؟ فاغتمت لذلك فقالت عند ذلك "رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني".[1]

وهذه القصة التي أوردها المفسرون لا يمكن الجزم بصحتها، كما لا يمكن الجزم بنفيها كذلك، لأنها لا تتنافى مع سياق الآيات الكريمة السابقة التي تشير إلى حال أم مريم قبل ولادتها.

وفي تفسير قول امرأة عمران "إني نذرت لك ما في بطني محررا" قال الخازن: "النذر ما يوجبه الإنسان على نفسه، والمعنى محرراً: أي عتيقاً خالصاً مفرغاً لعبادة الله وخدمة بيت المقدس لا أشغله بشيء من أمور الدنيا. وكان المحرر عندهم إذا حرر جعل في بيت المقدس فيقوم عليه ويخدمه ولا يبرح مقيماً فيه حتى يبلغ الحلم ثم يخير فإن أحب أقام فيه، وإن أحبّ ذهب حيث شاء، فإن اختار الخروج بعد أن اختار الإقامة في بيت المقدس لم يكن له ذلك، ولم يكن أحدٌ من أنبياء بني إسرائيل ومن علمائهم إلا ومن أولاده محرر لخدمة بيت المقدس"[2].

وفي بيان طبيعة النذر الذي نذرته أم مريم ينفي ابن العربي أن يكون معنى النذر هنا نذر التحرير من العبودية والرق، بل هو نذر خاص منها في تحريره من حاجتها فيه من الأنس ومشاغل الدنيا. قال ابن العربي: "ولا خلاف أن امرأة عمران لا يتطرق إلى حملها نذر لكونها حُرّة، فلو كانت امرأته أمة فلا خلاف أن المرء لا يصح له نذر ولده كيف ما تصرفت حاله، فإنه إن كان الناذر عبداً لم يتقرر له قول في ذلك، وإن كان الناذر حراً فولده لا يصح

---

(1) الألوسي، روح المعاني، ج 3، ص177؛ وانظر: الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم ت 725هـ، لباب التأويل في معاني التنزيل، ط1، (تحقيق عبدالسلام محمد علي شاهين)، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2004م، ج1، ص239–240؛ العجيلي، الفتوحات الإلهية، ص399، ابن العربي، محمد بن عبدالله، ت 543هـ، أحكام القرآن، ط 1، (تحقيق عبدالرزاق المهدي)، دار الكتاب العربي، بيروت، 2000م، ج 1، ص 351؛ البغوي، معالم التنزيل، ج 2، ص 29–30؛ البلخي، أحمد بن سهل ت 322هـ، البدء والتاريخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج1، ص268

(2) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص239.

أن يكون مملوكاً له وكذلك المرأة مثله؛ وأي وجه للنذر فيه؟ وإنما معناه- والله أعلم- أن المرء إنما يريد ولده للأنس به والاستبصار والتسلي والمؤازرة فطلبت المرأة الولد أنساً به وسكوناً إليه، فلما منّ الله تعالى عليها به نذرت أن حظها من الأنس به متروك فيه؛ وهو على خدمة الله تعالى موقوف وهذا نذر الأحرار من الأبرار، وأرادت به محرراً من جهتي، محرراً من رقّ الدنيا وأشغالها: فتقبله مني"[1].

ثانيا: ولادة مريم وتحسر أمها

يعرض القرآن الكريم حال أم مريم عندما ولدتها وهي متحسّرة متألّمة متوجّهة إلى الله سبحانه وتعالى ومعتذرة له لعدم تحقق أمنيتها بأن يكون لها ذكر يقوم بأعمال العبادة.

{ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى} آل عمران: 36.

واختلف المفسرون في تفسير هذه الآية الكريمة بناء على اختلاف وجه القراءة في كلمة "وضعت" بين تسكين التاء وضمها، وبين اعتبار قوله تعالى"وليس الذكر كالأنثى" من كلام أم مريم أم لا. فعلى القراءة بتسكين التاء لا تكون هذه الجملة من تمام كلام أم مريم. وذلك لدفع ما يتراءى من أن قولها : "ربّ إني وضعتها أنثى" قصدت به إعلام الله تعالى عن أن يحتاج إلى إعلامها فأزيلت الشبهة بقوله"والله أعلم بما وضعت". أو أن هذا الاعتراض تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشأنه. وأما القراءة بضم التاء، فالاعتراض من كلامها إما للوجه الأول من الوجهين السابقين، أو لقصد الاعتذار إلى الله تعالى، حيث أتت بمولود لا يصلح لما نذرته، أو تسلية نفسها على معنى: لعل لله فيه سراً وحكمة، ولعل هذه الأنثى خير من الذكر. [2]

أما قوله تعالى **{ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى}** "آل عمران: 36". فيحتمل أن يكون أحد أمرين:

أولهما: أن يكون من تمام كلامها، حين قالت: **{رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى }**آل عمران: 36،

---

(1) ابن العربي،أحكام القرآن، ج1، ص317.
(2) القاسمي، محمد جمال الدين ت 1322هـ، محاسن التأويل، ط 1، (تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، 1994م، م2، ج4، ص57-58

بمعنى أن الذكر وحده هو الذي يصلح أن يكون منذوراً لخدمة البيت وذلك لأن طبيعته تسمح له بالاختلاط ولا تلحقه التهمة، ولقوته على تحمل الواجبات.

ثانيهما: أن يكون من تمام كلام الله عز وجل، بمعنى: ليس الذكر الذي كنت تريدينه مثل هذه الأنثى. وفي هذا المعنى يفسر الشعراوي قوله تعالى في المعنى الثاني : "أنت تريدين ذكراً بمفهومك في الوفاء بالنذر ليكون في خدمة البيت، وأنا وهبت الأنثى، لكني سأعطي بها آية أكبر من خدمة البيت، سأخدم بها العقيدة حتى تقوم الساعة، لأنني سأعطي فيها آية ليست موجودة في غيرها، آية طلاقة القدرة الإلهية".[١]

ثالثا: تسميتها مريم

يفهم من كلام أم مريم الذي ورد في القرآن الكريم بقولها:"وإني سميتها مريم" أنه بالرغم من عدم تحقق أمنيتها بأن ترزق ذكرًا إلا أنها أصرت في توكلها على الله سبحانه وتعالى وفي وفائها بنذرها، فسمتها بأسماء الصالحات من جداتها وأخواتها في الإيمان لتكون عابدة طائعة لله تعالى، حيث إنّ معنى "مريم" كما ذكره أكثر المفسرين يعني العابدة والخادمة وهذا لتكون إسماً على مسمى كما أرادتها أمها. [٢]

وذكر من معاني إسم "مريم" كذلك، المتمنعة العاصية، (عن الذنوب والآثام) على اعتبار أنه من أصل عبري وقيل أمة الله، وقيل المحررة، ومعناه: السيدة كما يعني المرتفعة، السامية على اعتبار أن أصله سرياني[٣] أو خادمة الله.[٤]

---

(١) الشعراوي، مريم والمسيح، ص47-48.

(٢) انظر: الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، ت 427هـ، عرائس المجالس، ط 1، (تحقيق محمد سيد)، دار الفجر للتراث، القاهرة، 2001م، ص 503؛ القاسمي، محاسن التأويل، م 2، ج4، ص 58؛ الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص426؛ الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، م 4، ج8، ص 29؛ القاسمي، محاسن التأويل، م 2، ج4، ص58؛ الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ط4، دار القرآن الكريم، بيروت، 1981م، ج1، ص199.

(٣) عرموش، أحمد راتب وآخرون، موسوعة الأديان الميسرة، ط 1، دار النفائس، بيروت ، 2001م، ص 446

(٤) الشوكاني،فتح القدير ، ج 1، ص433؛ وانظر: القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، م 2، ج4، ص 44؛ الصابوني، صفوة التفاسير، ج 1، ص199. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (تحقيق عبد السلام علوش)، مكتبة الرشد، الرياض، 2004م، ج6، ص607

وذهب البعض إلى أن الاسم من أصل عربي معناه مَرَتْ ورامت، أي جلبت وطلبت أي: استخرجت طاعة الله وطلبت مرضاة الله، وقيل: إشارة الى أنّها مرّت على يمّ الطاعة مرور السفينة والحوت باليّم[١].

واستخرج الفخر الرازي من فهمه لقوله: "وإنّي سميتها مريم" الأمور التالية:

أولا: إن ظاهر هذا الكلام يدل على أن عمران كان قد مات في حال حمل حنة بمريم فلذلك تولت الأم تسميتها لأن العادة أن ذلك يتولاه الآباء. والحقيقة أن هذا الرأي محتمل فيمكن أن تتولى الأم تسميتها في حال حياة أبيها.

ثانيا: أن مريم في لغتهم: العابدة فأرادت بهذه التسمية أن تطلب من الله تعالى أن يعصمها من جميع آفات والذي يؤكد هذا قوله بعد ذلك: "وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم". بمعنى أنها تطلب من الله تعالى أن تكون هذه العابدة محفوظة من شرور الشيطان.

ثالثا: أن قوله: "وإني سميتها مريم" معناه وإني سميتها بهذا اللفظ أي جعلت هذا اللفظ إسماً لها. [٢]

وأما تفسير قول امرأة عمران: "وإنّي أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم" فقد أرادت أم مريم أن تتم أمر نذرها لله سبحانه وتعالى رغم أن مولودها أنثى، والغرض من طلبها من الله عز وجل إعاذتها من الشيطان الرجيم هو إظهار أنها غير راجعة عن نيتها وإن كان ما وضعته أنثى لا تستطيع القيام بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه محفوظة من كل شر من شأنه أن يبعدها عن طاعة الله عز وجل، ولهذا فقد أتبعت قولها "وإني أعيذها بك". [٣]

وورد من أحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم– ما يؤكد على حفظ الله سبحانه وتعالى لمريم وابنها المسيح، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول

---

(١) الخطيب، موسى، سيدات نساء أهل الجنة، دار التضامن، بيروت، 1992م، ص 44.
(٢) الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،م3، ج8، ص 204.
(٣) أبو السعود، محمد أحمد العمادي، ت 982هـ ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1970م، م1، ج2، ص29. وانظر: القنوجي، صديق بن حسن بن علي الحسين، ت 1307هـ، فتح البيان في مقاصد القرآن، (تحقيق عبدالله إبراهيم الأنصاري)، إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر، 1989م، ج 2، ص 224؛ العجيلي، الفتوحات الإلهية، ج 1، ص402- 403.

الله صلى الله عليه وسلم يقول : "ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخًا من مسّ الشيطان غير مريم وابنها".[1]

فهذا يدل على أن السيدة مريم وابنها قد اختصا عن سائر البشر بصفة حفظ الله عز وجل لهما من الشيطان الرجيم، وكما أن الأحاديث التي سيأتي ذكرها التي تدل على اتصاف مريم بصفات الكمال من دون سائر النساء تؤكد كذلك خصوصية السيدة مريم من ناحية حفظها أو عصمتها من وسوسة الشيطان.

رابعاً: تفسير قوله تعالى: { فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً } آل عمران:37

تشير الآية الكريمة إلى قبول الله تعالى نذر أم مريم، نتيجة إخلاصها وصدقها، فمنذ أن نذرت أم مريم جنينها لله عز وجل و طلبت منه أن يحفظ ابنتها من الشيطان الرجيم، استجاب الله سبحانه وتعالى لدعاءها فتربتّ هذه البنت أحسن تربية ونشأت في أطهر تربة. [2]

وفي شرح هذه الجملة من الآية الكريمة يقول الشعرواي رحمه الله: "لقد علم الله تعالى إخلاص "حنّة" امرأة عمران في ندائها ربها فقد كانت عارفة بأسرار النداء والدعاء فنادت ربها قائلة "ربّ ِ" ولم تقل إلهي لأن الربوبية يلاحظ فيها التربية من البداية إلى النهاية أما الألوهية فهي خاصة بما فيه تكليف. كانت امرأة عمران تقصد بنذرها لما في بطنها ألا تربيه هي حتى يقدر على الخدمة. بل كانت تقصد نذره من أول أمره بحيث لا تنعم بطفولته كما تنعم الأمهات. ومن هنا جاء الرد من الله من جنس ما سألت ودليلاً على إخلاصها في مطلبها

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب احاديث الانبياء باب قول الله تعالى :(واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا) مريم 16 ، حديث رقم 3431 ، البخاري ، محمد بن اسماعيل ، صحيح البخاري ، ط 1 ، دار الجيل ، بيروت ، 2005م ، وفي مسند الامام احمد بالفاظ أخرى ، كتاب فضائل الأنبياء ، حديث رقم 7182 ، ابن حنبل ، أحمد ، ت241 هـ ، المسند (تحقيق : احمد محمد شاكر) ، ط1 ، دار الحديث ، القاهرة ، 1995م ، وفي المستدرك على الصحيحين بالفاظ أخرى ، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ، ذكر نبي الله وروحه عيسى لبن مريم صلوات الله وسلامه عليه حديث رقم 4210 ، قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

(2) قال أبو السعود: "وأنبتها نباتاً حسناً" عبارة عن حسن النشأة والجودة في خلق وخلق فأنشأها على الطاعة والعبادة، قال ابن عباس: لما بلغت تسع سنين صامت النهار وقامت الليل حتى أربت على الأحبار. أبو السعود،إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، م1، ج2، ص30؛ وانظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج2، ص460؛ النسفي، عبد الله بن أحمد ت710هـ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ط1، (تحقيق: يوسف علي بديوي)، دار ابن كثير، بيروت ، 1988م، ج1، ص 250؛ قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط17، دار الشروق، بيروت، 1992م، م1، ج3، ص393، حافظ، عماد زهير ، القصص القرآني بين الآباء والأبناء، دار القلم، دمشق، ص404.

وفي ندائها لربها قال تعالى: "فتقبلها ربها بقبول حسن" آل عمران: 37، والقبول: هو أخذ الشيء برضا والحسن شيء فوق الرضا ستلمحه في تربية مريم العذراء، هو ليس قبولاً عادياً، ولكنه قبول حسن ولهذا قال تعالى: { وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا }" آل عمران: 37. [١]

المطلب الرابع: كفالة زكريا لمريم

زكريا –عليه السلام– من الأنبياء الذين ذكروا في القرآن الكريم، [٢] وهو من الشخصيات المهمة التي وجدت في حياة السيدة مريم عليها السلام، فهو قريبها وزوج خالتها (أو أختها في رأي آخر)، وكافلها، وسنعرض في هذا المطلب أهم الأدوار التي شكلتها شخصية هذا النبي –عليه السلام– في حياة مريم.

أولا: علاقة مريم بزكريا عليه السلام

يتفق المفسرون على قرابة زكريا لمريم ويختلفون في تحديد نوع القرابة، فمنهم من روى أنه زوج خالتها، ومنهم من روى أنه زوج اختها ومنهم من روى أنه ابن عمها. و في تحديد نسبه يذكر اليعقوبي أنه يرجع في نسبه إلى موسى –عليه السلام– فقال:" زكريا: هو زكريا بن برخيا بن شوا بن نحرائيل بن سهلون بن أرسوا بن شويل بن يعود بن موسى ابن عمران وكان كاهن المذبح". [٣]

---

(١) الشعراوي، مريم والمسيح، ص51-52. قال ابن عطية: والمعنى يقتضي أن الله أوحى إلى زكريا ومن كان هنالك بأنه تقبلها ولذلك جعلوها كما نذرت. ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط 1،(تحقيق عبدالسلام عبد الشافي محمد)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ج1، ص425

(٢) فورد ذكر زكريا عليه السلام، في الآيات الكريمة التالية: آل عمران: 37، 38؛ الأنعام: 85، مريم: 2، 7؛ الأنبياء: 89.

(٣) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، تاريخ اليعقوبي، ط 1، (تحقيق عبد الأمير مهنّا)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1993م، ج1، ص97. ويظهر من كلام اليعقوبي من وصف زكريا بأنه "كاهنا" أنه نقل هذا الوصف من أخبار بني إسرائيل، وقد ورد في إنجيل لوقا أن زكريا كان كاهنا، (لوقا، 1: 5 و 1: 36) ومعنى الكاهن الشخص الذي يتولى أمور العبادة. انظر: عبد الملك، بطرس وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص 791. أما زكريا في الإسلام فهو نبي من أنبياء الله سبحانه وتعالى الذين ذكروا في القرآن الكريم، فورد ذكره في الآيات الكريمة التالية: آل عمران: 37، 38؛ الأنعام: 85، مريم: 2، 7؛ الأنبياء: 89.

وذكر المسعودي في نسبه شجرة مختلفة فقال:"زكريا بن أدق وهو من ولد داود من سبط يهوذا، وكان تزوج أشباع بنت عمران أخت مريم بنت عمران أم المسيح عليهما السلام... واسم أم أشباع ومريم حنّه، وولدت لزكريا يحيى، وكان يحيى ابن خالة المسيح عليهم السلام". (١)

قال ابن العربي: "قد روي ان مريم كانت بنت أخت زوج زكريا، ويروى أنها كانت بنت عمه وقيل من قرابته، فأما القرابة فمقطوع بها وتعيينها مما لم يصح". (٢)

ويمكن أن نرجح أن زكريا كان زوج خالة مريم لأنه يفهم من خلال الآيات الكريمة التي تحدثت عن تحسر أم مريم لعدم قدرتها على الإنجاب أن مريم لم يكن لها أخ أو أخت يكبرها، فلو كان لها أخت فستكون أصغر منها، والآيات الكريمة تدل على أن امرأة زكريا كانت تكبر مريم أو حتى أنها كانت عجوزاً وأن مريم كانت شابة.

قال تعالى على لسان زكريا في سورة آل عمران: { قَالَ رَبِّ أَنَّىَ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ } آل عمران: 40. وفي سورة مريم كذلك: {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً {4} وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً { 5} يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً {6} يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً { 7} قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً } مريم: 3-8.

كما أن الأناجيل تذكر أن زوجة زكريا "أليصابات" لم تكن أختًا لمريم بل كانت قريبة لها وتؤكد في نفس الوقت على أنها كانت كبيرة في السن، حيث ورد في لوقا النص التالي: "فأجاب الملاك وقال لها. الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللكِ فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله. وهو ذا اليصابات نسيبتك هي أيضا حبلى بابن في شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً". (١)

---

(١) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، ص62- 63
(٢) ابن العربي،أحكام القرآن، ج1، ص274

ثانيا: تفسير قوله تعالى:"وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيّهم يكفل مريم" آل عمران:44

بعد أن تمت ولادة مريم -عليها السلام- أرسلتها والدتها إلى بيت المقدس وفاءً لنذرها وقربةً إلى ربها وقد اختلفت أقوال المفسرين في وقت إرسال مريم -عليها السلام- على قولين:

الأول: أن أمها أرسلتها إلى مكان العبادة مباشرة بعد وضعها حيث لفتها في خرقة وأرسلتها إلى الأحبار وقالت دونكم هذه النذيرة، وهذا القول يصعب قبوله لأنه من الصعب أن تترك رضيعة تحتاج إلى العناية بهذا الشكل.

الثاني: إنها أرسلتها بعد انتهاء فترة الرضاع والحضانة، [٢] وهو الأقرب إلى القبول لأن القرآن الكريم ذكر بأن كفالة مريم كانت بعد الإنبات الحسن {فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا} آل عمران: 36.

والقرآن الكريم يصور لنا بإيجاز إرسال مريم -عليها السلام- إلى بيت المقدس واختصام الأحبار حول كفالتها، في الآيتين الكريمتين التاليتين:

قال تعالى:{ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا} آل عمران: 36.

وفي قوله تعالى:{ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ } آل عمران:44. [٣]

---

(١) لوقا 1: 35-37.

(٢)ابن العربي، أحكام القرآن، ص319-320، والماوردي،علي بن محمد بن حبيب، ت450هـ، النكت والعيون، ط1، (تحقيق وتوثيق السيد بن عبد المقصود)، دار الفكر العلمية، بيروت، 1992م، ج1، ص393.

(٣) أقلامهم: القلم: ما يكتب به وجمعه أقلام وقلام، والقلم: الزّلم. والقلم: السهم الذي يجال بين القوم في القمار. لسان العرب، ج11، ص290، قال الماوردي : "اختلف المفسرون في كيفية فعلهم على قولين الاول: أنهم تشاجروا عليها وتنازعوا فيها طلبًا" لكفالتها ، فقال زكريا : أنا أحق بها لأن خالتها عندي ، وقال القوم : نحن احق بها لانها بنت امامنا وعالمنا ، فاقترعوا عليها بالقاء أقلامهم وهي القداح مستقبلة لجرية الماء ، فاستقبلت عصا زكريا لجرية الماء مصعدة ، وانحدرت اقلامهم فقرعهم زكريا ، وهو معنى قوله تعالى (وكفلها) وهذا قول ابن عباس وعكرمة والحسن والربيع .والقول الثاني : أنهم تدافعوا كفالتها لأن زكريا كان قد كفلها من غير اقتراع ، ثم لحقهم أزمة ضعف بها عن حمل مؤونتها ، فقال للقوم : ليأخذها أحدكم ، فتدافعوا كفالتها وتمانعوا منها ، فأقرع بينهم وبين نفسه فخرجت القرعه له . وهذا قول سعيد .الماوردي،علي بن محمد بن حبيب، ت 450هـ، النكت

وقوله تعالى:{ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ }، آل عمران: 44، هي إشارة إلى ما كان من تسابق سدنة بيت المقدس إلى كفالة مريم حين جاءت بها أمها وليدة إلى بيت المقدس، وفاءً لنذرها وعهدها مع ربها، والنص يشير إلى حادث لم يذكره "العهد القديم" ولا "العهد الجديد" المتداولان ولكن لا بد أنه كان معروفاً عند الأحبار والرهبان. حادث إلقاء الأقلام. [١]

لقد ذكر أهل الأخبار والمفسرون عدة روايات حول إرسال مريم إلى المسجد واختصام الرهبان حول كفالتها، ومنها ما رواه الثعلبي: "فلما ولدت مريم أخذتها أمها حنّه فلفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون وهم يومئذٍ ثلاثون [٢]في بيت المقدس كما يلي الحجبة أمر الكعبة، فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الأحبار، لأنها كانت بنت نبيهم وإمامهم، فقال لهم زكريا: أنا أحق بها منكم لأن عندي خالتها فقالت له الأحبار: لا تفعل ذلك فإنها لو تركت لأحق الناس وأقربهم إليها لتركت لأمها التي ولدتها ، ولكنا نقترع عليها، فتكون عند من خرج سهمه فاتفقوا على ذلك ثم انطلقوا وكانوا تسعة عشر رجلاً إلى نهر جار قال السُدي: هو نهر الأردن، فألقوا أقلامهم أي سهامهم وقيل: أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة[٣] في الماء، فارتفع قلم زكريا فوق الماء، وانحدرت أقلامهم ورسبت في الماء. وقال السدي بل ثبت قلم زكريا فوق الماء كأنه في طين، وجرت أقلامهم مع جريان الماء فذهب الماء بها، فسهمهم وقرعهم زكريا –عليه السلام– وكان رأس الأحبار ونبيهم، فذلك قوله تعالى: "وكفلّها زكريا" أي ضمّها إلى نفسه وقام بأمرها".[٤]

والعيون، ط1، (تحقيق وتوثيق السيد بن عبد المقصود)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ج1، ص393. وانظر ابن العربي ، أحكام القران ،ج1 ، ص319–320.

(١) قطب، في ظلال القرآن، م1، ج3، ص 396

(٢) وقيل تسعة وعشرون انظر: العجيلي، حاشية الجمل، الفتوحات الإلهية، ج1، ص404 وقيل سبعة وعشرون أنظر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج 1، ص157. ولا عبرة للعدد هنا ولا بكيفية حصول القرعة، بعد أن أثبت القرآن الكريم حصولها.

(٣) قال الزمخشري: اختاروها للقرعة تبركاً بها، الكشاف ج1، ص558.

(٤) الثعلبي ، عرائس المجالس، ج1، ص228–229، وانظر: محمد بن اسحاق، المبتدأ في قصص الأنبياء، ص341–342؛ والبغوي، معالم التنزيل، ج 1، 228–229؛ والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج1، ص157.

ثالثا: تفسير قوله تعالى: { كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً } آل عمران:37

بعد أن وقعت مهمة كفالة مريم على عاتق زكريا عليه السلام تشير لنا الآية الكريمة إلى الاهتمام الذي كان يوليه زكريا بمكفولته مريم حيث إنه كان يتفقدها دون أن ينقطع عنها، ويستفسر عن شؤونها. و يفهم من خلال الآية الكريمة أن زكريا لم يلاحظ وجود الرزق عندها مرة واحدة، بل في كل مرة يدخل عليها كان يجد عندها هذا الرزق، مع أن الرزق هو أهم مطلوب يتوجب على الكفيل، ولكنّ هذا الرزق غير الرزق الذي كان يأتيها به، في هذه الحالة لا بد أن يستغرب و يسأل. فقال:{ **يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا** } آل عمران:37 [١]

وورد من الإسرائيليات في بيان صفة هذا الرزق ما أخرجه ابن حميد ونسبه إلى ابن عباس قوله في: "وجد عندها رزقاً"، قال: "مكتلاً فيه عنب من غير حينه"[٢]، وأخرج ابن جرير من وجه آخر عن مجاهد في بيان هذا الرزق قوله أنه : "فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف". [٣]

فيفهم من هذا التفسير أن الرزق الذي كان يأتي لمريم هو رزق خارق للعادة، كرامة لها عليها السلام، وقد رجح بعض العلماء هذا الرأي، واستدل الفخر الرازي على هذا القول بالأدلة التالية:

الأول: "إذا لم يكن هذا من خوارق العادات، لا يكون حصول ذلك الرزق عند مريم دليلاً على علو شأنها وشرف درجتها وامتيازها عن سائر الناس بتلك الخاصية ومعلوم أن المراد من الآية هذا المعنى .

الثاني: أنه تعالى قال بعد هذه الآية { **هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً** } آل عمران: 38 والقرآن دل على أن زكريا عليه السلام وزوجته قد بلغا سن الشيخوخة ولم ينجبا، فلمّا رأى انخراق العادة في حق مريم طمع في حصول الولد فيستقيم قوله: "هنالك دعا زكريا ربّه" أمّا لو كان الذي شاهده في حق مريم لم يكن خارقاً للعادة لم تكن مشاهدة ذلك سبباً لطمعه في إنخراق العادة بحصول الولد من المرأة الشيخة العاقر.

---

(١) الشعراوي، مريم والمسيح، ص55.
(٢) السيوطي،الدر المنثور، ج2، ص36
(٣) السيوطي،المرجع السابق نفسه، ج2، ص36

الثالث: إنّ التنكير في قوله "وجد عندها رزقاً يدل على تعظيم حال ذلك الرزق كأنه قيل : رزقاً. أي رزق غريب عجيب وذلك إنما يفيد الغرض اللائق لسياق هذه الآية لو كان خارقاً للعادة .

الرابع : هو أنه تعالى قال:{ وجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ } الأنبياء: 91، وذلك لا يكون إلا بظهور خوارق العادات على يدها كما ظهرت على يد ولدها عيسى عليه السلام.

الخامس: ما ذكرته الروايات أن زكريا –عليه السلام– كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، فثبت أن الذي ظهر في حق مريم –عليها السلام– كان فعلاً خارقاً للعادة". [1]

والذي يترجح في هذا الموضوع ما ذهب إليه بعض العلماء منهم محمد عبده والمراغي إلى اعتبار أن الرزق في الآية الكريمة ليس من خوارق العادات، وأن إسناد مريم أمر الرزق إلى الله تعالى في الآية الكريمة هو أمر معهود من المؤمنين، ولا دليل في الآية على كون الرزق من خوارق العادات، وإنما مصدر هذا التفسير هو أخبار بني إسرائيل وليس عليه مستند لا في الكتاب ولا في السنة.[2]

وقال سيد قطب رحمه الله: "ولا نخوض نحن في صفة هذا الرزق كما خاضت الروايات الكثيرة ، فيكفي أن نعرف أنها كانت مباركة يفيض من حولها الخير، ويفيض الرزق من كل ما يسمى رزقاً حتى ليعجب كافلها –وهو نبي– من فيض الرزق فيسألها كيف ومن أين هذا كله؟ فلا تزيد على أن تقول في خشوع المؤمن وتواضعه واعترافه بنعمة الله وفضله وتفويض الأمر إليه كله "هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب" وهي كلمة تصور حال المؤمن مع ربه واحتفاظه بالسر الذي بينه وبينه . والتواضع في الحديث عن هذا السر لا التنفج به والمباهاة! كما أن ذكر هذه الظاهرة غير المألوفة التي تثير عجب نبي الله زكريا، هي التمهيد للعجائب التي تليها في ميلاد يحيى وميلاد عيسى عليهما السلام".[3]

المطلب الخامس: وفاة السيدة مريم

---

(1) الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، م 3، ج8، ص 207

(2) محمد عبده، الأعمال الكامله، ط 1، تحقيق: محمد عماره، دار الشروق القاهرة، 1993م، ج5، ص24؛ أبو وندي، رياض وآخرون، عيسى ومريم في القرآن والتفاسير، المجمع الملكي للبحوث والدراسات الدينية، عمان: 1996م، ص 65، المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، ص145.

(3) قطب، في ظلال القرآن، م1، ج3، ص 393

لم يرد في القران الكريم ولا في السنة النبوية الصحيحة، ما يعطي إشارة إلى تاريخ وفاة السيدة مريم أو إلى كيفية وفاتها. ووردت بعض الروايات في كتب أمثال "تاريخ الأمم والملوك" للطبري و كتاب "الإنباء بأنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الأمراء" للقضاعي و"البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان" لعماد الدين الأصفهاني. روايات تنقل عن أهل الكتاب قولهم أن مريم عاشت بعد رفع المسيح ست سنين، وأضاف صاحب البستان رواية تشير إلى ان وفاتها كانت بعد عشرين سنة بعد رفع عيسى عليه السلام.(١)

وورد في "المستدرك" رواية عن أهل الكتاب التي يرويها الحاكم عن الحسن بن محمد الاسفراييني عن محمد بن احمد بن البراء عن عبدالمنعم بن ادريس عن ابيه عن ابن منبه قوله:".. وزعموا أن مريم حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وأن عيسى عاش إلى أن رفع ابن اثنين وثلاثين سنة، وأن مريم بقيت بعد رفعه ست سنين فكان جميع عمرها ستا وخمسين سنة".(٢)

---

(١) انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 1، ص345؛ القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر بن علي 454هـ، الإنباء بأنباء الأنبياء و تواريخ الخلفاء وولايات الأمراء، ط 1، (تحقيق:عمر عبد السلام تدمري)، المكتبة العصرية، بيروت ، 1998م، ص84؛ الأصفهاني، عماد الدين ت597 هـ، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، (تحقيق: محمد علي الطعاني)، مؤسسة حمادة، إربد، 2003م، ص94

(٢) الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، كتاب تواريخ المتقدمين من الانبياء والمرسلين ، ذكر نبي الله وروحه عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليه ، حديث رقم 4216 ، ضعفه الذهبي في التلخيص وقال عبدالمنعم ساقط ، وهو قول ابن الملقن .

المبحث الثاني

حمل السيدة مريم -عليها السلام- بالمسيح و ولادته

يصور القرآن الكريم الحمل بعيسى على أنه الحمل بإنسان بلا أب عن طريق معجزة إلهية، مثله كمثل آدم من قبله. وقد عبر القرآن الكريم عن كيفية الحمل بإشارات بليغة وموجزة، فعبر عنه على أنه كلمة الله التي ألقاها لمريم على اعتبار أنه خلق بقدرة الله سبحانه وتعالى، "إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون" يس: 82، فالمسيح خلقه الله عز وجل بقدرته وإرادته، وليس المسيح هو كلمة كن بالمعنى الظاهري بل هو متعلقها. وسنفصل في هذا المبحث المواضيع المتعلقة بحمل السيدة مريم بالمسيح وولادتها له من منظور الإسلام.

المطلب الأول: بشارة الملائكة لمريم عليها السلام

بعد أن بلغت مريم العذراء -عليها السلام- مبلغ النساء جاءتها الملائكة بالبشرى والبشارة: هي الخبر السار،[1]. وقد جاءت هذه البشارة بعد إبلاغ الملائكة لمريم باصطفاء الله سبحانه وتعالى لها فكان هذا الاصطفاء هو إعداد وتأسيس لهذه البشارة، واختيار لفظ البشارة بالذات لتبليغ الخبر فيه طمأنينة للسامع وراحة لقلبه وبعد له عن الريبة والخوف قال تعالى: { إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ } آل عمران: 45.

وفيمايلي تفصيل للأحداث التي سبقت البشارة ومضمونها وموقف مريم منها.

أولا: انتباذها من أهلها

قال تعالى: { وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ[2] مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً } مريم: 16.

---

[1] انظر: لسان العرب، ج 4، ص60-61.

[2] قال الشوكاني: "يجوز أن يراد بالكتاب: جنس القرآن وهذه السورة منه، ولمّا كان الذكر لا يتعلق بالأعيان احتيج إلى تقدير مضاف يتعلق به الذكر وهو قصة مريم أو خبر مريم". الشوكاني، فتح القدير، ج3، ص400.

تعرض سورة مريم مقدمات قصة بشارة مريم بالمسيح عليهما السلام، ويبدأ القرآن الكريم بوصفه لحال مريم وقد ابتعدت عن أهلها إلى الشرق. [١]

وفي فتح القدير: أنها تنحت وتباعدت وقال ابن قتيبه: اعتزلت وقيل: انفردت والمعاني متقاربة. [٢]

وذكر الفخر الرازي أن المفسرين اختلفوا في معنى هذا الانتباذ على وجوه محتملة وهذه الوجوه هي:

الأول: "أنها لمّا رأت الحيض تباعدت عن مكانها المعتاد للعبادة لكي تنتظر الطهر فتغتسل وتعود فلمّا طهرت جاءها جبريل –عليه السلام– ويمكن ترجيح هذا القول على غيره من الأقوال لما رواه الحاكم عن السدي عن أبي مالك، عن ابن عباس رضي الله عنه، وعن مرة عن عبد الله قالا:"خرجت مريم إلى جانب المحراب بحيض أصابها، ولما طهرت إذ هي برجل معها وهو قوله: {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً }مريم: 17، وهو جبريل عليه السلام ففزعت منه {قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً } مريم: 18–19، فخرجت وعليها جلبابها، فأخذ بكمها فنفخ في جيب درعها وكان مشقوقاً من قدامها فدخلت النفخة صدرها فحملت....." [٣].

والثاني: أنها طلبت الخلوة لئلا تنشغل عن العبادة. [٤]

والثالث: أنها قعدت في مشرقة[٥]. للاغتسال من الحيض محتجبة بشيء يسترها.

---

[١] الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،م 11، ج21، ص 196– 197، وانظر: الزمخشري، الكشاف، ج2، ص505.

[٢] الشوكاني ج3، ص400

[٣] الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج3، ص196، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر نبي الله وروحه عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليه، حديث رقم 4208. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص.

[٤] وقد حسن القرطبي هذا الوجه وقال: "وهذا حسن وذلك أن مريم –عليها السلام– كانت وقفاً على سدانة بيت المقدس وخدمته والعبادة فيه فتنحت من الناس لذلك". القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، م 6، ج11، ص 61.

[٥] المشرقة: موضع القعود في الشمس بالشتاء، الفراء، يحي بن زياد 207 هجري، معاني القرآن، ط 3، عالم الكتب، بيروت، 1983م، ج2، ص163

والرابع: أنها كان لها في منزل زوج أختها زكريا محراب على حدة تسكنه وكان زكريا إذا خرج أغلق عليها فتمنت على الله أن تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها فانفرج السقف لها فخرجت إلى المفازة فجلست في المشرقة وراء الجبل فأتاها الملك.

والخامس: أنها عطشت فخرجت إلى المفازة لتستقي".[١]

وفي تفسير قوله تعالى: "مكاناً شرقيا" فسّر على أنه المكان الذي يقع شرقي بيت المقدس أو شرقي دارها.[٢]

وفي تفسير قوله تعالى:{ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً } مريم: 17، قال الشوكاني: "أي اتخذت من دون أهلها حجاباً يسترها عنهم لئلا يراها الرجال حال العبادة أو حال التطهير من الحيض، والحجاب الستر والحاجز ". [٣]

والذي يظهر من خلال الآية الكريمة وأقوال المفسرين أن مريم في البداية ابتعدت إلى جهة المشرق من مكان سكنها (بيت المقدس)، وبعد ابتعادها، حجبت مريم نفسها عن أنظار الناس. وفي هذه الأثناء أرسل الله سبحانه وتعالى إليها جبريل عليه السلام مبشراً إياها بحمل السيد المسيح عليه السلام.

ثانيا: معنى البشارة ومضمونها

عرضت الآيات من سورة مريم قصة البشارة من حيث مقدماتها وموضوعها في قوله تعالى:{ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فتمثل لها بشرًا سويا}، أما في سورة آل عمران فإن التركيز كان أكثر لبيان موضوع هذه البشارة وتفصيلها في قوله تعالى:{ إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ } آل عمران: 45

---

(١) الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، م11، ج21، ص 196-197؛ وابن كثير، اسماعيل بن عمر، ت774هـ تفسير القرآن العظيم، ط، (تحقيق: محمد إبراهيم البنا)، مؤسسة علوم القرآن، بيروت ، 1998م، ج 5، ص 2212. وقد رجح الطبري القول الخامس في تاريخ الأمم والملوك، ج 1، ص 349.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، م 6، ج11، ص 61- 62؛ وانظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص9؛ الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، م11، ج21،ص 197

(٣) الشوكاني، فتح القدير، ج3، ص400.

فقد وصفت الآية الكريمة إخبار مريم بموضوع مجيء المسيح على أنه بشارة، والبشارة هي إخبار المرء بما يسره من خير. [١]

وأما تفسير قوله تعالى: "بكلمة منه" فقد فسرت بالمعاني التالية:

1. "انه قول الله له كن فكان.
2. انها بشارة الملائكة لمريم بعيسى علية السلام .
3. أن الكلمة اسم لعيسى علية السلام وسمي الكلمة لأنه كان عن الكلمة (كن)". [٢]
4. وفسر وصف الله تعالى له بالكلمة على أساس أنه يهتدى به كما أن الكلمة تهدي للخير. [٣]
5. وذكر الألوسي أنه وصف بالكلمة لأن الله بشر به في الكتب السابقة. [٤]

والأرجح أن معنى قوله تعالى "بكلمة منه" أي بأمر منه بمعنى أن عيسى خلق بأمر من الله عز وجل بدون واسطة الأب، يقول البقاعي في هذا المعنى، " الكلمة:أي مبتدئة منه من غير واسطة أب هو من تسمية المسبب باسم السبب والتعبير بها، أوفق لمقصود السورة وأنفى لما يدعيه المجادلون في أمره ثم بيّن أنه ليس المراد بالكلمة حقيقتها بل ما يكون عنها ويكون فعلاً بها". [٥]

وفي معنى اسم النبي "عيسى" عليه السلام كما ورد في قوله تعالى: **{ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ }** آل عمران: 45

ذكر أنها كلمة يونانية معناها مخلص ويرادفها يشوع إلا أنها عبرانية كما في تأويل أسماء التوراة والإنجيل". [٦]

---

(١) لسان العرب، ج4، ص60-61، الخازن،لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص245

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج 1، ص389. ورجح ابن عجيبة أن المقصود (بكلمة منه) قوله (كن)، ابن عجيبة، أحمد بن أحمد بن محمد بن المهدي، ت 1224هـ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ط2،(تحقيق عمر أحمد الراوي)، دار الكتب العلمية،بيروت ، 2005م،ج1، ص319.

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير، ج1، ص389.

(٤) الألوسي، روح المعاني، ج3، ص212

(٥) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج4، ص397.

(٦) القاسمي، محاسن التأويل، ج2، ص63.

وأما في بيان معنى "المسيح" قال البقاعي: "وأصل هذا الوصف أنه كان في شريعتهم من مسحه الإمام بدهن القدس كان طاهراً متأهلاً للملك والعلم والولايات الفاضلة مباركاً، فدل سبحانه على أن عيسى -عليه السلام- ملازم للبركة الناشئة عن المسح وإن لم يمسح".(١)

وفي بيان حكمة ذكر الله سبحانه وتعالى للقب المسيح قيل لأن المسيح أشهر من عيسى لأنه قلّ أن يقع على سمّي يشتبه به، وعيسى قد يقع على عدد كثير، فقدمه لشهرته حيث إن ألقاب الخلفاء أشهر من أسمائهم. و أما قوله تعالى: "عيسى ابن مريم"، فإنما نسبه إلى أمه لينفي ما قال عنه الملحدون من النصارى من حيث نسبته إلى رجل ما أو لله -تعالى عن ذلك علواً كبيرا. (٢)

وبعد أن بشرت الملائكة مريم -عليها السلام- باسم هذا الغلام ولقبه وكنيته بدأت بذكر صفاته لتزداد طمأنينة وسعادةً بهذه البشارة وأول صفة من هذه الصفات هي قوله تعالى: "**وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين**"آل عمران: 45.

قال ابن كثير: "أي له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا بما يوحيه الله إليه من الشريعة وينزله عليه من الكتاب وغير ذلك مما منحه به، وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه أسوة بأخوانه من أولي العزم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين".(٣)

وقال الإمام محمد عبده: اما وجاهة المسيح في الآخرة فظاهرة، وأما وجاهته في الدنيا فقد تكون موضع إشكال لما لاقاه من اليهود، والجواب على ذلك أن الوجيه في الحقيقة من كانت له مكانة في القلوب، احترام ثابت في النفوس، ولا يخفى على أحد أن منزلة المسيح في نفوس المؤمنين به عظيمة جداً، وهذه الوجاهة أعلى وأرفع من وجاهة الملوك والأمراء الذين يحترمون في الظاهر أتقاءً لشرهم. (٤)

وثاني هذه الصفات قوله تعالى:{ **وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ** } آل عمران: 46.

قال البغوي: "أي صغيراً قبل أوان الكلام كما ذكره في سورة مريم قال { **إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ** } مريم: 30، وقوله "وكهلا" قال مقاتل: "يعني إذا اجتمع قبل أن يرفع إلى السماء وقال الحسين بن الفضل بعد نزوله من السماء وقيل: أخبرها

---

(١) البقاعي، إبراهيم بن عمر، ت 885هـ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط 1،مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1972م، ج4، 396

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج1، ص389؛ وانظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج2، ص482.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص708؛ وانظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج2، ص482.

(٤) محمد عبده، الأعمال الكاملة، ج5، ص28-29 بتصرف.

أنه يبقى حتى يكتهل، وكلامه بعد الكهولة إخباره عن الأشياء المعجزة، وقيل: "وكهلاً" نبياً. بشرها بنبوة عيسى –عليه السلام–. وكلامه في المهد معجزة وفي الكهولة دعوة ".[١]

واختلف في بيان سن الكهولة هنا على أقوال منها: أربعين سنة، وخمس وثلاثين، ثلاث وثلاثين، واثنين وثلاثين. وقيل ما بين اثنين وثلاثين واثنين وخمسين سنة. [٢]

والراجح هو أن الكهل مرحلة عمرية تتجاوز الثلاثين. [٣]ويمكن أن نعتبر هذا دليلا على أن عيسى عليه السلام سينزل إلى الأرض مرة أخرى، على اعتبار أن عيسى قد رفع قبل أن يبلغ سن الكهولة، وأما كهولته فسيعيشها عند نزوله إلى الأرض مرة أخرى، وهذا ما أخبر به القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قال تعالى: { وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً{157} بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً{158} وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً} النساء: 157-159، وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها"[٤]

وقال الماوردي: "وفي سبب كلامه في المهد قولان [٥]: أحدهما لتنزيه أمه مما قذفت به. والثاني: لظهور معجزته". [١]

---

(١) البغوي، معالم التنزيل، ج1، ص233.

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص9.

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير، ج1، ص390.

(٤) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، حديث رقم 3448.

(٥) عن أبي هريرة عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى وكان في بني اسرائيل رجل يقال له جريج ، وكان يصلي جاءته أمه فدعته ، فقال أجيبها أو أصلي ؟ فقالت : اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات ، وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى ....." الحديث . رواه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب " واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من

"واختلفوا هل كان في وقت كلامه في المهد نبيا على قولين.

أحدهما: كان في ذلك الوقت نبياً لظهور المعجزة منه.

والثاني: أنه لم يكن في ذلك الوقت نبياً وإنما جعل الله ذلك تأسيساً لنبوته .

والمهد: مضجع الصبي، مأخوذ من التمهيد".[٢]والقول الثاني هو الراجح يدل عليه قول تعالى: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً }مريم30 أي في المستقبل.

وفي قوله تعالى: "ويكلم الناس في المهد وكهلاً" قال النسفي: "أي يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الأنبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الأنبياء".[٣]

قال الفخر الرازي: "أنكرت النصارى كلام المسيح في المهد واحتجوا على صحة قولهم بأن كلامه في المهد من أعجب الأمور وأغربها، ولا شك أن هذه الواقعة لو وقعت لوجب أن يكون وقوعها في حضور الجمع العظيم الذي يحصل القطع واليقين بقولهم، لأن تخصيص مثل هذا المعجز بالواحد والاثنين لا يجوز. ومتى حدثت الواقعة العجيبة جداً عند حضور الجمع العظيم فلا بد وأن تتوافر الدواعي على النقل فيصير ذلك بالغاً حدّ التواتر وإخفاء ما يكون بالغاً إلى حد التواتر ممتنع وأيضاً فلو كان ذلك لكان ذلك الإخفاء هاهن ا ممتنعاً لأن النصارى بالغوا في إفراط محبته إلى حيث قالوا أنه كان إلهاً، ومن كان كذلك يمتنع أن يسعى في إخفاء مناقبه وفضائله بل ربما يجعل الواحد ألفاً فثبت أن لو كانت هذه الواقعة موجودة لكان أولى الناس بمعرفتها النصارى، ولمّا أطبقوا على إنكارها علمنا أنه ما كان موجوداً البتة".[٤]

أهلها " مريم 16 ، حديث رقم 3436 وأخرجه أيضا" في كتاب المظالم ، باب اذا هدم حائطاً فليبن مثله حديث رقم 2482 ، ورواه مسلم في كتاب الادب باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها ، حديث رقم 2456 ، ورواه احمد في المسند في كتاب فضائل الانبياء حديث رقم 8057 ، 8058 ، ورواه الحاكم في المستدرك بألفاظ أخرى عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ، حديث رقم 4213 قال : وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص .

(١) الماوردي،النكت والعيون، ج1، ص394؛ قال ابن عباس تكلم ساعة في مهده، ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق. ابن الجوزي، زاد المسير، ج1، ص390.

(٢) الماوردي النكت والعيون، ج1، ص394؛ وانظر أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج2، ص483.

(٣) النسفي،مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج1، ص256.

(٤) الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، م4، ج8، ص57- 58، وانظر: الألوسي، روح المعاني، ج3، ص 216، الفاضلي، داود علي أصول المسيحية كما يصورها القرآن، مكتبة المعارف،الرباط، 1973م، ص 48- 49.

وبعد أن أورد الرازي إنكار النصارى لكلام المسيح في المهد عند ملاقاة السيدة مريم لقومها بعد ولادة المسيح، رد عليهم بمايلي:

١. "أن الجمع الذين سمعوا كلام عيسى عليه السلام كانوا قليلين فأخفوا هذه الحادثة.
٢. حتى ولوا أنهم نقلوا ما حصل من كلام المسيح في المهد فيحتمل أنهم خافوا من عدم تصديق الناس لهم.
٣. أنه ليس كل النصارى ينكرون كلام المسيح في المهد". (١)

ورغم أن الاناجيل المنحولة تذكر أن المسيح قد تكلم في المهد، إلا أن الأناجيل لا تشير إلى أن المسيح قد تكلم عند ملاقاة أمه مريم لقومها، وفي هذه المناسبة يذكر الشعراوي السبب الذي جعلهم يسقطون هذه القصة من سيرة المسيح ومريم بقوله:" إن رضيعاً يتكلم في المهد هو معجزة بكل المقاييس، فكيف تخلو كل الأناجيل، التي بين أيدينا الآن من هذه الواقعة؟، أنه طفل تكلم في المهد وكان لا بد أن تكون الكلمة التي قالها مدروسة بعناية ولا يمكن أن تنسى. لا بد أن تكون كلمة رائعة من طفل يتكلم فكيف لا يأتي كلامه هذا في الأناجيل؟! إنّ جنود الله سبحانه وتعالى هم الذين حفظوا الكلمة مُذ قالها عيسى عليه السلام وحتى تقوم الساعة. إنّ الأناجيل لم تذكر ذلك؛ لأنها لو ذكرت ذلك لسألناهم ماذا قال؟ سيكون الرد دون مواربة: لقد قال "إنّي عبد الله" وهذا ينفي أنه إله". (٢)

ويذهب البعض إلى عزو سبب عدم ذكر قصة تكلم عيسى في المهد مخاطبا قوم مريم إلى أن الذين دونوا الأناجيل لم يشهدوا ولادة المسيح، فلم يعرفوا تفاصيل حياة المسيح بدقة ومن بينها هذه المعجزة.(٣)

وثالث هذه الصفات هي قوله تعالى: "ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل" آل عمران: 48

وفسر الكتاب في الآية الكريمة بمعنيين:

١. "بمعنى الخط باليد فهو مصدر كتب يكتب، وهو قول ابن جريج وجماعة المفسرين. حيث إن الكتاب ذكر وعطف عليه التوراة والإنجيل فكان المعنى يقتضي غيرهما". (٤)

---

(١) الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج 1، ص57-58.
(٢) الشعراوي، مريم والمسيح، ص 118-120
(٣) الباش، حسن، العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل، ط1، دار قتيبة، بيروت،2001م، ص72.
(٤) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 1، ص438؛ وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، م2، ج4، ص 60

٢. بمعنى الكتبة أو جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما. [١]

أما "الحكمة" فقد فسرت على أنها "السنة التي يتكلم بها الأنبياء في الشرعيات والمواعظ، ونحو ذلك مما لم يوح إليهم في كتاب ولا بملك، لكنهم يلهمون إليه وتقوى غرائزهم عليه، وقد عبّر بعض العلماء عن الحكمة بأنها الإصابة في القول والعمل". [٢]

وقد تحققت صفات البشارة بعد ولادة المسيح –عليه السلام– مباشرة وكانت هذه الصفات أول ما نطق به فقال { إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ } مريم: 30.

ورابع هذه الصفات هي قوله تعالى: " ورسولاً إلى بني إسرائيل " آل عمران: 49، يصدقه قوله تعالى:{ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً } مريم: 30، وفي تفسير قوله: "ورسولاً" قال القرطبي: "أي ونجعله رسولاً أو يكلمهم رسولاً". [٣]

---

[١] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 1، ص160.

[٢] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1، ص438.

[٣] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، م 2، ج4، ص 60.

ثالثا: موقف مريم من البشارة

بعد أن عرضنا موضوع البشارة سابقًا، سنتعرف على طبيعة الحوار الذي جرى بين مريم والملاك أثناء تبشيرها بالمولود.

قال تعالى:{ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا } مريم: 17. وفي تفسير معنى الروح في الآية الكريمة ذهب أكثر المفسرين إلى أن المقصود بالروح هو جبريل عليه السلام تمثل بصورة بشر وحاور مريم، وذهب بعض المفسرين إلى أن المقصود بالروح هي الروح التي خلق منها المسيح حتى تمثل لها بشراً سويا[١].

قال الشنقيطي: أظهر الأقوال أن المراد بقوله "روحنا": جبريل، ويدل لذلك قوله تعالى: "نزل به الروح الأمين" الشعراء:193، وقوله تعالى: "قل نزّله روح القدس من ربك بالحق" النحل: 102، وإضافته إلى الله إضافة تشريف وتكريم، وقوله تعالى: "فتمثل لها بشراً سوّيا" مريم:17، فتمثله لها بشراً سويا المذكور في الآية يدل على أنه ملك وليس بآدمي، وهذا المدلول صرح به تعالى في قوله: "إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم" آل عمران: 45، وهذا الذي بشّرها به هو الذي قال لها "إنمّا أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا" مريم: 19

وفي تفسير قوله تعالى: { فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً } مريم: 17، قال الشوكاني:"أي تمثل جبريل لمريم بشراً مستوي الخلق لم يفقد من نعوت بني آدم شيئاً. قيل: ووجه تمثل الملك لها بشراً أنها لا تطيق أن تنظر إلى الملك وهو على صورته فلمّا رأته في صورة إنسان حسن كامل الخلق قد خرق عليها الحجاب ظنت أنه يريدها بسوء فاستعاذت بالله منه.[٢]

وفي تفسير قوله تعالى { قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً } مريم: 18"

ذكر في معنى قوله تعالى:"إن كنت تقيا" في هذه الآية الكريمة الأقوال التالية:

الأول: أي ممن يتق الله ويخافه.

الثاني: "تقيا" اسم رجل صالح فتعوذت منه تعجباً.

---

(١) الماوردي،النكت والعيون، ج3، ص362؛ وانظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي ت 1393هـ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ط1، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة ، 2004م، ج4، ص297- 298؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، م6، ج11، ص 62.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج2، ص505؛ وانظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج6، ص170.

الثالث: إنه اسم رجل فاجر معروف في ذلك الوقت. [١]

والقول الأول هو الصحيح لتناسبه مع سياق الآيات ومعناها، [٢] والقول إنه رجل فاجر هو قول ظاهر البعد عن معنى الآية الكريمة وسياقها اللغوي. [٣]

وبذلك يصبح المعنى: إن كنت تخاف الله، فلا تنو لي نية سيئة وأسألك الله عز وجل أن تبتعد.[٤]

قال أبو حيان: "قيل إنما مثل لها الملك في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه، ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه.... ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن، وكان تمثله على تلك الصفة ابتلاءً لها وسبراً لعفتها".[٥]

فالتقي إذا تعوّذ بالرحمن منه ارتدع عما يسخط الله، ففي ذلك تخويف وترهيب له وهذا كما تقول إن كنت مؤمناً فلا تظلمني فالمعنى إن كنت تقياً فاتعظ واخرج.[٦]

وبعد أن بشرت الملائكة مريم -عليها السلام- بالمسيح وذكرت لها أوصافه تعجبت مريم وهي الفتاة العذراء التي لم تتزوج بعد ولم تكن من أصحاب المعصية، تعجبت في كيفية حصول هذا الولد وهي على هذه الحال وهذا أمر طبيعي بحكم الطبيعة البشرية. فهي لم تتعجب من قدرة الله لأنها تعلم أن الله على كل شيء قدير ولكنها تسأل عن الكيفية، وقالت ذلك لأن المعروف بين البشر أن الإنسان لا يولد إلا من طريقين (الزواج او الزنى) . قال تعالى:{ **قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ** }آل عمران: 47، وفي سورة مريم:{ **قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً** } مريم: 20.[٧]

---

(١) الشوكاني،فتح القدير، ج3، ص400وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م6، ج11، ص62 .
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ، ج5، ص2213.
(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص9 .
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ، ج5، ص2213.
(٥) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج6، ص170
(٦) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج5، ص784.
(٧) الشعراوي، مريم والمسيح، ص 82- 84.

المطلب الثاني: حملها بالمسيح عليه السلام

بعد أن بشرت الملائكة مريم عليها السلام بالمولود، بقي على مريم أن تنتظر تحقق هذه البشارة وحصولها، فمادام أن هذا المولود قد بشرت به ملائكة الرحمن، فلم يبقى أمام مريم إلا أن تنتظر وعد الله سبحانه وتعالى بإيمان قوي وهي المؤمنة العابدة المصطفاة وسنعرض في هذا المطلب كيفية نظرة الإسلام لحمل مريم عليه السلام واختلاف العلماء في تحديد مدته.

أولا: طبيعة الحمل

يمكن فهم طبيعة الحمل بالمسيح عليه السلام من خلال نصوص القرآن الكريم على أنها معجزة إلهية، حيث إنه حمل أم بدون أب. وربما تقصر عقول البعض عن فهم هذه المسألة، فيكون المثال المشابه أوضح طريقا لتقريبها إلى عقولهم. و ضرب الأمثلة لتوضيح المعنى من أساليب القرآن الكريم، وفي هذا الموضوع استخدم القرآن الكريم نفس الأسلوب لمن يستغرب من خلق عيسى عليه السلام.

فذكر الواحدي في أسباب نزول هذه الآيات: { إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ }[١] الآيات. أنه لمّا قدم وفد نجران وجادل رسول الله–صلى الله عليه وسلم– في أمر عيسى، قالوا للرسول –صلى الله عليه وسلم–: مالك تشتم صاحبنا؟ قال: وما أقول؟ قالوا: تقول إنّه عبد قال: أجل إنّه عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء [٢] البتول[٣]فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب؟ فإن كنت صادقاً فأرنا مثله فأنزل الله { إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ }آل عمران59. [٤]

([١]) الواحدي، علي بن أحمد، ت468هـــ، أسباب نزول القرآن الكريم، (تحقيق: كمال بسيوني زغلول)، دار الكتب العلمية، بيروت، 106-108.

([٢]) العذراء: البكر، وجمعه عَذَارى وعَذَار، ويقال ذرة عذراء أي لم تثقب، ورملة عذراء– لم توطأ، و العذرة: البكارة، الزيات، أحمد حسن وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، طهران، المطبعة العلمية، ج2، ص596.

([٣]) البتول: بَتَلهُ بتلاً: قطعه –وفصله عن غيره و بتل الشيء: انقطع. ولله: انقطع إليه وأخلص، والشيء: بتله وعمله، لله: أخلصه من الرياء. وتبتل انقطع، وعن الزواج: تركه زهداً فيه، والى الله: تفرغ لعبادته. والبتل يقال: عطاء بتلٌ: منقطع النظير، أو لا عطاء بعده. و البتول من النساء: العذراء المنقطعة عن الزواج إلى الله، المعجم الوسيط ج1، ص37.

([٤]) الحاكم، المستدرك على الصحيحين بألفاظ اخرى ، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ، ذكر نبي الله وروحه عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليه ، حديث رقم 4209 قال وهذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص .

لذلك يصور القرآن الكريم الحمل بعيسى على أنه الحمل بإنسان بلا أب عن طريق معجزة إلهية، ليست صعبة على من خلق مثلها أول مرة، فكما خلق آدم من غير أب خلق عيسى كذلك. وقد عبر القرآن الكريم عن كيفية الحمل بإشارات بليغة وموجزة، فعبر عنه على أنه كلمة الله التي ألقاها لمريم { إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ } النساء: 171، وذلك على اعتبار أنه خلق بقدرة الله سبحانه وتعالى، " إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون" يس،82، و كما مر سابقا في بيان معنى قوله تعالى "وكلمته" أن المسيح ليس كلمة "كن" بالمعنى الظاهري، بل معناه أن المسيح خلق بأمر الله عز وجل وقضائه .

ولذلك فإن حمل مريم عليها السلام ومجيء عيسى عليه السلام هو آية للناس أجمعين ودليل على قدرة الله عز وجل، حيث أن مريم حينما استغربت من كلام جبريل عليه السلام عندما أخبرها بطبيعة ميلاد المسيح، أجابها الملاك بأن الحكمة من هذا أن يكون معجزة وآية دالة على قدرة الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: { وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ } مريم:21، وفي سورة الأنبياء قال تعالى: { وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ } الأنبياء: 91. (١)

ثانيا: تفسير قوله تعالى:{ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا } الأنبياء:91

ذكر الله سبحانه وتعالى النفخ المتعلق بمريم –عليها السلام– في آيتين:

الأولى: { وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا } الأنبياء: 91.

والثانية:{ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا } التحريم: 12.

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م6، ج11، ص 223– 224.

في الآيتين الكريمتين السابقتين تأكيد على وقوع معجزة الحمل بالمسيح، بقدرة الله سبحانه وتعالى، ورداً على الذين اتهموا السيدة مريم في عفتها، فشهد لها القرآن الكريم بالعفة والطهر، وبينّ أنّ الحمل بالمسيح ليس كالحمل بسائر البشر[١].

وقد حاول بعض المفسرين أن يصف كيفية النفخ بأوصاف مباشرة، يمكن الاستغناء عنها إذا ما استحضرنا قدرة الله عز وجل في تحقيق هذه المعجزة، و القرآن الكريم لم يصرح بكيفية هذا النفخ، ولم تستند الآراء التي ذكرت كيفية النفخ على أدلة صحيحة. [٢]

ومن أجل نفي التعارض الذي أورده الرازي في إسناد النفخ لله سبحانه وتعالى تارة في قوله تعالى: "فنفخنا فيه من روحنا" ولجبريل تارة أخرى في قوله تعالى "لأهب لك غلاما زكيا"،[٣] قال الشنقيطي: "ولا ينافي ذلك إسناد الله –جل وعلا– النفخ المذكور لنفسه في قوله تعالى: "فنفخنا" لأن جبريل إنما أوقعه بإذنه وأمره ومشيئته، وهو تعالى الذي خلق الحمل من ذلك النفخ، فجبريل لا قدرة له على أن يخلق الحمل من ذلك النفخ" [٤]

ومن معاني "الفرج" الشق، وسوءة الإنسان، [٥] وذكر الفرآء أن معنى "الفرج" في الأية الكريمة السابقة جيب درعها وهو محتمل لأن الفرج معناه في اللغة كل فرجه بين شيئين، وموضع جيب درع المرأة مشقوق فهو فرج، وهذا أبلغ في الثناء عليها لأنها إذا منعت جيب درعها فهي للنفس أمنع، وكل خرق في الثوب يسمى جيباً ومنه قوله تعالى:{ **وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ** }. ق: 6".[٦]

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ج2، ص505–506؛ وانظر: أبوحيان، البحر المحيط، ج6، ص171.
(٢) من هذه الآراء أن جبريل نفخ في جيبها أو كمها أو في فمها. انظر: الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، م11، ج21، ص201–202؛ شلبي، حياة مريم، ص 182؛ أبوحيان،تفسير البحر المحيط، ج6، ص 171؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 5،ص2214؛ البغوي؛ معالم التنزيل، ج4، ص10؛ وابن كثير البداية والنهاية، ج1، ص59–60.
(٣) الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، م11،ج21، ص201–202
(٤) الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص304.
(٥) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (503هـ) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص419
(٦) الفراء، يحي بن زياد 207 هجري، معاني القرآن، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1983م، ج3، ص169؛ شلبي، محمود، حياة مريم، ص182.

ثالثا: مدة حمل مريم بالمسيح عليه السلام

ذكر القرآن الكريم في سورة مريم انتباذين لمريم، الأول: عند حصول الحمل في قوله تعالى: "**واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا**"مريم:16، والثاني: عند حصول الولادة في قوله تعالى: { **فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً** }مريم:22، أما الإنتباذ الأول فهو الانتباذ الذي نفخ فيه جبريل في فرج مريم فحصل به الحمل، ولم يرد نص صريح لا في القرآن ولا في السنة يبين مدة حمل السيدة مريم بالمسيح عليه السلام، وقد أتبع ذكر حادثة حوار جبريل مع مريم قوله تعالى:"**فحملته فانتبذت به مكانا قصيا، فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة**"مريم:22-23،

وقد اختلف المفسرون في بيان مدة الحمل بناء على تفسير هذا النص، فمنهم من جعل مدة الحمل مدة قصيرة محتجاً بأن الفاء الواردة في الآية الكريمة تفيد التعقيب، وكذلك قالوا كما أن أصل الحمل معجزة فإن مدة الحمل كانت معجزة ليست كسائر أبناء البشر. والذي يترجح ما ذهب إليه جمهور من العلماء من أن مدة الحمل مدة طبيعية مثل سائر النساء، وقالوا بأن التعقيب في الآية الكريمة لا يفيد الفور. (١)

وقد نقل ابن كثير في تفسيره أن جمهور المفسرين يرون أن مريم قد حملت بالمسيح تسعة أشهر. (٢) ويقول أبو حيان منتقدًا الأقوال التي ذكرت بأن مدة الحمل كانت بضع لحظات أو بضع ساعات بقوله:" وهذه أقوال مضطربة متناقضة كان ينبغي أن يضرب عنها صفحًا إلا أن المفسرين ذكروها في كتبهم وسودوا بها الورق".(٣)

قال ابن الجوزي: "اختلف العلماء في مقدار سن مريم يوم ولادتها ابنها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ولدت وهي بنت خمس عشرة سنة قاله وهب بن منبه والثاني:بنت اثنتي عشرة سنة قاله يزيد بن أسلم والثالث: بنت ثلاث عشرة سنة، قاله مقاتل". (٤) وهناك قول رابع: أنها حملت به وقد بلغت سبع عشرة سنة. (٥)

---

(١) ابن الجوزي،زاد المسير، ج 5، ص 218-219، وانظر: الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 506، والرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، م11،ج21،ص203.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص2214.

(٣) أبوحيان، البحر المحيط، ج6، ص171.

(٤) ابن الجوزي في زاد المسير، ج5، ص225

(٥) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج 1، ص63؛ وانظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 1، ص97.

وهناك قول خامس: أنه عشرين سنة[1]. وقول سادس: أنه كان عمرها عشر سنين.[2]
ولا يمككنا الترجيح بين هذه الأقوال المختلفة لعدم وجود دليل يرجح واحداً منها.

المطلب الثالث:المخاض و الولادة

لا شك أن مريم –عليها السلام– قد شعرت بالطمأنينة لبشارة الملائكة فهي المؤمنة بقدر الله سبحانه وتعالى، إلا أن مريم كأية امرأة من نساء البشر شعرت بآلام المخاض وعناءه، زادته آلامها النفسية لخوفها من ملامة قومها واتهامهم إياها. وسنعرض في هذا المطلب وصفاً لحال مريم عند المخاض والولادة والمواساة الإلهية لها عند ولادتها كما ورد في القرآن الكريم.

أولا: وصف حال مريم عند المخاض والولادة

وبعد أن حملت مريم –عليها السلام– بالمسيح ضاقت به ذرعاً وعرفت أن الناس سيتكلمون في حقّها فهربت به مسرعة إلى مكانٍ قصيٍ بعيداً عن قومها، وكانت قد شعرت بقرب ساعة الولادة فأجاءها الطلق إلى جذع نخلةٍ في العراء وهي وحيدة لا أم لها تساعدها وتصبّرها ولا قابلة تعالجها ولكن الله سبحانه وتعالى يسّر أمرها ومن كان الله معه كفاه.

قال تعالى:{ فَأَجَاءهَا[3] الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً[4]مَّنسِيّاً } مريم: 23.

تعرض الآية الكريمة صورة مريم وهي متعبة من آلام المخاض، فاضطرت إلى أن تلجأ إلى جذع النخلة لتعتمد عليه وتستريح أو لتستتر به عن أعين الناس. وقد كانت حالتها من الناحية الجسدية في تعب المخاض والولادة وحالتها النفسية، من حيث بعدها عن أهلها

---

(١) أبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص236.

(٢) النسفي،مدارك التنزيل، ج2، ص331؛ وانظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ج2، ص29

(٣) قال القرطبي: "أجاءها" اضطرها، وهو تعدية جاء بالهمز، يقال: جاء به وأجاءه إلى موضع كذا كما يقال ذهب به وأذهبه، قال زهير
وجار سار معتمداً إلينا أجاءته المخافة والرجاءُ. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، م6، ج11، ص 63.

(٤) النسي: من نسا الشيء نَسوَةً: تركه. يقال: نسا العمل و فلاناً– نسيا: ضرب نساه. فهو منسي والنسي ما نسي. وما يقل الاعتداد به. ويقال هو نسيٌ، قومه: لا يعد فيهم لحقارته، الزيات،أحمد وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ص927– 928.

وخوفها من اتهام قومها، أوصلتاها إلى درجة من الإحباط جعلتاها تتمنى، لو أنها لم تعش هذه اللحظات الأليمة. [١]

واختلف العلماء في المكان الذي تمت فيه الولادة، والذي يظهر أن اتجاه مريم حال مخاض الولادة "مكانًا قصيًا" في الانتباذ الثاني، يختلف عن اتجاهها في الانتباذ الأول إلى جهة الشرق "مكانًا شرقيًا" وأما المكان فلم يسمه القرآن الكريم بل ذكرت بعض معالمه من خلال سياق القصة، فذكر أكثر المفسرين أنه في بيت لحم وهو القول الراجح، وذكرالبعض الآخرأنه في مصر، وقال آخرون أنه في دمشق. ورجح ابن حجر العسقلاني مكان الولادة بأنه بيت لحم واستدل بالرواية التي رواها النسائي ولها شاهد من البيهقي، فقال: " والمشهور أنها ولدته ببيت لحم من بيت المقدس وأخرجه النسائي من حديث أنس مرفوعا بسند لا بأس به وله شاهد عند البيهقي من حديث شداد بن أوس وجاء عن وهب بن منبه أنها ولدته بمصر وجزم غيره بأنها ولدته ببيت لحم فخافت عليه فتوجهت به إلى مصر فنشأ بها حتى صار عمره اثنتي عشرة سنة"[٢].

وقال ابن كثير: "وقد تقدم في حديث الإسراء من رواية النسائي عن أنس –رضي الله عنه– والبهيقي عن شداد بن أوس– رضي الله عنه– أن ذلك ببيت لحم فالله أعلم. وهذا هو المشهور الذي تلقته الناس بعضهم عن بعض ولا يشك فيه النصارى أنه ببيت لحم، وتلقاه الناس وقد ورد به الحديث إن صح".[٣]

وذهب البعض إلى نفي أن تكون الولادة قد تمت في بيت لحم مستدلين بسياق الآيات الكريمة التي وصفت حال المخاض والولادة حيث أن طبيعة المكان من الناحية الجغرافية والمناخية تختلف عن طبيعة منطقة بيت لحم، فبيت لحم لا ينبت فيها النخل، كما تشير الايات

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 5، ص2215. الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص506؛ أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج 6، ص172؛ الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،م 11، ج21، ص204

(٢) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، ط 1، (تحقيق: علي البجاوي)، دار الجيل، بيروت، 1992م، ج4، ص467، والحديث رواه النسائي، أحمد بن شعيب ت 303هـ، سنن النسائي،ط2 ، (تحقيق: عبد الفتاح أبوغدة)، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب: ، 1986م، ج1، ص222، برقم:450.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص2215.

إلى أن مكان الولادة كان في البرية ولم يكن داخل مدينة، ومن ناحية أخرى فإن بيت لحم يصعب اعتبارها مكاناً قصيًا، لقربها من بيت المقدس. [١]

واختلف المفسرون في بيان السبب الذي ابتعدت من أجله مريم عند الولادة ومن هذه التفسيرات مايلي:

1. "إنها لمّا خافت ملامة الناس وأن يظنّ بها الشر ارتمت به إلى مكانٍ قصيٍ حياءً وفراراً.
2. ومن هذه الأسباب أن الله أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك لئلا يقتلوا الوليد.
3. أنها استحيت من زكريا فذهبت إلى مكان بعيد لا يعلم بها". [٢]

والذي يظهر أن القول الأول هو الأصح، لأن ما يفهم من الآيات الكريمة من سورة مريم في قوله تعالى: {فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماًفَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً }،مريم: 26 أن مريم قد حزنت واضطربت نفسيتها عند المخاض، وقد ناداها الملاك أو – ابنها في رأي آخر– ليواسيها، بأنه إذا رأت أحداً من البشر بأن لا تكلمه لتدافع عن نفسها، حيث إن الله سبحانه وتعالى سيبرؤها ويدافع عنها، فلا تخاف من ملامة الناس، ومن هنا يمكن أن يستنتج بأن مريم ابتعدت عن الناس خوفاً من ملامة الناس، وعادت إلى قومها بعد أن اطمأنت لما رأته من الآيات.

---

(١) العاملي، الكتب السماوية والعلم، ص579–580 ، قال ابن الجوزي في زاد المسير، ج5، ص219، عن ابن عباس أنها مشت ستة أميال، وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم، ج 5، ص2215، ثمانية أميال.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج5، ص2215؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج1، ص350؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م 6، ج11، ص 72. الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، م11، ج21، ص202– 203، السيوطي،الدر المنثور، ج2، ص44، ابن إسحاق، المبتدأ في قصص الأنبياء، ص 353–354؛ الألوسي، روح المعاني، ج3، ص219؛ ابن الأثير، أبي الحسن، علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني،ت 630هـ، الكامل في التاريخ، ط 1، (تحقيق: عبد الله القاضي)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ج1، ص237– 238؛ الخطيب البغدادي، تاريخ الأنبياء، ص 318– 319.

ثانيا: المواساة الإلهية لمريم عند ولادتها

بعد أن عرضنا كيف أن مريم قد حزنت لما وقع لها من آلام جسدية ونفسية بسبب الولادة، وكيف أنها وصلت إلى درجة من الإحباط إذ تمنت لو أنها لم تعش هذه اللحظات. يعرض لنا القرآن الكريم مواساة الله سبحانه وتعالى لمريم بعد هذه المعاناة، في قوله تعالى:

{ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً } مريم: 24.

وقد اختلف المفسرون في تحديد من هو المنادي الذي وجه خطابه لمريم يواسيها ويعلّمها ماذا تصنع، فذهب بعض المفسرين إلى أنّه عيسى عليه السلام، وذهب البعض الآخر إلى القول بأنّه جبريل عليه السلام. (١) وأما كلمة "من" ففي قراءتها وجهان، الأول: وهو الفتح، ويكون المنادي هنا عيسى عليه السلام، والثاني: قراءة بكسر الميم ويكون المنادي هنا جبريل عليه السلام. (٢) وقد رجح الرازي كون المنادي هو عيسى عليه السلام مستدلا بمايلي:

1. "أن قوله "فناداها من تحتها" بفتح الميم إنما يستعمل إذا كان قد علم قبل ذلك أن تحتها أحداً والذي علم كونه حاصلاً تحتها هو عيسى -عليه السلام- فوجب حمل اللفظ عليه وأما القراءة بكسر الميم فهي لا تقتضي كون المنادي جبريل -عليه السلام.
2. أن ذلك الموضع المقصود (موضع اللوث والنظر إلى العورة) لا يليق بالملائكة.
3. أن قوله فناداها فعل ولا بد وان يكون فاعله قد تقدم ذكره ولقد تقدم قبل هذه الآية ذكر جبريل وذكر عيسى -عليهما السلام- إلا أن ذكر عيسى أقرب لقوله تعالى: "فحملته فانتبذت به" والضمير ههنا عائد إلى المسيح فكان حمله عليه أولى.
4. أن عيسى -عليه السلام- لو لم يكن كلمها لما علمت أنه ينطق، فما كانت تشير إلى عيسى عليه السلام بالكلام". (٣)

والراجح أن المقصود بقوله تعالى: "من تحتها" هو الملك وقد رجح هذا القرطبي وذكر أنه قول ابن عباس وعلقمة والضحاك وقتادة، (١) وقال الرازي أن التحتية هنا تحمل على الوجهين التاليين:

---

(١) القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، م 6، ج11، ص 64، وانظر: أبوحيان،تفسير البحر المحيط، ج 6، ص173.

(٢) الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، م11،ج 21، ص205-206

(٣) الرازي، المرجع السابق نفسه، م11،ج 21، ص205-206

الأول: "أن يكونا معاً في مكان مستو ويكون هناك مبدأ معين كتلك النخلة ها هنا فكل من كان أقرب منها كان فوق وكل من كل أبعد منها كان تحت.

والثاني: أن يكون موضع أحدهما أعلى من موضع الآخر، فيكون صاحب العلو فوق صاحب السفل". (٢)

واختلف العلماء أيضاً في تفسير "السريّ" في قوله تعالى { **قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً** } مريم: 24، فقال الفخر الرازي: "اتفق المفسرون إلا الحسن وعبدالرحمن بن زيد أن السريّ هو النهر والجدول سمي بذلك لأن الماء يسري فيه وأما الحسن وابن زيد فجعلا السريّ عيسى والسريّ هو النبيل الجليل". (٣)

ففي المعنى الأول قال الطبري: "والسري في لغة العرب هو النهر الصغير قال لبيد بن ربيعة: فتوسطا عرض السري وَصَدّعا مسجورةً متجاوراً قُلاّمها"(٤).

وقال الماوردي السري: عربي مشتق من السراية فسمّي السري لأنه يجري فيه ومنه قول الشاعر: سهل الخليقة ماجد ذو نائل مثل السريّ تمده الأنهار(٥).

وفي المعنى الثاني: ورد أن السريّ هو الرجل الذي له شرف ومروءة وفيه قول الشاعر: لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا(٦)

والذي يترجح من هذين المعنيين ما ذهب إليه أغلب المفسرون كما ذكر الفخر الرازي سابقاً من أنّ معنى السريّ هنا هو جدول الماء، وهذا المعنى يتناسب مع سياق الآيات الكريمة، حيث أنّ الله سبحانه وتعالى قد يسر لمريم شرب الماء عن طريق هذا الجدول وبعدها طلب منها أن تهز جذع النخلة وأن تأكل وتشرب، لتأكل من الرطب وتشرب من الماء (السري).

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م6، ج11، ص64

(٢) الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،م11،ج 21، ص205-206

(٣) الرازي، المرجع السابق نفسه،م11، ج21، ص206.

(٤) الطبري، محمد بن جر ير، ت 310هـ، جامع البيان في تفسير القرآن، ط 1، (هذبه: صلاح، عبد الفتاح الخالدي)، الدار الشامية، بيروت، 1997م، ج5، ص230؛ وانظر: الزجاج، إبراهيم ابن السري، ت311هـ، معاني القرآن وإعرابه، ط 1، (تحقيق: عبد الجليل عبده)، عالم الكتب، بيروت، 1988م، ج3، ص325، والزمخشري، الكشاف، ج2، ص507.

(٥) الماوردي، النكت والعيون، ج3، ص366.

(٦) لسان العرب، ج14، ص377-378.

قال القرطبي: أمرها بهز الجذع اليابس لترى آية أخرى في إحياء موات الجذع، والباء في قوله "بجذع" زائدة مؤكدة ، كما يقال خذ بالزمام. [1].

قال تعالى:{ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً } مريم: 25.

ومن أجل أن تقوى مريم على مجابهة تعب الولادة، خاطبها ابنها –أو جبريل في الوجه الآخر لتفسير الآية– بأن تأخذ بالأسباب وتهز جذع النخلة –الذي قيل إنه كان يابسا– لتتساقط رطبا، فتأكل منه وتشرب من الماء، لترى رعاية الله عز وجل لها ويذهب عنها حزنها. [2]

يقول الشعراوي في تفسير هذه الآية: "إنّ هز جذع النخلة شيء صعب لأنك لو أتيت بأقوى رجل في العالم ليمسك نخلة من جذعها ويهزها فلن تسقط عليه رطبة واحدة من رطبها لأنه جذع ثابت ولكن الحق سبحانه أراد أن يجمع بين شيئين هما: طلب الأسباب مع الاعتماد على المسبب، طلب الأسباب هو هز جذع النخلة مع أنها في حالة مخاض ومتعبة ومتألمة وجاءت إلى النخلة لتستتر إليها فكيف تهزها وهي في هذه الحالة من الضعف والألم. مع أن أقوى الرجال لا يقدر على ذلك؟! قالوا: لأن الله تعالى يريد أن يأخذ الإنسان دائماً بالأسباب فمهما كان الإنسان ضعيفاً فعليه أن يبذل غاية جهده في الأخذ بالأسباب، ثم يعتمد على رب الأسباب".[3] وقال الشنقيطي في تفسيرها "والآية تدل على أن عينها إنما تقرّ في ذلك الوقت بالأمور الخارقة للعادة لأنها هي التي تبين براءتها مما اتهموها به فوجود هذه الخوارق من تفجير النهر وإنبات الرطب وكلام المولود تطمئن إليها نفسها وتزول به عنها الريبة، وبذلك يكون قرة عين لها لأن مجرد الأكل والشرب مع بقاء التهمة التي تمنت بسببها أن تكون ماتت من قبل وكانت نسياً منسّيًا لم يكن قرة لعينها في ذلك الوقت كما هو ظاهر".[4]

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، م6، ج11، ص 64.

(2) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج 6، ص173؛ وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م 6، ج11، ص65. قال عبدالوهاب النجار: وإني لا أستبعد ذلك من قدرة الله تعالى والمعجزات ثابتة ولكن لا ينبغ لنا الاسراف فيها بدون برهان وما ورد من أقوال زائدة عما ورد في القرآن وفي غيره من الكتب التي تعرضت لهذا الموضوع فلا بد من التحفظ في قبول مثل هذه الأشياء ونقول: إنها كانت نخلة مثمرة. النجار، عبدالوهاب، قصص الأنبياء، دار النصر، بيروت،ص 381.

(3) الشعراوي، مريم والمسيح، ص108– 109.

(4) الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص315.

المطلب الرابع: ملاقاة مريم لقومها بعد ولادة المسيح

بعد أن وضعت مريم طفلها ورأت من الآيات ما شرح الله به صدرها وقرّت به عينها من جريان الماء بالقرب منها وتساقط الرطب في حجرها، ونطق وليدها – عند من قال الذي ناداها من تحتها هو عيسى عليه السلام- كان هنالك همٌّ آخر تخشاه مريم وتفكر فيه ألا وهو ملاقاة قومها ومعها طفلها. وهو موقف لا شك أنه في غاية الصعوبة ماذا ستقول لهم وكيف ستواجه اتهامهم وبأي حجة ستقنعهم؟ ولكن الله سبحانه وتعالى كفاها ذلك أيضاً: { **فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً** }،مريم: 26 قال القرطبي: "والذي تتابعت به الأخبار عن أهل الحديث ورواة اللغة أن الصوم هو الصمت لأن الصوم إمساك والصمت إمساك عن الكلام، [١] وقيل هو الصوم المعروف وكان يلزمهم الصمت يوم الصوم إلا بالإشارة" . وقال: "وفي هذه الآية إنّ الله أمرها على لسان جبريل –عليه السلام- أو ابنها على الخلاف المتقدم بأن تمسك عن مخاطبة البشر، وتحيل على ابنها في ذلك ليرتفع عنها خجلها وتتبين الآية فيقوم عذرها وظاهر الآية أنها أبيح لها أن تقول هذه الألفاظ التي في الآية وهو قول الجمهور وقالت فرقة: معنى قولي بالإشارة لا بالكلام"[٢] قال أبو حيان:"ولا تناقض لأن معنى " فلن أكلم اليوم إنسياً " مريم:26، بعد قولي هذا وبين الشرط وجزائه جملة محذوفة يدل عليها المعنى، أي فإما ترينَّ من البشر أحداً وسألك أو حاولك الكلام فقولي". [٣] وقال الزمخشري: "أمرها الله بأن تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين: أحدهما: أن عيسى –عليه السلام- يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها. والثاني: كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه أن السكوت عن السفيه واجب، ومن أذل الناس سفيهٌ لم يجد مسافهاً".[٤]

قال الشنقيطي: "أنها لو تكلمت لأفسدت نذرها إذ الآية صريحة في أن الكلام يخل بنذرها"[٥]. وهذا معنى آخر تحتمله الآية

---

(١) انظر: لسان العرب، ج12، ص351.
(٢) القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، م6، ج11، ص 66-67
(٣) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج6، ص175-176.
(٤) الزمخشري، الكشاف، ج2، ص507-508؛ وانظر: ابن الجوزي،زاد المسير، ج5، ص224-225.
(٥) الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص335.

واطمأنت مريم وزال عنها الخوف والهم وتوجهت به إلى قومها وهي واثقة بان الله لن يخزيها ولن يضيعها قال الشعراوي: "فكون مريم تأتي بوليدها إلى قومها فهذه دلالة على أنها واثقة أن الحجة ستوافيها بالوليد وإلا فكان المفروض أن تخجل وأن تتوارى من القوم حتى لا يروها ومعها الوليد لأنها واثقة من نصر الله ومعونته" [١] وما أن وصلتهم حتى بدأت تنهال عليها الأسئلة والاتهامات والشتائم قال تعالى { **فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً ، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً** } مريم27-28 وقال تعالى يصور موقفهم في سورة أخرى { **وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً** } النساء:156.

قال أبو حيان قوله تعالى: "فأتت به": "قيل إتيانها كان من ذاتها وقيل: طهرت من النفاس بعد أربعين يوماً[٢]، وقيل أرسلوا إليها لتحضري إلينا بولدك، وكان الشيطان قد أخبر قومها بولادتها[٣]. وفي الكلام حذف أي فلما رأوها وابنها قالوا. { **يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً ، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً** }روي أنها لما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك. وقيل: هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها "فأشارت إليه" أي هو الذي يجيبكم إذا ناطقتموه، وقيل: كان المستنطق لعيسى زكريا عليه السلام ويروى أنهم لما أشارت إلى الطفل قالوا: استخفافها بنا أشد علينا من زناها ثم قالوا لها على جهة الإنكار والتهكم بها: أي أن من كان في المهد يربى لا يكلم وإنما أشارت إليه لما تقدم لها من وعده أنه يجيبهم عنها ويغنيها عن الكلام".[٤]

وفي قوله تعالى:{ **قالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً** } مريم:27.

يظهر أن قوم مريم حملوا ولادة مريم محمل السوء والتعجب، حيث أن كلمة "فريّا" تأتي بمعنى الخروج عن المعتاد بالأمور العظيمة التي ينكرها الناس، كما في قوله تعالى:

---

(١) الشعراوي، مريم والمسيح، ص 116.
(٢) انظر: ابن الجوزي،زاد المسير، ج5، ص229؛ والنسفي،مدارك التنزيل، ج2، ص334.
(٣) يبدو أن هذا الكلام ليس عليه دليل وهو مخالف لنص الآية الكريمة.
(٤) أبو حيان: تفسير البحر المحيط، ج6، ص 176- 177.

{ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ } الممتحنة:12. [١]

والذي يفهم من الآية الكريمة في قوله تعالى:{ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً } مريم:28 أن استغراب قوم مريم من ولادتها وحملهم إياها محمل السوء، لم يكن نتيجة حقد مسبق أو حبًا في الإيذاء، لأنه وفق المقاييس البشرية لم يكن هناك سوى هذا التفسير للإجابة عن هذه الحادثة، والدليل على أن مريم كان لها مكانة الاحترام والتقدير تذكيرها بأن والديها لم يعرف عنهما السوء، وكذلك فإن هارون على القول الذي ترجح هو أحد أقاربها الصالحين، فيستغرب على فتاة من هذه العائلة الكريمة أن تفعل مثل هذا.

وبما أن هذه الحادثة أمر خارق للعادة فليس بوسع مريم أن تشرحه لقومها، فلا بد من أمر خارق للعادة كذلك يبرؤها، ويوصل لقومها فكرة أن قضية الحمل والولادة بهذا المولود أمر معجز، فأشارت إلى هذا الوليد ليشرح عن نفسه "فأشارت إليه" مريم:29.

قال الشوكاني في بيان سبب إشارتها للمسيح : " وإنما اكتفت بالإشارة ولم تأمره بالنطق، لأنها نذرت للرحمن صوماً عن الكلام كما تقدم، هذا على تقدير أنها كانت إذ ذاك في أيام نذرها، وعلى تقدير أنها قد خرجت من أيام نذرها فيمكن أن يقال: إن اقتصارها على الإشارة للمبالغة في إظهار الآية العظيمة، وأن هذا المولود يفهم الإشارة ويقدر على العبارة".[٢]

أما جواب قومها فكان الاستغراب فكما استغربوا من ولادة مريم دون زواجها، هاهم كذلك يستغربون من إشارتها إليه ليتكلم وهو ما يزال رضيعا،{ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً } مريم:29.

{ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً } مريم:30

فجاء دور هذا الرضيع ليتكلم، فالآن لا مجال لقومها لأن يستغربوا من إشارتها إليه ولا مجال لهم لأن يستغربوا من كيفية ولادته كذلك.

قال الرازي: قوله "إني عبد الله" فيه فوائد:

---

(١) الفراء، يحي بن زياد ت 207 هـ، معاني القرآن، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1983م، ج2، ص166؛ وانظر: الشوكاني، فتح القدير ج3، ص405.
(٢) الشوكاني، فتح القدير ، ج3، ص406.

الفائدة الأولى: "أن الكلام منه في ذلك الوقت كان سبباً للوهم الذي ذهبت إليه النصارى فلا جرم أول ما تكلم إنما تكلم بما يرفع ذلك الوهم فقال إني عبد الله وكان ذلك الكلام وإن كان موهماً من حيث إنه صدر عنه في تلك الحالة ولكن ذلك الوهم يزول ولا يبقى حيث أنه تنصيص على العبودية .

الفائدة الثانية: أنه لما أقر بالعبودية فإن كان صادقاً في مقاله فقد حصل الغرض وإن كان كاذباً لم تكن القوة قوة إلهية بل قوة شيطانية فعلى التقديرين يبطل كونه إلهاً.

الفائدة الثالثة: إن الذي اشتدت الحاجة إليه في ذلك الوقت إنما هو نفي تهمة الزنا عن مريم –عليها السلام– ثم إن عيسى –عليه السلام– لم ينص على ذلك وإنما نص على إثبات عبوديته نفسه كأنه جعل إزالة التهمة عن الله أولى من إزالة التهمة عن الأم فلهذا أول ما تكلم إنما تكلم بها.

الفائدة الرابعة: وهي أن التكلم بإزالة هذه التهمة عن الله يفيد إزالة التهمة عن الأم لأن الله سبحانه لا يخص الفاجرة بولد في هذه الدرجة العالية والمرتبة العظمية، وأما التكلم بإزالة التهمة عن الأم لا يفيد إزالة التهمة عن الله تعالى فكان الاشتغال بذلك أولى".[١]

وفي تفسير قوله تعالى:{ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً }قال أبو حيان: "وظاهر قوله "وجعلني نبياً" يحتمل قولين: أولاً: أنه تعالى نبأه حال طفوليته، أكمل الله عقله واستنبأه طفلاً"، وثانياً قيل: إن ذلك سبق في قضائه وسابق حكمه ويحتمل أن يجعل الآتي لتحققه كأنه قد وجد"[٢]. وقد رجح القرطبي القول الثاني وقال عن الأول أنه في غاية الضعف [٣].

و تفسير قوله تعالى: { وَجَعَلَنِي نَبِيّاً } ، قال مجاهد: نفاعاً، وقال سفيان: معلم خير وقيل: آمر بالمعروف ناهياً عن المنكر، وعن الضحاك، قضاء للحوائج. [٤]

وقوله تعالى:{ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ } مريم: 31، أي لأؤديهما إذا أدركني التكليف وأمكنني أداؤهما "ما دمت حياً" أي دوام حياتي "وبراً بوالدتي" ولم يقل بوالدي لأنه مولود من غير أب، وقوله تعالى "ولم يجعلني جباراً" أي متعظماً متكبراً،يقتل ويضرب على الغضب وقيل: الجبار الذي لا يرى لأحدٍ عليه حقاً قط، "شقياً" أي خائباً من الخير و عاصياً لربه. [٥]

---

(١) الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،م 11، ج 21، ص209؛ وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م6، ج11، ص69.
(٢) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج6، ص177؛ وانظر: الزمخشري، الكشاف، ج2، ص508.
(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م6، ج11، ص69–70.
(٤) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج6، ص177
(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م6، ج11، ص 70.

المبحث الثالث

وصف السيدة مريم عند المسلمين ومكانتها الدينية

المطلب الأول: اصطفاء آل عمران

سميت ثالث سورة في القرآن الكريم بسورة آل عمران تكريمًا لهذا البيت وإعلاءً لشأنه، و ورد في هذه السورة اصطفاء الله سبحانه وتعالى لآل عمران في قوله تعالى: { إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ }آل عمرآن: 33.

وقد اقتضت حكمته تعالى أن يختار بعض السلالات النقية الطاهرة من بين سائر السلالات البشرية قال تعالى:{ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } القصص 68 والمراد من الاختيار: الاجتباء والاصطفاء، فهو اختيار بعد الخلق. [١]

وكان لآل عمران أهل مريم عليهم السلام الحظ الأوفر من ذلك الاختيار حيث قال سبحانه وتعالى: { إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ } آل عمران33 قال القرطبي: "اصطفى: اختار والتقدير، إنّ الله اصطفى دينهم وهو دين الإسلام فحذف المضاف. وقال الزجاج: اختارهم للنبوة على عالمي زمانهم".[٢]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "قالت اليهود نحن من أبناء إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونحن على دينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية يعني إن الله أصطفى هؤلاء بالإسلام وأنتم على غير دين الإسلام".[٣]

([١]) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، ت 751هـ، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط27، (تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط)،مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994م، ج1،ص39

([٢]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآم، م 2، ج4، ص41؛ وانظر: السيوطي،الدر المنثور، ج 2، ص32؛ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص399.

([٣]) البغوي، معالم التنزيل، ص226.

واختلف المفسرون في تحديد من هو عمران المقصود في هذه الآية فذهب بعضهم إلى القول بأنه عمران أبو موسى وهارون، وذهب آخرون إلى القول بأنه عمران أبو مريم أم عيسى عليهما السلام، ويرجح بأن عمران هو الثاني لأن الله سبحانه وتعالى أتبع بعد ذكر اصطفاء آل عمران قصة نذر أم مريم وكفالة زكريا[١].

قال الألوسي في تفسير الآية: "وبدأ بآدم –عليه السلام– لأنه أول النوع، وثنى بنوح عليه السلام لأنه آدم الأصغر والأب الثاني وليس أحد على وجه البسيطة إلا من نسله لقوله سبحانه{ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ} الصافات77. وذكر آل إبراهيم لترغيب المعترفين باصطفائهم في الإيمان بنبوة واسطة قلادتهم واستمالتهم نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من زمرتهم وذكر آل عمران مع اندراجهم في الآل الأول لإظهار مزيد الاعتناء بعيسى عليه الصلاة والسلام لكمال رسوخ الاختلاف في شأنه وهذا هو الداعي لإضافة الآل في الأخيرين دون الأولين"[٢].

وقوله تعالى: { ذرِّيَّةبَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } آل عمران34

قال الراغب: "الذرية يقال للواحد والجمع والأصل والنسل كقوله تعالى:"حملنا ذريتهم " يس:41 أي آباءهم، ويقال للنساء الذراري. [٣]

ذكر الماوردي في تفسير الذرية الواردة في الآية الكريمة قولين:

أحدهما: "أنهم صاروا ذريةً بالتناصر (في النية والعمل والإخلاص) والتوحيد لا بالنسب كما قال تعالى: { الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ } التوبة:67 يعني في الاجتماع على الضلال وهذا قول الحسن وقتادة.

والثاني: أنهم ذرية في التناسل والنسب، إذ جميعهم من ذرية آدم ثم من ذرية نوح ثم من ذرية إبراهيم وهذا قول بعض المتأخرين".[٤]

---

(١) قال القنوجي: والظاهر الثاني بدليل القصة الآتية في عيسى ومريم وبين العمرانين من الزمن ألف وثمانمائة سنة. القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن،ج 2، ص221؛ الألوسي، روح المعاني، ج3، ص؛ 175.

(٢) الألوسي، روح المعاني، ج3، ص174

(٣) الراغب، الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، ت 502هـ، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت،1970م، ص178؛ أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج2، ص454

(٤) الماوردي، النكت والعيون، ج1، ص386؛ قال القرطبي في القول الثاني هذا أضعفها، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، م2 ج4، ص42. على حين رجحه الألوسي، واحتج بقول الراغب السابق. الألوسي، روح المعاني، ج3، ص176- 177.

ويمكن الجمع بين هذين الرأيين باعتبار أن المقصود بمعنى "الذرية" في الآية أن الخلف أصبحوا ذرية لسلفهم من ناحية النسب والإيمان، ويخرج من كان من ذريتهم من غير المؤمنين من أن يكون منسوباً إليهم.

المطلب الثاني اصطفاء مريم عليها السلام

نشأت مريم العذراء -عليها السلام- نشأةً صالحةً في بيتٍ عُرف أهله بالصلاح والعفة والطهر. وكيف لا تنشأ كذلك وهي من سلالة الأنبياء والصالحين ترعرعت في بيت الله وفي كنف نبي من أنبياء الله، ترعاها عين الله التي لا تنام.

وكانت مريم تجتهد بالعبادة في محرابها حتى أصبحت مضرب المثل في بني إسرائيل لكثرة عبادتها وخشوعها. ولقد كانت تلك النشأة علامة صادقة على اختيار الله لمريم لأمر عظيم قال تعالى مبيناً ذلك في محكم كتابه { **وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ** } آل عمران:42.

والاصطفاء هنا هو أن الله سبحانه وتعالى قد اختار مريم عليها السلام من بين الناس ليعطيها ميزات لا يمتلكها غيرها من البشر. [١] ذكرت الآية الكريمة السابقة اصطفائي ن لمريم، الأول اصطفاء مطلق، والثاني اصطفاء على نساء العالمين.

ويذكر الرازي أوجه اصطفاء مريم في الاصطفاء الأول مايلي:

1. أن الله سبحانه وتعالى قبل تحريرها مع أنها كانت أنثى، ولم يحصل هذا المعنى لغيرها من الإناث.
2. أنه تعالى فرّغها لعبادته، وخصّها في هذا المعنى بأنواع اللطف والهداية والعصمة.
3. أنه كفاها أمر معيشتها فكان يأتيها رزقها من عند الله تعالى على ما قال الله تعالى { **أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ** }آل عمران:.37

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م 2، ج4، ص41؛ وانظر: السيوطي،الدر المنثور، ج 2، ص32؛ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص399.

4. أنه تعالى أسمعها كلام الملائكة شفاهاً. ولم يتفق ذلك لأنثى غيرها، فهذا هو المراد من الاصطفاء الأول.

5. إن أمها لما وضعتها ما غذتها طرفة عين بل ألقتها إلى زكريا وكان رزقها يأتيها من الجنة". [١]وهذا القول يصعب قبوله لأنه من الصعب أن تترك رضيعة تحتاج إلى العناية بهذا الشكل، ولا دليل عليه.

وأما الاصطفاء الثاني الذي اصطفاها به الله تعالى على نساء العالمين: أنه تعالى وهب لها عيسى -عليه السلام- من غير أب وأنطق عيسى حال انفصاله منها حتى شهد بما يدل على براءتها عن التهمة وجعلها وابنها آيةً للعالمين. [٢]

وأما التطهير فقد ذكر الرازي فيه وجوها هي:

"أحدها: أنه تعالى طهرها عن الكفر والمعصية فهو كقوله تعالى في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم{**وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**} الأحزاب:33، وثانيها: أنه تعالى طهرها عن مسيس الرجال. وثالثها: طهرها عن الحيض. قالوا: كانت مريم لا تحيض و رابعها: وطهرك من الأفعال الذميمة والعادات القبيحة. وخامسها: وطهرك عن مقالة اليهود وتهمتهم وكذبهم". [٣]

وإذا ما استثنينا القول الثالث الذي لايؤيده دليل، يظهر أن باقي هذه الأوجه تدور حول تطهير السيدة مريم من كل سوء وشر، فهي سليمة من كل شر ومعصية فيمكن قبول هذه الأوجه.

المطلب الثالث: فضائل مريم وأوصافها من الكتاب والسنة

سنعرض في هذا المطلب فضائل السيدة مريم والأوصاف التي نعتت بها في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، لبيان المكانة الكريمة التي احتلتها في الإسلام.

---

(١) الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،م3، ج8، ص 217- 218.
(٢) الرازي، المرجع السابق نفسه،م 3، ج8، ص 217- 218. وانظر: القشيري، لطائف الإشارات، ج 1، ص148، والزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص410.
(٣) الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،م3، ج8، ص 217- 218.

أولا: فضائل مريم وأوصافها في القرآن الكريم

قبل أن نذكر أوصاف مريم وفضائلها لا بد أن يشار إلى أن القرآن الكريم لم يذكر اسم امرأة قط مصرحاً به إلا مريم -عليها السلام- مع أنه تحدث عن كثير من النساء ابتداءً من حواء أم البشرية التي خلقها الله من ضلع آدم وأسكنها الجنة وأنزلها إلى الأرض ثم تاب عليها وغيرها من النساء كامرأة نوح وامرأة لوط وامرأة إبراهيم وامرأة عمران، وامرأة العزيز وامرأة فرعون وملكة سبأ وابنتي الشيخ في مدين. فالقرآن الكريم يذكر اسم العذراء الخاص "مريم" دائماً حتى بلغ ذلك أربعة وثلاثين مرة منثورة في سورة "البقرة" و "آل عمران" "النساء" و "المائدة" و "الأنبياء" و "المؤمنون" و "التحريم" بل إن باسمها سورة خاصة هي سورة "مريم".(١)

يقول جار الله الخطيب: "والسبب في عدم ذكر أسمائهن أنه لا طائل من ذكر الأسماء هنا لأن الهدف يكمن خلف الأحداث وليس خلف الشخصيات أما بالنسبة لمريم فالأمر مختلف فقد كرر القرآن اسمها والهدف من ذكره تأكيد أن عيسى ليس ابناً لله كما قالت النصارى وليثبت أيضاً أنه ولد بلا أب كما خلق آدم بلا أم ولا أب . فتكرير اسم مريم مصرحاً به ينطوي تحته حكم كثيرة وعبر جمّة وآيات عظيمة وهذه الأمور تتطلب بروز الاسم فبرز مصرحاً به".(٢)

وبنص القرآن الكريم جعل الله سبحانه وتعالى مريم مع أختها آسية امرأة فرعون نموذجاً أمثل لكل المؤمنين، وذلك لما اتصفتا به من صفات العفة والطهر والكمال { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ{11} وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} سورة التحريم: 11-12.

---

(١) الخطيب، جارالله بن سليمان، قصص القرآن، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1992م، ص 12-13؛ وانظر: الحجار، محمد، من قصص التنزيل، ط 1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1999م، ص 505- 506؛ الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص204

(٢) الخطيب، جار الله بن سليمان، قصص القرآن، ص 12-13؛ وانظر: الحجار، من قصص التنزيل، ص 505- 506؛ الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص204

و من خلال استقراء آيات القرآن الكريم، تظهر فضائل السيدة مريم في قبولها من قبل الله عز وجل عابدةً له مستجيبًا لدعاء أمها، ووصف تربيتها بالتربية الإيمانية الطيبة. { فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً }آل عمران: 37. وهي التي كان يأتيها رزقها من الله عز وجل { فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } آل عمران:37، وهي التي خاطبتها الملائكة ، { وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ } آل عمران:42 ومصطفاة { إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ } آل عمران: 43، وبمواساة الله تعالى لها عند ولادتها بالمعجزات { فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ، وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً }مريم: 24– 25، وببيان صدقها ورد الاتهام عنها عند سؤال قومها، { يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً {28} فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً {29} قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً } مريم: 28–30، ووصفها بأنها مطهرة { وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ} آل عمران:42، وقانتة { وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ } التحريم: 12، وساجدة وراكعة { يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ } آل عمران: 43، ومحصنة { وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ } التحريم: 12، وآية { وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ }الأنبياء:91، وأم وصدّيقة { مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ }المائدة: 75، ووالدة يبر بها ابنها المسيح { وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً } مريم: 32.

ثانيا: فضائلها وأوصافها في السنة النبوية

ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم مجموعة من الأحاديث التي تدور حول موضوع الثناء على السيدة مريم العذراء ووصفها بالأوصاف اللائقة. ومن هذه الأحاديث ما دل على أنها سيدة نساء العالمين أو سيدة نساء أهل الجنة مع آسية امرأة فرعون و خديجة بنت خويلد و فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم[١].

روى الترمذي عن هاشم بن هاشم ، أن عبدالله بن وهب أخبره أن أم سلمة أخبرته : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا فاطمة عام الفتح ، فناجاها فبكت ، ثم حدثها فضحكت ، قالت : فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها عن بكائها وضحكها ، قالت: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يموت فبكيت ، ثم أخبرني أني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران فضحكت " قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه[٢].

وروى أيضًا" عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسيا امرأة فرعون" قال الترمذي : هذا حديث صحيح [٣].

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد"[٤]. وورد عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قوله : "حسبك من نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد".[٥]

---

(١) ابن كثير،إسماعيل بن عمر، قصص الأنبياء، (تحقيق: زياد السروجي)، دار صادر، بيروت، ص 419- 423.

(٢) الترمذي ، محمد بن عيسى ، (279) هـــ ،سنن الترمذي ، ط 2 ، دار الفكر، بيروت ، 1983م . أبواب المناقب ، في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حديث رقم 3985 .

(٣) الترمذي ، سنن الترمذي ، أبواب المناقب ، في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حديث رقم 3981 .

(٤) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب "وإذ قالت الملائكة يا مريم " الى قوله " .....لديهم اذ يختصمون " آل عمران 42-44 ، حديث رقم 3432 ، ورواه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين ، حديث رقم 2430 ، ورواه أحمد في المسند ، كتاب فضائل الأنبياء، حديث رقم 640 ، ورواه الترمذي في السنن ، أبواب المناقب ، في فضل خديجة رضي الله عنها ، حديث رقم 3980، ورواه عن أنس وابن عباس . قال : هذا حديث حسن صحيح

(٥) رواه الحاكم في المستدرك ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر مناقب فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم 4806 ورواه عن الزهري عن أنس بن مالك حديث رقم 4807 .

وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يصف به مريم وآسية امرأة فرعون وعائشة -رضي الله عنها- بأنهن اتصفن بصفات الفضل والكمال من النساء.

فعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام" [١]وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أفضل نساء العالمين خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ، واسية بنت مزاحم امرأة فرعون " قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه بهذا اللفظ ووافقه الذهبي في التلخيص[٢].

المطلب الرابع: الخلاف حول نبوة مريم عليها السلام

بناءً على ما تقدم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في الاصطفاء والاجتباء وذكر الصفات والكرامات اختلف العلماء في مريم -عليها السلام- فقال بعضهم بنبوتها، وعلى رأس هؤلاء ابن حزم والقرطبي وغيرهم، وقال آخرون وهم الجمهور بعدم نبوتها وإنما هي صديقة وولية من الأولياء.

وقد أفرد ابن حزم في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل" فصلاً بعنوان "نبوة المرأة" قال فيه:"هذا فصل لا نعلمه حدث التنازع العظيم فيه إلا عندنا بقرطبة في زماننا فإن طائفة ذهبت إلى إبطال كون النبوة في النساء جملة وبدعت من قال ذلك".[٣]

ويمكن تلخيص الأدلة التي استدل بها ابن حزم في إثبات نبوة مريم بمايلي:

1. "احتج بالمعنى اللغوي للنبوة وقال بأن هذه اللفظة مأخوذة من الإنباء وهو الإعلام، فمن أعلمه الله عز وجل بما يكون قبل أن يكون، أو أوحى إليه منبئا له بأمر ما فهو نبي بلا

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها حديث رقم 3769 وراه في كتاب الأطعمة، باب الثريد، حديث رقم 5418، ورواه بألفاظ أخرى في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى "وإذ قالت الملائكة يا مريم..... إلى قوله فإنما يقول له كن فيكون" آل عمران 45-47، حديث رقم 3433، وفي باب قول الله تعالى: "وضرب الله مثلاً...." إلى قوله "وكانت من القانتين" التحريم 11-12. حديث رقم 3411، ورواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين حديث رقم 2431.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ، ذكر نبي الله وروحه عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليه ، حديث رقم 4212 .

(٣) ابن حزم، علي بن أحمد، ت 456هـ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (تحقيق: محمد إبراهيم نصر و عبدالرحمن عميرة)، دار الجيل، بيروت، 1985م، ج5، ص119- 121

شك وليس هذا من باب الإلهام الذي هو طبيعة كقول الله تعالى :{ **وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ**} النحل: 68، ولا من باب الظن والتوهم الذي لا يقطع بحقيقته إلا مجنون ولا من باب الكهانة، بل الوحي الذي هو النبوة قصد من الله تعالى إلى إعلام من يوحي إليه بما يعلمه به ويكون عند الموحى إليه حقيقة خارجة عن كونها إلهاماً أو ظناً أو كهانة.

2. عندما ذكر الله سبحانه وتعالى من الأنبياء عليهم السلام في سورة مريم وذكر مريم في جملتهم ثم قال عز وجل:{ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ** } مريم: 58.
فاستدل ابن حزم أن هذا هو عموم لها معهم لا يجوز تخصيصها من جملتهم.
3. وذكر ابن حزم أن قوله عز وجل:{ **وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ** } المائدة: 75، ليس بمانع من أن تكون نبية فقد قال تعالى:{ **يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ** } يوسف: 46، وهو مع ذلك نبي رسول الله.
4. استدل كذلك بما ورد عن النبي –صلى الله عليه وسلم–: "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران وآسية ابنة مزاحم امرأة فرعون". [1]

قال:"والكمال في الرجال لا يكون إلا لبعض المرسلين عليهم السلام لأن من دونهم ناقص عنهم بلا شك وكان تخصيصه صلى الله عليه وسلم بالكمال مريم وامرأة فرعون تفضيلاً لهما على سائر من أوتيت النبوة من النساء بلا شك إذ من نقص عن منزلة آخر ولو بدقيقة لم يكمل فصح بهذا الخبر أن هاتين المرأتين كملتا كمالاً لم يلحقهما معه امرأة غيرهن أصلاً وإن كن بنصوص القرآن نبيات، وقد قال تعالى:{ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**} البقرة: 253. فالكامل في نوعه هو الذي لا يلحقه أحد من أهل نوعه فهم من الرجال الرسل الذين فضلهم الله تعالى على سائر الرسل ومنهم نبينا محمد

([1])ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج 5، ص119- 121، والحديث: رواه مسلم ولفظه عنده عن أبي موسى قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام". صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين حديث رقم2431، ورواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: "وضرب الله مثلاً.. إلى قوله "…. وكانت من القانتين" التحريم 11-12، حديث رقم 3411 و 3433، ومسند الإمام أحمد ج 4، ص394 و 409.

وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام بلا شك للنصوص الواردة فيهما بذلك في فضلهما على غيرهما وكل من النساء من ذكر عليه الصلاة والسلام". [١]

وذهب القرطبي إلى ما ذهب إليه ابن حزم واستدل بالأدلة التالية:

1."الحديث السابق الذي رواه مسلم عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام".

قال القرطبي: "قال علماؤنا رحمة الله عليهم: الكمال هو التناهي والتمام ويقال في ماضيه: "كمل" بفتح الميم وضمها، و "يكمل" في مضارعه بالضم، وكمال كل شيء بحسبه والكمال المطلق إنما هو لله تعالى خاصةً ولا شك أن أكمل نوع الإنسان الأنبياء ثم يليهم الأولياء من الصديقين والشهداء والصالحين.وإذا تقرر هذا فقد قيل: إن الكمال المذكور في الحديث يعني به النبوة، فيلزم عليه أن تكون مريم –عليها السلام– وآسية نبيتين، وقد قيل بذلك وأما أسيا فلم يرد ما يدل على نبوتها دلالة واضحة بل على صديقيتها وفضلها.

2. استدل على أن مريم نبيه، بأن الله تعالى أوحى إليها بواسطة الملك كما أوحى إلى سائر النبيين.

3. استدل كذلك بقوله إن ظاهر القرآن والأحاديث يقتضي أن مريم أفضل من جميع نساء العالم من حواء إلى آخر امرأة تقوم عليها الساعة فإن الملائكة قد بلغتها الوحي عن الله عز وجل بالتكليف والإخبار والبشارة كما بلغت سائر الأنبياء فهي إذن نبية". [٢]

ونسب النووي إلى الجمهور أنهم لا يرون أنها نبية بل هي صديقة وولية، وذكربعض العلماء حدوث الإجماع على ذلك، ذكره النووي عن القاضي عياض ونقله ابن

([١]) ابن حزم، علي بن أحمد، ت 456هـ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج5، ص119– 121

([٢]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م2، ج4، ص 53– 54

حجر عن الكرماني والنووي عن إمام الحرمين. [١] والصحيح أن الإجماع لم يحصل بدليل مخالفة عدد من العلماء منهم القرطبي وابن حزم. [٢]

ويمكن ترجيح رأي الجمهور لقوة الأدلة التي استندوا إليها، وتتلخص أدلتهم وردودهم على من قالوا بنبوة مريم عليها السلام بمايلي:

1. بأن الكمال الوارد في الحديث الشريف يطلق على تمام الشيء وتناهيه في بابه والمراد هنا التناهي في جميع الفضائل وخصال البر ولا يقتضي النبوة بالضرورة. [٣]

2. الرد على من استدل بقوله تعالى:{ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ} آل عمران42 " ممن ذهب إلى نبوة مريم بأن تكلم الملائكة يقتضي النبوة. فقالوا أن الملائكة قد كلموا من ليس بنبي إجماعاً. فقد روي أنهم كلموا رجلاً خرج لزيارة أخ له في الله تعالى وأخبروه أن الله سبحانه يحبه كحبه لأخيه فيه، ولم يقل أحد بنبوته ومن ادعى أن من توهم أن النبوة مجرد الوحي ومكالمة الملك فقد حاد عن الصواب. [٤]

3. استدل البعض على عدم نبوة النساء بالإجماع، ورد عليه بوجود الخلاف بين العلماء. وممن ذكر هذا الإجماع ابن حجر عن الكرماني. وقد نقل القاضي عياض عن جمهور الفقهاء أن مريم ليست نبيه وذكر النووي عن إمام الحرمين أنه نقل الإجماع على أن مريم ليست نبيّة. [٥]

4. الاستدلال بقوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً } الأنبياء، 7.

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج6، ص579؛ وانظر: النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، م8، ج15، ص195.

(٢) النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج،م 8، ج 15، ص194- 195. وانظر: الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن ج5، ص784.

(٣) النووي، المرجع السابق نفسه، ، م8، ج15، ص195.

(٤) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج 5، ص 784؛ وانظر: الألولسي، روح المعاني، ج 3، ص205.

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ج6، ص579؛ وانظر: النووي، المنهاج في شرح صحيح ومسلم بن الحجاج، م8، ج15، ص195.

استدل بعض العلماء من هذه الآية الكريمة أن النبوة لا تكون إلا في الرجال، وأما النساء فليس فيهن نبية أبداً. [١] و قالوا بأن الحكمة من تخصيص الرجال بالنبوة دون النساء أن النبوة عبء ثقيل وتكليف شاق لا تتحمله طبيعة المرأة الضعيفة لأنه يحتاج إلى مجاهدة ومصابرة، ولهذا كان جميع الرسل في محنة قاسية مع أقوامهم. وابتلوا ابتلاءات شديدة في سبيل تبليغ دعوة الله تعالى، يقول الله تعالى لنبيه الكريم: { **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** } الأحقاف: 35. أما القائلون بنبوتها فقد فسروا تخصيص الرجال في الآية الكريمة على أساس أن غالب الأنبياء من الرجال لا كلهم. [٢]

كما ذكر الأشقر رداً على من قال بنبوة النساء، وزاد على ما ذكر سابقا من الأدلة والردود الأمور التالية:

1. عدم التسليم بأن النبي غير مأمور بالتبليغ والتوجيه ومخالطة الناس، وأنه لا فرق بين النبي والرسول في هذا، وأن الفرق واقع في كون النبي مرسل بتشريع رسول سابق.

وإذا كان الأمر كذلك فالمحذورات التي قيلت في إرسال رسول من النساء قائمة في بعث نبي من النساء وهي محذورات كثيرة تجعل المرأة لا تستطيع القيام بحق النبوة.

2. الاستدلال باحتمالية أن يكون وحي الله إلى هؤلاء النسوة أم موسى وآسية إنما وقع مناماً فقد علمنا أن من الوحي ما يقع مناماً وهذا يقع لغير الأنبياء.
3. عدم التسليم بأن كل من خاطبته الملائكة فهو نبي ففي الحديث أن الله أرسل ملكاً لرجل يزور أخاه في الله في قرية أخرى فسأله عن سبب زيارته فلما أخبره أنه يحبه في الله قد بعثه إليه ليخبره انه يحبه وقد جاء جبريل يعلم الصحابة أمر دينهم بسؤال النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة يشاهدونه ويسمعونه.
4. أن الرسول صلى الله عليه وسلم توقف في نبوة ذي القرنين مع إخبار القرآن بأن الله أوحى إليه قُلْنَا{ **يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً** }الكهف:.76
5. القول بعدم حجية النصوص الدالة على إصطفاء الله لمريم على كونها نبية، فقد صرّح القرآن الكريم بأن الله عز وجل اصطفى من غير الأنبياء { **ثُمَّ أَوْرَثْنَا**

---

(١) الصابوني، محمد علي، النبوة والأنبياء، ط2،دار الحديث، القاهرة، 1984م، ص10؛ وانظر: الأشقر، عمر سليمان، الرسل والرسالات، دار النفائس ، عمان، 2000م، ص 84- 85.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج 6، ص471، 473؛ وانظر: الأشقر،الرسل والرسالات، ص 89؛ مهران، محمد بيومي، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: 1995م، ص21.

الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ } فاطر: 32، واصطفى آل إبراهيم وآل عمران على العالمين ومن آلهما من ليس بنبي جزما { إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ } آل عمران: 33.

6. ورد في بعض الأحاديث النص على أن خديجة من الكاملات وهذا يبين أن الكمال هنا ليس كمال نبوة.

7. ورد في بعض الأحاديث أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم ابنة عمران وهذا يبطل القول بنبوة من عدا مريم كأم موسى وآسية لأن فاطمة ليست بنبية جزماً وقد نص الحديث على أنها أفضل من غيرها فلو كانت أم موسى وآسية نبيتين لكانتا أفضل من فاطمة.

8. وصف مريم بأنها صديقة في مقام الثناء عليها والإخبار بفضلها، قال تعالى: { مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ } المائدة: 75، فلو كان هنالك وصفاً أعلى من ذلك لوصفها به، ولم يأت في نص قرآني ولا في حديث نبوي صحيح إخبار بنبوة واحدة من النساء. [١]

---

(١) الأشقر، الرسل والرسالات، ص87- 89.

الفصل الثالث

مقارنة بين المسيحية والإسلام في النظرة إلى مريم

أولا: مقارنة نسب مريم و نشأتها وحياتها ووفاتها بين المسيحية والإسلام

ثانيا: مقارنة لموضوع حمل السيدة مريم بالمسيح وولادته ا له بين المصادر المسيحية والإسلامية

ثالثا: مقارنة الوصف الديني للسيدة مريم ومكانتها الدينية بين المسيحية والإسلام

أولا: مقارنة نسب مريم و نشأتها وحياتها ووفاتها بين المسيحية والإسلام

1.النسب والعائلة

لم يذكر اسم أبي مريم العذراء عليها السلام في الأناجيل الأربعة المعتمدة عندهم وذكر اسمه بألفاظ مختلفة هي: يوكايم أو يوقايم و يوناخير و يوشيم في الأناجيل غير الرسمية (المعتمدة). أما في القرآن الكريم فقد ورد في قوله تعالى: "ومريم ابنة عمران" وعمران على أرجح الأقوال هو اسم أبيها، وذهب قسم آخر من المفسرين الى أنه اسم أبي موسى وهارون، ومريم ابنته لأنها من صلبه وهو جدها الأعلى.

أما اسم أمها فلم يرد في القرآن الكريم ولا في الأناجيل الأربعة، و أما أن اسمها "حنة" فهناك روايات يوردها المفسرون وشراح الأناجيل تؤكد ذلك.

و لم يرد لا في القرآن الكريم ولا في الأناجيل الأربعة كذلك، أن لها إخوة، و ورد في روايات الأناجيل غير المعتمدة عندهم وجود أخت أصغر لها اسمها فرجة. و يفهم من خلال عرض القرآن الكريم لقصة أم مريم عدم وجود إخوة لها لتنذرهم حتى ولادة مريم على الأقل بل إن سبب النذر كان شكراً لله على المولود الذي جاء بعد يأس والديه من الإنجاب، وحسب ما يورد أكثر المفسرين أنه لا يوجد لها إخوة، وبعضهم يذكر أن لها أختاً اسمها أشباع كالمسعودي.

و ينص العهد الجديد على أنها من نسل داود ولا خلاف عندهم في ذلك. وتذكر الروايات غير الرسمية أنها من قبيلة هارون، أو أن أمها من قبيلة هارون. وتشير روايات إنجيل لوقا أنها من أقرباء أليصابات التي هي من بنات هارون من سبط لاوى.

أما القرآن الكريم فينسبها لهارون على لسان قومها، وهو أحد أقاربها الصالحين في أرجح الأقوال. ولا خلاف عند المفسرين أنها من نسل داود من بني إسرائيل.

وأما فيما يتعلق بنسب المسيح فينسبه إنجيلا لوقا ومتى ليوسف مع اختلاف في شجرة النسب بينهما، أما القرآن الكريم فينسبه إلى أمه مريم، "المسيح عيسى بن مريم" آل عمران:45، دلالة على أنه خلق من غير أب.

٢. قصة حمل حنة بمريم

لا ترد قصة الحمل بمريم وولادتها في نصوص الأناجيل الأربعة المعتمدة. إنما جل ما ترويه المصادر المسيحية في هذا الموضوع يعود إلى الكتب غير الرسمية عندهم. وهذه الروايات تشابه ما يرويه المفسرون المسلمون من أخبار بني إسرائيل. وقد وردت قصة النذر

في إنجيل يعقوب –الذي يعتبر من الكتب المتأخرة– فيروي هذا الكتاب قول أم مريم التالي: "إذا ولدت ذكراً أم أنثى فإني سأقدمه عطاء للرب إلهي، وسيكون خادماً له كل حياته"(١)

أما القرآن الكريم فقد أشار إلى حال أم مريم وهي تتوق نفسها لترزق مولودا، فنذرت حملها لله تعالى، فلما وضعت المولود وإذ به أنثى فحزنت لذلك لأنها أرادته ذكراً يقوم بخدمة بيت المقدس، فتوجهت أم مريم إلى الله سبحانه وتعالى لأن يجعل ابنتها من عباد الله الطاهرين السالمين من فتنة الشيطان هي وذريتها، فتقبل الله سبحانه وتعالى دعائها. وهناك تفصيلات أخرى للقصة هي أخبار تروى عن بني إسرائيل.

٣. نشأة مريم

لا تعرض الأناجيل الأربعة المعتمدة شيئا عن نشأة مريم في صغرها، و تتعرض لهذا الموضوع معظم روايات الكتب أو الأناجيل غير الرسمية، فتشير إلى أن مريم قد كرست حياتها منذ طفولتها للعبادة، ويختلفون في سنها عند دخولها بيت المقدس.

وتشير الآيات الكريمة في القرآن الكريم إلى تكريس مريم نفسها للعبادة منذ صغرها "**فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا، وكفلها زكريا، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا** " آل عمران:37، إن مريم ببركة دعاء أمها قد حفظها الله عز وجل من الشيطان الرجيم، وإن التربية التي تربت عليها مريم عليها السلام كانت في حسنها ونقائها محل رضى الله سبحانه وتعالى وثنائه عز وجل.

وبالنسبة لعلاقتها بزكريا عليه السلام، يشير العهد الجديد إلى أن زكريا الذي هو من آل داود زوج ألياصبات قريبة مريم من قبيلة هارون. أما مسألة كفالة زكريا لمريم فلا يعرضها أيّ من الأناجيل الرسمية، ويشير إليها إنجيل يعقوب. ويتشابه أسلوب إنجيل لوقا مع عرض القران الكريم لقصة زكريا ومن بعدها مريم، حيث إنّ القرآن الكريم قبل أن يبدأ بعرض قصة مريم بدأ بعرض قصة زكريا.

وورد في القرآن الكريم أن الذي كفلها هو زكريا عليه السلام: " **وكفلها زكريا** " آل عمران:37. وذكر المفسرون أنه زوج خالتها أو زوج أختها، والذي يترجح أنه زوج خالتها. وورد في القرآن الكريم في الآية الكريمة"كلما دخل عليها زكريا المحراب

(١) صناديقي، قصص القرآن والقصص في الديانات الأخرى دراسة مقارنة، ص399

وجد عندها رزقا". وتذكر روايات بعض الكتب أو الأناجيل غير الرسمية أن مريم كان يأتيها رزقها من الله.

4. علاقة مريم بيوسف

أورد إنجيلا متى ولوقا روايات متناقضة فيما بينها يصعب من خلالها تحديد طبيعة العلاقة بين مريم ويوسف، فتارة تشير هذه النصوص إلى أن يوسف كان مجرد خطيب لمريم ولم يعش معها حياة زوجية، وأن ولادة المسيح لم تكن بسببه، وتارة تصفه نصوص الإنجيلين على أنه زوجها وأب للمسيح وتنسب المسيح ليوسف. أما آراء المذاهب المسيحية المختلفة في هذه المسألة فيتجه فهم غالبية الطوائف المسيحية وفي مقدمتها الكاثوليك والأرثوذكس إلى أن يوسف كان كافلا لمريم وراعياً لها وليس زوجاً كسائر الأزواج. وخالفهم في ذلك البروتستانت ولا يشير القرآن الكريم أو السنة النبوية إلى علاقتها بيوسف. وذكر بعض المفسرين أنه ابن عم لها يرعاها وتعيش معه عرف بطاعة الله وعبادته.

5. وفاة مريم

لا يوجد نص في الأناجيل المعتمدة يشير إلى قصة وفاتها. وإنما مجمل الروايات التي تتعلق بهذا الموضوع من روايات الكتب غير الرسمية، و يقول الكاثوليك بصعودها إلى السماء قبل موتها ويقول الأرثوذكس بصعودها بعد موتها، وينكر ذلك البروتستانت. ففي روايات الكتب غير الرسمية يروى أنه جاءها الملاك بعد اثنين وعشرين سنة من صعود المسيح وفي رواية بعد أربع عشرة سنة، وأخبرها بأن أيامها على الأرض قد انتهت فطلبت من الرسل أن يجتمعوا حولها ليشهدوا موتها ثم انتقالها إلى السماء . وتذكر روايات الأناجيل غير المعتمدة كذلك أن عمر مريم تجاوز الستين سنة.

وفيما يخص المكان الذي دفنت فيه مريم تشير الروايات الكنسية إلى مكانين، الأول: في مدينة أفسس، والثاني في مدينة القدس، ويرجع هذا إلى اختلاف الروايات في هذا الموضوع.

و لم يرد في القران الكريم ولا في السنة النبوية الصحيحة، ما يعطي إشارة إلى تاريخ وفاة السيدة مريم أو إلى كيفية وفاتها. ووردت بعض الروايات في كتب أمثال "تاريخ الأمم والملوك" للطبري و كتاب "الإنباء بأنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء" للقضاعي، و"البستان الجامع لجميع تاريخ أهل الزمان" لعماد الدين الأصفهاني. روايات تنقل عن أهل الكتاب قولهم أن

مريم عاشت بعد رفع المسيح ست سنين، وأما الرواية التي رواها صاحب البستان فتشير إلى أن وفاتها كانت بعد عشرين سنة من رفع عيسى عليه السلام.

ثانيا: مقارنةً لموضوع حمل السيدة مريم بالمسيح وولادته ا له بين المصادر المسيحية والإسلامية

١. البشارة بالمسيح ومدة الحمل به

تعتبر مسألة البشارة لمريم بمولد المسيح محطة هامة عند أتباع الكنائس. كما أن إنجيل لوقا من بين الكتب الأربعة الوحيد الذي يشير إلى الحوار الذي جرى بين مريم والملاك حيث أن الملاك بشّر مريم بأنها سوف تكون أمًا للمسيح، [١] وأن مريم استغربت من هذا الأمر لكن الملاك ذكرها بما حصل للياصبات وأن الله قادر على فعل ذلك[٢].

و ذكرت بشارة الملائكة لمريم بميلاد المسيح في القرآن الكريم "**إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين** " آل عمران: 45. وكذلك في سورة مريم:" **{ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً{16} فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً{17} قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً{ 18} قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً{19} قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً{ 20} قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً}** مريم:16-21.

أما بالنسبة لمدة الحمل فرغم أن الأناجيل الأربعة لم تصرح بمدة الحمل، لكنه يفهم من خلال نصوص الأناجيل أن مدة حمل مريم بالمسيح كانت مدة طبيعية مثل سائر بني البشر. ومن هذه النصوص ما ورد في إنجيل لوقا:" ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي

---

(١) لوقا، 1: لوقا 26-33.
(٢) لوقا، 1: 34-38.

حبلى. وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد. فولدت ابنها البكر وقمطته واضجعته في المذود إذ لم يكن لهما موضع في المنزل". [١]

ولم يرد نص صريح لا في القرآن ولا في السنة يبين مدة حمل السيدة مريم بالمسيح عليه السلام، وقد ذكرت بعض الإشارات التي تتعلق بالحمل موجزة في قوله تعالى:"**فحملته فانتبذت به مكانًا قصيّا، فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة**" مريم:22-23 وقد اختلف المفسرون في بيان مدة الحمل بناء على تفسير هذا النص، فمنهم من جعل مدة الحمل مدة قصيرة محتجًا بأن الفاء الواردة في الآية الكريمة تفيد التعقيب، فكما أن أصل الحمل معجزة فإن مدة الحمل كانت معجزة ليست كسائر أبناء البشر. ورجّح قسم من العلماء كون مدة الحمل مدة طبيعية مثل سائر النساء، وقالوا بأن التعقيب في الآية الكريمة لا يفيد الفور، كما في قوله تعالى "**فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا**" المؤمنون: 14، وقد ورد في أحاديث الصحيحين أن بين كل صفتين أربعين يومًا، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق"إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغةً مثل ذلك ، ثم يبعث الله اليه ملكاً بأربع كلمات ، فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، فإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار"[٢]

وتذكر الأناجيل أن مريم قامت بزيارة أليصابات التي فرحت بمجيئها وأن الجنين تحرك في بطنها فرحا به . [٣] و لم تذكر هذه القصة في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية المطهرة.

2. تفصيلات ما قبل وما بعد ولادة المسيح

(١) لوقا، 2: 5-7.
(٢) رواه البخاري ، كتاب القدر، باب يبعث الله ملكاً فيأمر باربع حديث رقم 6594 ورواه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته ، حديث رقم 3332 .
(٣) لوقا، 1: 40-45

يصرح إنجيل لوقا بأن المكان الذي ولد فيه بيت لحم ، والتاريخ أيام هيرودوس الملك[1]. ولا تعرض نصوص الأناجيل الأربعة أوصافًا لمريم قبيل ولادتها، كما عرض القرآن الكريم.

ويورد إنجيل متى غير الرسمي قصة ولادة المسيح، وذكر أن مريم بعد ولادتها المسيح بثلاثة أيام استراحت تحت ظل نخلة، وخاطب الطفل النخلة فانحنت فأكلوا منها وخرج من جذع النخلة نبع ماء ليشربوا منه.

ولم يذكر القرآن الكريم اسم المكان الذي ولد به المسيح صراحة، لكنه ذكر بعض صفاته في سورة مريم في الانتباذ الثاني "**فانتبذت به مكانًا قصيّا**" مريم:22، ومن الملامح العامة لهذا المكان أنه قصيّ ببعده عن الناس، وبه نخلة أخرج الله سبحانه وتعالى من جانبها جدول ماء.

وبالنسبة لموضوع لقاء مريم قومها بعد ولادة المسيح، فلم يرد في الأناجيل المعتمدة لقاءها لقومها ومعاتبتهم لها. بل ما يروى في بعض التقليد من أنهم اتهموها هي ويوسف إذ أنهما كانا خطيبين ولم يحن زواجهما.بعد أو أن يوسف كان كافلا لها لا زوجاً.

ولم يرد ذكر كلام المسيح لقوم مريم في أي من الأناجيل الأربعة. و يذكر إنجيل متى غير الرسمي كلام عيسى في المهد يخاطب أمه بعد الولادة بفترة قصيرة.

بينما يذكر القرآن الكريم معاتبة قومها لها واتهامهم إياها، ويذكر رد المسيح متكلمًا في المهد راداً عليهم

---

(1) متى، 2: 1

3. تفسير طبيعة الحمل

يصرّح إنجيل متى أن حمل مريم بالمسيح كان بواسطة الروح القدس. وهذا يعطي إشارة إلى أن حملها لم يكن حملاً طبيعياً بل كان معجزة إلهية. كما أن إنجيل متى ينفي أن يكون حمل مريم كان من خطيبها أو كفيلها. " وأخذ امرأته. ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع"[١]

وفي تفسير موضوع حمل السيدة مريم بالمسيح عليه السلام تظهر إشكالية في اللاهوت المسيحي وهي أنهم يعتبرون أن المسيح هو الله، فكيف له أن يصير جنينا في بطن أم؟!. وفي محاولة إيجاد حلّ لهذه الإشكالية فسروا هذه الفكرة بما يسمى التجسد الإلهي، وتم إعلان عقيدة التجسد في المجمع المسكوني الأول في نيقية فجاء في إعلان هذا المجمع في كلامه عن المسيح: "نزل من السماء و تجسَّد من الروح القدس و من مريم العذراء و تأنَّس و صُلِب".

كذلك يتناول كثير من الدارسين في علم اللاهوت عبارة "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله" يوحنا، 1: 1-3، "والكلمة صار جسدا"، يوحنا، 1: 14 الواردة في بداية إنجيل يوحنا، ويلاحظ أن "الكلمة" التي يقابلها "logos" مفردة لها استعمالاتها اليهودية واليونانية من قبل التي فسرت تفسيرات فلسفية مختلفة ففي الفكر اليهودي،ليست الكلمة مجرد صوت وحسب بل لها قدرة وفاعلية، وهي أقدم ما في الوجود، وهي الواسطة التي خلق الله بها العالم، ويبدو أن "الكلمة" أو " logos" التي تناولها يوحنا في بداية إنجيله ترتبط بتفسيرات فلسفية يونانية، حيث إن يوحنا يقول عن "الكلمة" إن يسوع عقل الله صار جسدًا، ووصفها هذا بأنها عقل الله هو نفس ما تناوله الفيلسوف هيراقليطوس من قبله و الذي عاش في نفس المدينة التي عاش فيها يوحنا وهي أفسس سنة 56 ق.م.

أمّا في الجانب الإسلامي فيصور القرآن الكريم الحمل بعيسى على أنه الحمل بإنسان بلا أب عن طريق معجزة إلهية، مثله كمثل آدم من قبله. وقد عبّر القرآن الكريم عن كيفية الحمل بإشارات بليغة وموجزة، فعبر عنه على أنه كلمة الله التي ألقاها لمريم على اعتبار أنه خلق بقدرة الله سبحانه وتعالى، " **إنّما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون**"يس:82، فالمسيح خلقه الله عز وجل بقدرته وإرادته، وليس المسيح هو كلمة كن بالمعنى الظاهري بل هو متعلقها.

---

(١) متى، 1: 24-25.

4. عذرية مريم وبتوليتها قبل ولادة المسيح وبعدها

تتفق معظم الطوائف المسيحية على أن مريم كانت عذراء قبل ولادتها المسيح، كما أن نصوص الأناجيل تنفي أن يكون يوسف قد تزوج من مريم قبل ولادتها المسيح. وبعد ولادة المسيح تصرح الأناجيل أنه كان رجل مريم. وتذكر الأناجيل كذلك وجود إخوة للمسيح، إلا أن معظم الطوائف المسيحية تؤمن بأن مريم كانت عذراء قبل ولادتها المسيح. و تشكل فكرة دوام بتولية مريم قضية خلافية ، فيؤمن الكاثوليك والأرثوذكس بدوام بتوليتها بينما يرفض البروتستانت ذلك ويرون أنها تزوجت من يوسف أما الكاثوليك والأرثوذكس فيفسرون العلاقة على أنها علاقة رعاية وكفالة من قبل يوسف. لا علاقة زواج ويفسرون وجود إخوة للمسيح بمعنى القرابة وليست الأخوة الحقيقية.

وقد ذكر القرآن الكريم عذرية السيدة مريم قبل ولادتها المسيح على لسان مريم نفسها: "ولم يمسسني بشر" وقد مدح القرآن الكريم عفتها، " **التي أحصنت فرجها**" التحريم:12. أما مسألة زواجها فلم يتعرض لها القرآن الكريم.

ثالثا: مقارنة الوصف الديني للسيدة مريم ومكانتها الدينية بين المسيحية والإسلام

1. أوصافها الدينية

يتجه الباحثون في اللاهوت المريمي المسيحي إلى قراءة نصوص العهد القديم قراءة مسيحية، ويرون أن نصوص العهد القديم في روايتها لقصة آدم وحواء لا تتعلق بآدم وحواء اللذين انبثق منهما الجنس البشري فقط، بل يرمزان إلى آدم الجديد وهو المسيح وحواء الجديدة مريم. و من خلال استقراء نصوص الأناجيل نجد ها تصف السيدة مريم بالأوصاف التالية: "أم المسيح،[١] أم يسوع،[٢] أم ربي[٣]،ممتلئة نعمة[٤]مباركة في النساء "[٥]، النساء "[٦]، أمة الرب. [٧]

([١]) متى، 1: 16-17

([٢]) متى 1: 21

([٣]) لوقا 1: 43

([٤]) لوقا 1 : 28 30.

([٥]) لوقا 1: 28، 42

([٦]) لوقا 1: 26، 27

([٧]) لوقا 1: 38.

ويتجه كل من الكاثوليك والأرثوذكس إلى رفع مكانة السيدة مريم فوق جميع البشر بما فيهم الأنبياء والملائكة ويدعونها "أم الإله" وينعتونها بصفات التعظيم مثل الملكة و الشفيعة والكلية القداسة والمجيدة.

أما البروتستانت فيرفضون زيادة أوصاف التعظيم لكنهم يقرون بوصف "أم الإله".

ويتفق الإسلام مع المسيحية في نظرة التكريم والطهارة تجاه السيدة مريم، ولكنه يختلف عن المسيحية في طبيعة هذا التكريم ودرجته، فإن مساحة تكريم السيدة مريم في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وتحليلات العلماء ظلت في حدود بشريتها ، فوصفتها على أنها صدّيقة ومصطفاة ومطهرة، و أفضل نساء العالمين. كما اتجه بعض العلماء أمثال ابن حزم والقرطبي إلى اعتبار أنهّا نبيّة من الأنبياء.

سورة كاملة في القرآن الكريم سميت باسمها ولم يصرح القرآن الكريم باسم امرأة سواها. فتعرضّ لقصة نذر أمها لها وهي ما تزال جنينا في بطنها، ووصف التربية الحسنة التي نشأت في كنفها، ووصفت بأنها صدّيقة ومصطفاة ومطهرة، وقانتة، ومحصنة وآية ووالدة وأم بارة ومبرة. وأما في السنة النبوية، فقد وصفت على أنها خير نساء العالمين وسيدتهن، ووصفت كذلك بالكمال، والحفظ من الشيطان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول:"ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها". [1]

2. مسألة عصمة مريم

يؤمن الكاثوليك بفكرة الحبل بلا دنس، ومفادها: أن مريم **(القديسة)** مبرأة من خطيئة آدم وهي في أحشاء أمها، بإنعام خاص عليها، وذلك لأن رحمها كان مستودع المسيح، ويحتفل الكاثوليك في الثامن من ديسمبر من كل سنة بهذه المناسبة.

ولا يؤمن الأرثوذكس بهذا الاعتقاد لأنهم أصلا لا يؤمنون بفكرة الخطيئة الأصلية بالنسبة لمريم. ويرون أنها لم ترتكب الخطيئة بسبب قداستها.

---

(1) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى "واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا" مريم 16، حديث رقم: 3431.

أما بالنسبة للقرآن الكريم فقد تعرض لهذا الموضوع عندما استعاذت أم مريم بالله سبحانه وتعالى أن يحفظ مريم وذريتها من الشيطان الرجيم. وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً صحيحًا يؤكد مسألة حفظ مريم من شر الشيطان الرجيم.

3. مسألة التوجه لمريم بالعبادة وطلب شفاعتها

رغم أنه لا يوجد هناك أي نص يدل على جواز التوجه لمريم في العبادة أو طلب الشفاعة. تطلب كل من الكنائس الكاثوليكية و الأرثوذكسية من أتباعها توجيه الصلوات لمريم وطلب الشفاعة منها. ويظهر هذا في الطقوس والألفاظ التي تعتمدها هذه الكنائس في عباداتها. أما البروتستانت فيرفضون توجيه العبادة لمريم ويرفضون طلب الشفاعة منها.

أما القرآن الكريم فقد رفض كل عبادة موجهة إلى غير الله –سبحانه وتعالى– وقد عاب القرآن الكريم على بعض طوائف النصارى في التوجه لعبادة المسيح وأمه، ويظهر ذلك في قوله تعالى:" **أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله" المائدة 116**

4. حكم تقديس الرسومات والأيقونات التي تمثل السيدة مريم

تهتم كل من الكنائس الأرثوذكسية و الكاثوليكية بالأيقونات المقدسة وبالمقابل يتجه البروتستانت بشكل عام إلى محاربة الأيقونات و إهمالها.

وفي غالب الأحيان لا ترسم مريم وحدها بل مع المسيح، و تحتوي أيقونة مريم على ثلاث نجوم، الأولى على جبينها والاثنتين الباقيتين على كتفيها، ويشير هذا الرمز إلى أن مريم كانت عذراء قبل الولادة وأثناءها وبعدها، وبشكل عام تركز الأيقونات الأرثوذكسية على قضيتين أساسيتين هما "والدة الإله" و "دائمة البتولية". وتصور بعض الأيقونات السيدة واقفة، يداها نحو السماء، في وضع صلاة وابتهال وهذه إشارة إلى أن العذراء شفيعة للجنس البشري، وفي معظم الأيقونات المريمية تكون مريم حاملة للمسيح طفلا بين يديها. ويعتقد أتباع الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية بقداسة هذه الرسومات وأهميتها الدينية.

أما تقديس الصور والرسومات فلا شك أنه محارب في الإسلام، فقد كانت المهمة الأساسية للمسلمين في بداية الدعوة الإسلامية إخراج الناس من خرافات التوجه للأصنام والتماثيل والصور التي يعتقد أنها تجلب نفعًا أو تدفع ضررًا أو

تقربهم من الله تعالى من ذلك ما "روي عن علي بن أبي طالب قال: كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في جنازة فقال أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها و ثناً إلا كسّره ولا قبراً إلا سواه ولا صورة إلا لطخها فقال رجل أنا يا رسول الله قال: فهات أهل المدينة قال فانطلق ثم رجع، قال يا رسول الله لم أدع فيها وثناً إلا كسرته ولا قبراً إلا سويته ولا صورة إلا لطختها ثم قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من عاد إلى صنع شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد، ثم قال لا تكونن مختالاً ولا فتاناً وتاجراً إلا تاجر خير فإن أولئك هم المسوفون بالعمل" (١)

وحديث مسروق عن عبدالله بن مسعودقال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– (إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون) (٢)

٥. حكم الظهورات المريمية

تقوم فكرة الظهورات المريمية على ادعاءات أشخاص أنهم رأوا السيدة مريم في أماكن معينة على هيئات مختلفة، حسب الروايات التي تدعي رؤية مريم العذراء. وشكلت هذه الفكرة منذ القديم تحفظ بعض الآباء المسيحيين وموافقة البعض عليها، وتلاقي هذه الفكرة قبولاً عاماً بين الأوساط الكاثوليكية والأرثوذكسية أما عند الإصلاحيين البروتستانت فهي فكرة مرفوضة.

ولم يعلن أي من علماء المسلمين قبوله لمثل هذه الإدعاءات. وقد رد بعض الباحثين المسلمين على مدعي هذه الظهورات، ومن الذين ردوا على الظهورات المزعومة القرافي في الأجوبة الفاخرة، وأحمد شلبي في كتابه "مقارنة الأديان" من المعاصرين، وكانت ردود هؤلاء العلماء تقوم على بيان أنه لم يثبت صحة أي من هذه الظهورات المزعومة بدليل ثابت، وإنما هي عبارة عن تخيلات ناتجة عن نفسية الأشخاص الذين قالوا بها، كما أن كثيراً من أتباع الطوائف المسيحية

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج5، ص 172.
(٢) البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، ت 292هـ، مسند البزار، ط 1، (تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله)، مكتبة علوم القرآن، بيروت: 1990م، ج5، ص 383 برقم 904؛ ومسند أحمد، ج1، ص375، رقم 3558.

والمسئولين الإداريين عن المناطق التي أدعي أنه وقعت فيها هذه الظهورات لم يعترفوا بها .[1]

و يذكر عدد من الكتاب في الأوساط المسيحية عدم صحة هذه الظهورات من خلال الملابسات التي تروى عنها. ويذكرون أن الكنيسة ليست على مستوى المسؤولية في التثبت من صحتها، كما ذكر في الفصل الأول.

(1) انظر: شلبي، أحمد، مقارنة الأديان- المسيحية، ط 8، النهضة المصرية، القاهرة، 1984م، ص108-110؛ القرافي، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، ص 331.

الخاتمة

عبّرت الآيات الكريمة التي تناولت جوانب من حياة السيدة مريم عليها السلام عن المكانة المهمة والرفيعة االتي تمثلها السيدة مريم في الإسلام، كما أن مريم عليها السلام بكونها أمّاً للمسيح عليه السلام فقد مثلت موقعًا دينياً هاماً في العقيدة المسيحية.

وبالنسبة للنصوص المقدسة التي تروي جوانب من حياة السيدة مريم في الجانب المسيحي، فتخلو الأناجيل الأربعة الرسمية عن ذكر تفصيلات تتعلق بحياة السيدة مريم، وإنما تعرض هذه الأناجيل بإجمال قصة بشارتها بالمسيح والحمل به وولادته وتذكر بعض المواقف الجانبية لها بعد نبوته. أما الأخبار التفصيلية التي تروى عنها فهي من روايات الأناجيل غير الرسمية (الأبوكريفيا).

أما الوصف الديني لمريم ومكانتها في المسيحية فقد تطور تبعا للتطورات العقدية للمسيحية التي أفرزتها العوامل السياسية والاختلافات اللاهوتية في تفسير طبيعة المسيح عليه السلام. و قد لعبت المجامع المسكونية السبعة المعترف بها لدى الكنائس الدور الأكبر في تحديد صورة العقيدة الدينية للمسيحية ككل، ولصورة الاعتقاد بمريم عليها السلام لمختلف الطوائف المسيحية.

وتعرض نصوص القرآن الكريم أهم المراحل التي عاشتها السيدة مريم بل إن سورة كاملة سميت باسمها ولم يصرح القرآن الكريم باسم امرأة سواها. فيعرض قصة نذر أمها لها وهي ما تزال جنينا في بطنها، ويصف التربية الحسنة التي نشأت في كنفها، ويذكر كفالة زكريا لها، ويعرض قصة بشارتها بالمسيح، ومعاناة ولادتها ومعاتبة واتهام قومها لها.

ويتفق الإسلام مع المسيحية في نظرة التكريم والطهارة تجاه السيدة مريم ولكنه يختلف عن المسيحية في طبيعة هذا التكريم ودرجته، فإن مساحة تكريم السيدة مريم في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتحليلات العلماء ظلت في حدود بشريتها، فوصفتها على أنها صدّيقة ومصطفاة ومطهرة، ومحصنة وقانتة وأفضل نساء العالمين. كما اتجه بعض العلماء أمثال ابن حزم والقرطبي إلى اعتبار أنها نبية من الأنبياء.

ويمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة بالنقاط التالية:

1. لم يذكر اسم أبي مريم العذراء عليها السلام في الأناجيل الأربعة المعتمدة عندهم، وذكر اسمه بألفاظ مختلفة هي: يوكايم أو يوقايم و يوناخير و يوشيم في الأناجيل غير الرسمية (المعتمدة). أما في القرآن الكريم فقد ورد في قوله تعالى: "ومريم ابنت عمران" وعمران على أرجح الأقوال هو اسم أبيها، وذهب قسم آخر من المفسرين على أنه اسم أبي موسى وهارون، ومريم ابنته لأنها من صلبه وهو جدها الأعلى.

2. لا ترد قصة الحمل بمريم وولادتها في نصوص الأناجيل الأربعة المعتمدة. إنما جل ما ترويه المصادر المسيحية في هذا الموضوع يعود إلى الكتب غير الرسمية عندهم. وهذه الروايات تشابه ما يرويه المفسرون المسلمون من أخبار بني إسرائيل إلى حد ما.

أما القرآن الكريم فقد أشار إلى حال أم مريم وهي تتوق نفسها لترى مولودًا لها، ناذرةً هذا المولود لله تعالى.

3. لا تعرض الأناجيل الأربعة المعتمدة شيئا عن نشأة مريم في صغرها، و تتعرض لهذا الموضوع معظم روايات الكتب أو الأناجيل غير الرسمية، فتشير إلى أن مريم قد كرست حياتها منذ طفولتها للعبادة، ويختلفون في سنها عند دخولها الهيكل.

وتشير الآيات الكريمة في القرآن الكريم إلى نشأة مريم الخيرة منذ صغرها، قال تعالى:"فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسناً، وكفلّها زكريا، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا" آل عمران:.37

4. تذكر الأناجيل المعتمدة وبالأخص لوقا ومتى أن يوسف كان قريبًا لمريم من نسل داود وكذلك أنه كان خطيبًا لمريم. ولا يشير القرآن الكريم إلى علاقتها بيوسف.

5. لا يوجد نص في الأناجيل المعتمدة يشير إلى قصة وفاتها. وإنما مجمل الروايات التي تتعلق بهذا الموضوع من روايات الكتب غير الرسمية، و يقول الكاثوليك بصعودها إلى السماء قبل موتها ويقول الأرثوذكس بصعودها بعد موتها، وينكر ذلك البروتستانت. و لم يرد في القران الكريم ولا في السنة النبوية الصحيحة، ما يعطي إشارة إلى تاريخ وفاة السيدة مريم أو إلى كيفية وفاتها.

6. تعتبر مسألة البشارة لمريم بمولد المسيح محطة هامة عند أتباع الكنائس. كما أن إنجيل لوقا من بين الكتب الأربعة الوحيد الذي يشير إلى الحوار الذي جرى بين مريم والملاك حيث

أن الملاك بشر مريم بأنها سوف تكون أمّاً للمسيح . و ذكرت بشارة الملائكة لمريم بميلاد المسيح قي القرآن الكريم في أكثر من موضع.

7. يصرّح إنجيل لوقا بأن المكان الذي ولد به المسيح هو بيت لحم، والتاريخ أيام هيرودوس الملك. ولا تعرض نصوص الأناجيل الأربعة أوصافاً لمريم قبيل ولادتها، كما عرض القرآن الكريم.

و لم يذكر القرآن الكريم اسم المكان الذي ولد به المسيح، ولكنه عرض بعض الصفات لهذا المكان.

8. يصرّح إنجيل متى أن حمل مريم بالمسيح كان بواسطة الروح القدس. وهذا يعطي إشارة إلى أن حملها لم يكن حملاً طبيعياً بل كان معجزة إلهية. ويفسرون عملية الحمل بالمسيح بفكرة التجسد الإلهي، أما في الجانب الإسلامي فيصور القرآن الكريم الحمل بعيسى على أنه الحمل بإنسان بلا أب عن طريق معجزة إلهية، مثله كمثل آدم من قبله.

9. تتفق معظم الطوائف المسيحية على أن مريم كانت عذراء قبل ولادتها المسيح وتشكل فكرة دوام بتولية مريم قضية خلافية بين الكاثوليك والأرثوذكس الذين يقولون بدوام بتوليتها من جهة، وبين البروتستانت الذين يرفضون ذلك ويرون أنها تزوجت من يوسف. وقد ذكر القرآن الكريم عذرية السيدة مريم قبل ولادتها المسيح على لسان مريم نفسها: "ولم يمسسني بشر" وقد مدح القرآن الكريم عفتها، "التي أحصنت فرجها" التحريم:12. أما مسألة زواجها فلم يتعرض لها القرآن الكريم.

10. يتجه كل من الكاثوليك والأرثوذكس إلى رفع مكانة السيدة مريم فوق جميع البشر بما فيهم الأنبياء والملائكة ويدعونها "أم الإله" وينعتونها بصفات التعظيم مثل الملكة و الشفيعة والكلية القداسة والمجيدة.

أما البروتستانت فيرفضون زيادة أوصاف التعظيم لكنهم يقرون بوصف "أم الإله".

ويتفق الإسلام مع المسيحية في نظرة التكريم والطهارة تجاه السيدة مريم، ولكنه يختلف عن المسيحية في طبيعة هذا التكريم ودرجته، فإن مساحة تكريم السيدة مريم في نصوص القرآن الكريم والسنة وتحليلات العلماء ظلت في حدود بشريتها.

11. يؤمن الكاثوليك بفكرة الحبل بلا دنس ومفادها أن أم مريم حملت بها وهي بريئة من خطيئة آدم وحواء الوراثية، ولا يؤمن الأرثوذكس بهذا الاعتقاد لأنهم أصلا لا يؤمنون بفكرة الخطيئة الأصلية. ويرون أن مريم لم تحمل الخطيئة بسبب قداستها.

12. تطلب كل من الكنائس الكاثوليكية و الأرثوذكسية من أتباعها توجيه الصلوات لمريم وطلب الشفاعة منها. ويظهر هذا في الطقوس والألفاظ التي تعتمدها هذه الكنائس في عباداتها. أما البروتستانت فيرفضون توجيه العبادة لمريم ويرفضون طلب الشفاعة منها. أما القرآن الكريم فقد رفض كل عبادة موجه إلى غير الله سبحانه وتعالى.

13. تهتم كل من الكنائس الأرثوذكسية و الكاثوليكية بالأيقونات المقدسة وبالمقابل يتجه البروتستانت بشكل عام إلى محاربة الأيقونات و إهمالها. أما الإسلام فقد حرم تقديس الصور والتماثيل والتوجه إليها في العبادة.

14. تلاقي فكرة "الظهورات المريمية" قبولاً عاماً بين الأوساط الكاثوليكية والأرثوذكسية أما عند الإصلاحيين البروتستانت فهي فكرة مرفوضة وشكلت هذه الفكرة منذ القديم تحفظ بعض الآباء المسيحيين وموافقة البعض عليها، ولم يعلن أيا من علماء المسلمين قبوله لمثل هذه الإدعاءات. وقد رد بعض الباحثين المسلمين على مدعيها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، 1990م.

ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت 630هـ). **الكامل في التاريخ**، ط1، 1مجلد، (تحقيق: عبد القاضي)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

ابن إسحاق، محمد ، **المبتدأ في قصص الأنبياء** ،ط1،(جمع وتوثيق محمد كريم الكواز)، الانتشار العربي، بيروت، 2006م.

الأشقر، عمر سليمان، (2000)، **الرسل والرسالات**، عمان، دار النفائس.

الأصفهاني، عماد الدين، (ت597هـ). **البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان** ، 1مجلد ، (تحقيق: محمد علي الطعاني) مؤسسة حمادة ، اربد ، 2003م .

أعمال المجمع الفاتيكاني الثاني المسكوني ، (1966)، (ترجمة: المسرة)، بيروت، المطبعة البولسية.

ألفا، روني إيلي، (1992)، **موسوعة أعلام الفلسفة العرب والاجانب** ، ط1، 2جزء، بيروت، دار الكتب العلمية.

الألوسي، محمود بن عبدالله الحسيني ، (ت 1270هـ). **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، ط1،15 مجلد (تحقيق: محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت 1999 م .

الباش، حسن، (2001)، **العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل** ، ط1 ، بيروت، دار قتيبة.

البخاري ، محمد بن إسماعيل، (ت 256هـ).(صحيح البخاري)، **الجامع الصحيح المسند المختصر من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه** ، ط 1 ، ا مجلد ، دار الجيل ، بيروت ، 2005م .

البرشومي، محمود، (1987)، **المسيح بين الإنجيل والقرآن** ، القاهرة، مؤسسة روز اليوسف.

البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، (ت 292هـ)، **البحر الزخار المعروف بمسند البزار**، ط 1، 1مجلد، (تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله) ، مكتبة علوم القرآن ، بيروت ، 1990م.

البستاني، كرم، (1959)، **سلطانة العذارى**، بيروت، المطبعة الكاثوليكية.

بسترس، كيرلس، (1993)، **اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر مريم العذراء**، ط1 ، بيروت، المكتبة البولسية.

بشارة، يوسف وبولس الفغالي، **العذراء مريم** ، ط 1 ، الزلقا، دار الكتاب المفضل.

ابن البطريق، سعيد أفتيشيوس، (1905)، **التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق** ، الجزء الأول، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين.

البغوي، الحسين بن مسعود الفراء، (ت 516هـ). **معالم التنزيل** ، ط 1، 4 مجلدات دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1993 م .

البقاعي، إبراهيم بن عمر، (ت 885هـ). **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ، ط1 ، 22 مجلد ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، 1962 م.

أبو بكر، علاء، (1997)، **المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح** ، ط1، القاهرة، مكتبة وهبة.

البلخي، أحمد بن سهل ،(ت 322هـ). **البدء والتاريخ** ، ط1 ،1مجلد، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1997 م .

البوطي، محمد سعيد رمضان، (1974)، **كبرى اليقينيات الكونية** ، ط 3 ، بيروت، دار الفكر.

البيضاوي، عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي، (ت 691هـ). **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، ط1 ، 2 مجلد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1988 م.

الترمذي، محمد بن عيسى ، (ت 279هـ)، **سنن الترمذي** ،ط2، 5 مجلدات، دار الفكر، بيروت، 1983م .

توريان، ماكس، (1992)، **مريم أم الرب ورمز الكنيسة** ، ط2 (ترجمة: خليل رستم)، بيروت، دار المشرق.

جاد، أحمد، (2005)، **قصص النساء في القرآن الكريم** ، ط1 ، المنصورة، دار الغد الجديد.

الجمعية المصرية، (2001)، **الموسوعة العربية المسيرة** ، ط2، 4 أجزاء، القاهرة، دار الجيل.

ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**،ط3، 9 مجلدات ، المكتب الإسلامي، بيروت، 1984م.

حافظ، عماد زهير، **القصص القرآني بين الآباء والأبناء**، دمشق، دار القلم.

الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري ،(ت 405 هـ)، **المستدرك على الصحيحين،وبهامشه كتاب تلخيص المستدرك للامام ابي عبدالله الذهبي** ، (ت 748 هـ)، (تحقيق: محمود مطرجي) 5 مجلدات ، دار الفكر ، بيروت ، 2002م

حبيب، صموئيل وآخرون، (1988)، **دائرة المعارف الكتابية** ، ط 1،جزء 1،(تحرير: وليم وهبه)، القاهرة، دار الثقافة.

الحجار، محمد، (1999)، **من قصص التنزيل**، ط1، بيروت، دار البشائر الإسلامية.

ابن حجر ، أحمد بن علي بن حجر ،(ت852هـ)، **الإصابة في تمييز الصحابة** ، ط1، 1مجلد، (تحقيق: علي البجاوي)، دار الجيل، بيروت، 1992م.

ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر، (ت852هـ)، ط 1، 13 مجلد، **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، مكتبة الرشد، الرياض، 2004م.

ابن حزم، علي بن أحمد، (ت 456هـ)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ، 5 مجلدات (تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبدالرحمن عميرة)، دار الجيل، بيروت، 1985م.

ابن حنبل ، احمد ، (ت 241 هـ)، **المسند** (تحقيق : احمد محمد شاكر) ، ط 1 ، 20 مجلد ، دار الحديث ، القاهرة ،1995م

حنفي، عبد المنعم، (1999)، **موسوعة الفلسفة والفلاسفة** ، ط2، 2جزء، القاهرة، مكتبة مدبولي.

أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي،(ت 745هـ)، **تفسير البحر المحيط** ، ط1 ، 8 مجلدات ، (تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1993 م .

الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم (ت725هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ط1 ، 4 مجلدات ، (تحقيق: عبدالسلام محمد علي شاهين) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2004 م.

الخزرجي، أبي عبيد الله (ت582هـ)، **بين الإسلام والمسيحية**، (تحقيق وتقديم محمد شامة) ، مكتبة وهبة ، القاهرة .

الخضري، حنا، (1994)، **المسيح إله أم إنسان قراءة في فكر كارل بارت** ، ط1، القاهرة، دار الثقافة.

الخضري، حنا، (1981)، **تاريخ الفكر المسيحي يسوع عبر الأجيال**، القاهرة، دار الثقافة.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت 463هـ)، **تاريخ الأنبياء** ، ط 1 ،1مجلد، (تحقيق: أسيا كليبان علي البارح) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2004 م.

الخطيب، جار الله بن سليمان، (1992)، **قصص القرآن**، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الخطيب، موسى، (1992)، **سيدات نساء أهل الجنة**، بيروت، دار التضامن.

خياطة، نهاد، (2002)، **الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام**، ط1، دمشق، دار الأوائل.

دوبره لاتور، أوغسطين، (1992)، **خلاصة اللاهوت المريمي**، ط2 ، (ترجمة: يوسف قوشاقجي)، بيروت، دار المشرق.

دي ليكوري، ألفونس، **كتاب أمجاد مريم البتول** ، ط3 ، (ترجمة: مكسيموس مظلوم)، روما، مطبعة مجمع انتشار الإيمان المقدس.

الرازي، محمد فخر الدين بن ضياء بن عمر، (ت 604هـ)، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب** ، ط1 ، 16 مجلد ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت 1981م .

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل ، (ت 502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، 1مجلد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1970 م .

رستم، سعد، (2002)، **التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا** ، ط1 ، دمشق، دار الأوائل.

رستم، سعد، (2004)، **الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية** ، ط1، دمشق، دار الأوائل.

الزجاج، إبراهيم بن السري (ت311هـ)، **معاني القرآن وإعرابه** ، ط1 ، 3 مجلدات، (تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي) ، عالم الكتب، بيروت ، 1988 م .

الزمخشري، محمود بن عمر (ت538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، ط1، 4 مجلدات ، دار الفكر ، بيروت، 1977 م .

أبو زهرة ، محمد، (1961)، **محاضرات في النصرانية** ، ط3، القاهرة، دار الفكر العربي.

الزيات، أحمد حسن وآخرون، **المعجم الوسيط** ، 2 جزء، طهران، المطبعة العلمية.

زيادة، معن، (1988)، **الموسوعة الفلسفية العربية**، 2جزء، معهد الإنماء العربي.

أبو السعود، محمد بن أحمد العمادي، (ت982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** ، 4مجلدات، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1970م .

السقلاوي، جميل، (1989)، **في خدمة البشارة مريم من أنت**، بيروت.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ) **الدر المنثور في التفسير المأثور** ، ط1 ،6 مجلدات، دارالكتب العلمية ، بيروت ، 1990 م .

الشعراني، نعمة ناصر ، (1996)، **مكانة السيدة مريم العذراء مقارنة بنساء العالمين في القرآن الكريم** ، ط1، بيروت، دار ابن حزم.

الشعراوي، محمد متولي، (1999)، **مريم والمسيح** ، (تحقيق مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة) ، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي.

شلبي، أحمد، (1984)، **مقارنة الأديان المسيحية**، ط 8، القاهرة، النهضة المصرية.

شلبي، رؤوف، (1975)، **أضواء على المسيحية دراسات في أصول المسيحية** ، ط1، بيروت، المكتبة العصرية.

شلبي، محمود، (1982)، **حياة مريم**، ط1، بيروت، دار الجيل.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي (ت 1939هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ط1 ، 7 مجلدات، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ،2005 م .

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت 1250هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** ، ط1 ، 6 مجلدات، (تحقيق: عبد الرزاق المهدي)، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1999 م .

الصابوني، محمد علي، (1984)، **النبوة والأنبياء**، ط 2، القاهرة، دار الحديث.

الصابوني، محمد علي، (1981)، **صفوة التفاسير** ، ط4 ، 3 أجزاء، بيروت، دارالقرآن الكريم.

صليبا، جميل، (1982)، **المعجم الفلسفي**، 2 جزء، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

صناديقي، خالد، (1996)، **قصص القرآن والقصص في الديانات الأخرى دراسة مقارنة**، ط1.

الطبرسي، الفضل بن الحسن، (1986)، **مجمع البيان في تفسير القرآن** ، ط1، أجزاء، (تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي وفضل الله اليزدي الطباطبائي) ، بيروت، دار المعرفة.

الطبري، محمد بن جرير، (ت 310هـ). **تاريخ الأمم والملوك** ، ط3 ، 6 مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1991 م .

الطبري، محمد بن جرير، (ت 310هـ)، **جامع البيان في تفسير القرآن** ، ط1، 7مجلدات، (تحقيق : صلاح عبد الفتاح الخالدي) ، الدار الشامية، بيروت ، 1997 م .

ابن عادل الحنبلي، عمر بن علي، (ت 880هـ)، **اللباب في علوم الكتاب** ،ط1، 20 مجلد ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.

ابن عبد القوي، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم، (ت 716هـ)، **الانتصارات الإسلامية في علم مقارنة الأديان** ، 1مجلد،(تحقيق: أحمد السقا)، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة.

ابن عجيبة، أحمد بن أحمد بن محمد بن المهدي، (ت 1224هـ)، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ط2، 8 مجلدات ، (تحقيق عمر أحمد الراوي)، دار الكتب العلمية بيروت: ، 2005م.

عرموش، أحمد راتب وآخرون، (2001)، **موسوعة الأديان الميسرة** ، ط1، 1جزء، بيروت، دار النفائس.

ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي، (ت 546 هـ) ، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط1،5مجلدات، (تحقيق عبدالسلام عبد الشافي محمد)، دار الكتب العلمية، بيروت 1993م.

الفاضلي، داود علي، (1973)، **أصول المسيحية كما يصورها القرآن** ، الرباط، مكتبة المعارف.

الفراء، يحي بن زياد (ت 207 هـ)، **معاني القرآن** ، ط3، 3 مجلدات، عالم الكتب، بيروت، 1983م.

فرح، جبرائيل، (1989)، **مريم العذراء**، ط2، بيروت، المكتبة البولسية.

فرح، جبرائيل، (1970)، **مريم أم المسيح** ، ط2، بيروت، منشورات المكتبة البولسية.

القاسمي، محمد جمال الدين، (ت 1322هـ)، **محاسن التأويل** ،ط1، 7 مجلدات، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، 1994 م.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، (ت 465هـ)، **لطائف الإشارات** ،ط1، 3 مجلدات، (تعليق:عبداللطيف حسن عبدالرحمن) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2000م.

القضاعي، محمد بن سلامة، (ت 454هـ)، **الإنباء بأنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الأمراء**، ط1 ، 1مجلد، (تحقيق: عمر عبد السلام التدمري) المكتبة العصرية،، بيروت ، 1998 م .

القرافي، أحمد بن إدريس، (ت684هـ) ، **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة** ، ط2 ، 1 مجلد (تحقيق: بكر زكي معوض) ،القاهرة ، 1987 م .

القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن** ،10 مجلدات ، دار الكتب العلمية بيروت .

قرمش، قسطنطين، (1989)، **العذراء مريم في المفهوم الأرثوذكسي وخدمة المدائح والبراكسيلي**، ط2.

قطب، سيد، (1992)، **في ظلال القرآن**، ط17، 3أجزاء، بيروت، دار الشروق.

القنوجي، صديق بن حسن بن علي الحسين، (ت 1307هـ)، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، 15 مجلد، (تحقيق: عبدالله إبراهيم الأنصاري)، إدارة إحياء التراث الإسلامي ، الدوحة، 1989 م.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، (ت 751هـ)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ط27، 6 مجلدات ، (تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط)، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1994م.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت 774هـ)، **البداية والنهاية** ، ط4 ، 4 مجلدات (تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرون) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1988م.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم** ، ط1 ، 8 مجلدات، (تحقيق: محمد إبراهيم البنا) ، مؤسسة علوم القرآن، بيروت ، 1998م.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت774هـ)، **قصص الأنبياء** ، (تحقيق: زياد السروجي) ، دار صادر ، بيروت.

الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، (ت 450هـ)، **النكت والعيون** ، ط1 ، 6مجلدات، (تحقيق: السيد بن عبد المقصود) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1992 م .

مجمع اللغة العربية، (1983)، **المعجم الفلسفي** ، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

مجموعة من المؤلفين، (1983)، **الرؤية الأرثوذوكسية لوالدة الإله** ، بيروت، مطبعة النور.

محمد عبده، (1993)، **الأعمال الكاملة**، (تحقيق: محمد عمارة)، 5 أجزاء، القاهرة، دار الشروق.

المراغي، أحمد مصطفى، (1945)، **تفسير المراغي** ، 8 أجزاء، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

المريمي، نوبرت، (1985)، **مريم وكهنوتها** ، (ترجمة: جرجس المارديني) ، منشورات الرابطة الكهنوتية.

المسعودي، علي بن الحسين بن علي، (1997)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**،(تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد)، بيروت، المكتبة العصرية.

مسلم، ابن الحجاج أبو الحسين النيسابوري، (ت 261هــ)، **الجامع الصحيح** ،ط1، 1مجلد،دار الجيل، بيروت، 2005م .

مقار، إلياس، (1988)، **نساء الكتاب المقدس** ، ط3 ، القاهرة، دار الثقافة.

الملكاوي، محمد، (1992)، **تأليه مريم ابنة عمران والعبادات المقدمة لها عند النصارى**، الرياض، مركز البحوث التربوية.

ابن منظور، (ت771هــ)، **لسان العرب** ، ط2، 14 مجلد، دار صادر ، بيروت، 1960م .

مهران، محمد بيومي، (1995)، **دراسات تاريخية من القرآن الكريم** ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

النجار، عبدالوهاب، **قصص الأنبياء**، دمشق، دار النصر.

النجار، نهى، (1995)، **الديانة المسيحية** ، ط1، بيروت، دار الفكر اللبناني.

النسائي، أحمد بن شعيب، (ت 303هــ)، **سنن النسائي** ، ط2، 5مجلدات، (تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة)، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب ، 1986 م.

النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، (ت 710هــ)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** ، ط1 ،3مجلدات، (تحقيق: يوسف علي بديوي)، دار ابن كثير، بيروت ، 1998 م .

النووي،محي الدين ، **(ت676 هــ) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج** ، ط2، 9مجلدات،(تحقيق: خليل مأمون شيخا) ، دار المعرفة، بيروت ، 1995 م.

نينو، إلياس، (2000)، **حياة السيدة العذراء مريم ينبوع الحياة** ، ط1، عمان، مدارس الأحد.

الهاشمي، عبد المنعم ، (2003)، **مريم ابنة عمران** ، ط1، بيروت، دار ومكتبة الهلال.

هبي، الأرشمندريت أنطون، (1989)، **الصور المقدسة والأيقونات** ، ط3، بيروت، المكتبة البولسية.

الهيثمي، علي بن أبي بكر، (ت807هـ) **مجمع الزوائد و منبع الفوائد** ، 5مجلدات، (تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

الواحدي، علي بن أحمد، (ت 468هـ)، **أسباب نزول القرآن الكريم**، 1مجلد، (تحقيق: كمال بسيوني زغلول) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1978م.

أبو وندي، رياض وآخرون، (1996)، **عيسى ومريم في القرآن والتفاسير** ، عمان، المجمع الملكي للبحوث والدراسات الدينية.

وير، تيموني، (1982)، **الكنيسة الأرثوذوكسية إيمان وعقيدة** ، (ترجمة: هاشم الحسيني)، بيروت، منشورات النور.

اليسوعي، سامي حلاق، (1993)، **الظهورات بين الحقيقة والخيال** ، ط1، بيروت، دار المشرق.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، **تاريخ اليعقوبي** ، ط1 ، 1مجلد، (تحقيق: عبد الأمير مهنّا) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،1993 م.

ابن العربي، محمد بن عبدالله، (ت 543هـ)، **أحكام القرآن** ، ط1، 4 مجلدات ، (تحقيق: عبدالرزاق المهدي)، دار الكتاب العربي، بيروت 2000م.

ابن خلدون، عبد الرحمن، (ت 808 هـ)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، ط1، 1مجلد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، (ت 427هـ)، **عرائس المجالس** ، ط1، 1 مجلد ، (تحقيق: محمد سيد) ، دار الفجر للتراث ، القاهرة، 2001م .

العاملي، محمد علي برو، (2003)، **الكتب السماوية والعلم** ، ط1، بيروت، دار المحجة البيضاء.

عبد الحليم محمود، **في رحاب الكون مع الأنبياء والرسل**، ط2، دار المعارف.

عبد الملك، بطرس وآخرون ، **(1994)، قاموس الكتاب المقدس** ، القاهرة، دار الثقافة.

عبد الوهاب، أحمد، (1987)، **اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية** ، ط1 ، القاهرة، مكتبة وهبة.

العجيلي، سليمان بن عمر الشهير بالجمل، (ت1204هـ)، **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية** ، ط1 ، 2 مجلد، (تحقيق: إبراهيم شمس الدين) دار الكتب العلمية، ،بيروت ، 1996م.

كرمو، كوركيس، (1986)، **قصة مريم العذراء وسيرة ربنا على الأرض حسب التقليد**، (ترجمة: مانوئيل بوجي)، الولايات المتحدة الأمريكية/متشكن، مؤسسة أورنيت.

كساب، حنانيا، (1975)، **مجموعة الشرع الكنسي**، بيروت، دار النور.

مراجع الشبكة الألكترونية

باسوك، دانيال، أساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم وأثرها على المسيحية، ترجمة وتعليق: سعد رستم، http://www.ebnmaryam.com/Asateer/Asateer.htm

بطرس، زكريا الأيقونات، www.fatherzakaria.com

جماعة عيلة مارشيل الكاثوليكية،

http://www.ayletmarcharbel.org/immaconcepAr.htm

جمعية التعليم المسيحية بحلب، قداسة مريم العذراء،

http://www.talimmasihi.com/ahadis_other_012.htm

جمعية التعليم المسيحية

http://www. Talimmasihi, com/ ahadis/2002-2003-fialliteurjia.htm

كنيسة مدينة أنطاكيا العظمى الأورثوذكسية، http://www.antiochair.com

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

http://www.stgeorge-sporting.org/stgeorge/stgeorge_ar.htm

موسوعة ويكيبيديا، http://ar.wikipedia.org/wiki.

الموسوعة العربية كلمات http://www.kl28.com/encr.php?search=-1189700281

موقع الكنيسة الكاثولويكية

http://www.Mary pages.com/index Arabic. Html

ملكي، الأب أنطوان، الظهورات المريمية، شبكة القديس سيفاريم ساروف الأرثوذوكسية
http://www.serafemsarof.org/father_studies/maskoneyat/main.htm

الموقع العربي لمارتن لوثر،

، 2005. http://www.lutherinarabic.org/mitri/islah2003.htm

موقع الكنيسة الأرثوذوكسية القبطية المصرية

http://st-takla.org/Coptic-church-1_.html

http://www.geocities.com/derelmalakgabriel/jessusbothers.htm

MARYAM IBNATU EMRAN (MARY) IN CHRISTIANITY AND ISLAM A COMPARATIVE STUDY

By :

Awni Fathi Saleem Al_Musttafa

Supervisor

Dr. Mohmmad ahmad al_khatib, Prof.

ABSTRACT

This study aims to give the idea about how the Christianity and Islam take the character of Miriam peace upon her comparatively through the holly religion articles and through the religions attitudes for the Christian groups in the criticism side and through showing the Holly Qura'n and the Holly Profit Hadeeth and analysis of Islam scientists and some Muslims anthers in the Islamic side and determining disagreement and agreement situation between both parties .

The four formal pibles don’t mention any details related to Mariam life but they mention the story of the cress muss and other situations after his profits in detailed but the detailed news which are narrated about her are from the narrations of informal pibles.

The religions description for Mariam and it place in criticism was developed according to religious developments for criticism which are classified by the political factors and lahoti disagreements in explaining the nature of cross _peace upon him. the seven global collection which are depended for churches played the largest role in determining the image of religions belief for criticism as a whole and for the image of believing in Mariam peace upon nor _ for different criticism groups .so Catholic and Orthodox tend to raisc the place of mariam above all the human including profits and angil and call here "the mother of god" and describe here in holly

descriptions such as queen and many descriptions but protestant disagree to increase the holly descriptions but they agree with the description "the mother of god".

Although there is no any article refers to the allowance of tending to Mariam in warshiping or asking for giving from here in pibles articles all Catholic and Orthodox churches ask their followers to focus in their worships for mariam and asking her for forgiving that appears in the pronunciations which are depended by these churches in their worships . but the protestant they reject tend worships to mariam and asking her forgiving .

all catholic and orthodox churches care of holly icons, in the contrast ,protestant tend to fight icons and ignore them.

The articles of holly qura'n show the most important stages while mariam lived also afal sara called in here name and the holly qura'n don't name any women just here so this sara show the story of here mother promise for her when she was in her and the description of good growing which she grew under her caring and it mentions zakarrya caring for here and the story of cross and here birth suffering and her family speeches .

Islam and criticism agree with the good look towards mariam ,but disgree in the nature of this and its degree. So the space of that in the holly qura'n articles and scientist analysis still in her humanity borders ,so the describe her as choosen friend , and the best of women ,also , some scientist like ibn hazm and al qurtobi tend to consider her as a profit.